المسار البراجماتي في الاشتراكية الديمقراطية

(ملامح من فلسفة سيدني هوك السياسية)

د. منى طه عبد العليم

LEVANT

المسار البراجماتي في الاشتراكية الديمقراطية
(ملامح من فلسفة سيدني هوك السياسية)
د. منى طه عبد العليم
الطبعة الأولى: 1440هـ - 2019م
© جميع حقوق الطباعة والنشر الورقيّ والإلكترونيّ محفوظة
مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر
ب ض: 03- 11- 520- 00408- 5- 022
س ت: 9882
الإسكندرية – مصر، 44، شارع سوتير، أمام كلية حقوق الإسكندرية
الدور الثالث، الإسكندرية، مصر
موبايل: 01018081590 هاتف: 034830903
بريد إلكتروني: levantegsy@gmail.com
موقع إلكتروني: www.levantcenter.net
رقم الإيداع: 8660 / 2019م
الترقيم الدولي:3 - 46 - 6651 -977 - 978
تصميم الغلاف: شيماء الفحام
التنسيق والإخراج: القسم الفني في مركز ليفانت

المسار البراجماتي في الاشتراكية الديمقراطية

(ملامح من فلسفة سيدني هوك السياسية)

د. منى طه عبد العليم

مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

الإسكندرية، 2019م

LEVANT

الفيلسوف الأمريكي سيدني هوك

إهداء

إلى أمي

يرحمها الله

شكر وعرفان

من بعد حمد الله عز وجل وشكره أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى كل من قدم النصيحة والرأي والتوجيه في سبيل تيسير إتمام هذه الدراسة حتى حصلت بها الكاتبة على درجة الماجستير في الأداب بتقدير امتياز في 17 مايو 2005م تحت إشراف الأستاذ الدكتور/ عبد الوهاب جعفر، أستاذ الفلسفة المعاصرة بجامعة الإسكندرية، خالص شكري وعظيم تقديري لسيادته، كذلك كل الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل المرحوم الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن خليفه، يرحمه الله ويغفر له، والشكر والتقدير لأساتذتي أعضاء لجنة المناقشة المرحوم الأستاذ الدكتور/ علي عبد المعطي، أستاذ الفلسفة بجامعة الإسكندرية، والأستاذ الدكتور/ رمضان البسطويسي، أستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس.

وتمتد قائمة ممن يستحقون الشكر والتقدير فأتوجه به إلى كل أساتذتي ومعلميني منذ عرفتُ للعلم سبيلا، وأخص بالطبع كل أساتذتي بقسم الفلسفة كلية الأداب جامعة الإسكندرية.

خالص شكري كذلك وامتناني لكل من قدموا يد العون والنصيحة والإرشاد من خارج مصر: الفيلسوف الأمريكي الكبير بول كارتز Paul Kurtz أستاذ الفلسفة بجامعة نيويورك، والبروفيسور دان دويل Dan Doyle أستاذ التاريخ والفلسفة بجامعة بنسلفانيا، والسيدة دبي بولا Debbi Bula بقسم الفلسفة جامعة نيويورك.

كما أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى السيدة الفاضلة منى العيسوي مديرة مركز المعلومات بالمركز الثقافي الأمريكي بالإسكندرية (سابق)، والمهندس عمر شريف دلاور ...

وكذلك كل الشكر والحب لأبي وأخوتي

أخيرا وليس بأخرٍ، وهو الفضل الذي يفوق غيره، أذكر أمي، يرحمها الله، وأتوجه إلى الله العلي القدير أن يتغمدها برحمته وفضله، إنه هو نعم المولى ونعم النصير، وصلى اللهم وبارك على سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين..

قائمة المحتويات

إهداء 7

مقدمة..... 13

الفصل الأول 17

حياة سيدني هوك ومسيرته الفكرية 17

أولًا: حياته 19

ثانيًا: مؤلفاته 31

ثالثًا: عصره..... 39

الفصل الثاني..... 51

مفهوم الحرية والديمقراطية عند سيدني هوك..... 51

أولًا: تحديد المفاهيم 53

ثانيًا: إشكالية العلاقة بين حقوق الإنسان بعضها البعض 63

ثالثًا: العدالة الاجتماعية والمساواة 82

رابعًا: تفويض السلطة..... 89

خامسًا: موقف هوك من منتقدي الديمقراطية وحكم الأغلبية..... 95

سادسًا: حقيقة الديمقراطية الأمريكية ونقد آراء هوك 108

الفصل الثالث 117

الاشتراكية الديمقراطية عند سيدني هوك..... 117

أولًا: المزج بين البرجماتية والاشتراكية 120

ثانيًا: تصور سيدني هوك للاشتراكية الديمقراطية..... 127

سيدني هوك اشتراكي وليس شيوعيا! 135

ثالثًا: هوك وماركس..... 137

رابعًا: تقييم هوك لإسهامات ماركس 143

خامسًا: الجدل ما بين الاشتراكيين والرأسماليين 156

سادسًا: جدل هوك – استمان 168

الفصل الرابع 185

مفهوم الأخلاق العلمانية عند سيدني هوك 185

أولًا: تحديد المفاهيم 187

ثانيًا: مظاهر الإنسانية العلمانية 195
ثالثًا: الدين والحياة المعاصرة 202
رابعًا: مصدر الأخلاق عند هوك 227
خامسًا: الحياة ليست قيمة في ذاتها 250
الفصل الخامس 259
موقف سيدني هوك من السياسة الخارجية الأمريكية 259
أولًا: خطر التهديد الشيوعي 262
ثانيًا: تجربة فيتنام 268
2- المقاومة الفيتنامية 275
3- فظائع الحرب الأمريكية الفرنسية 276
ثالثًا: سيدني هوك ما بين فلسفة الاحتواء والحرب السياسية 279
رابعًا: الحرب السياسية 291
خامسًا: هوك وموقفه من سياسة المهادنة appeasement 298
سياسة بلا أخلاق! 315
الخاتمة والنتائج 329
ثبت بالمصادر والمراجع 335

مقدمة

سيدني هوك هو فيلسوف أمريكي معاصر من رواد الفلسفة البرجماتية. تتلمذ على يد جون ديوي وافتتن بفكر كارل ماركس. بلغ شأنًا عظيمًا في وطنه وقيل عنه أن رأيه كان له صداه في أعلى غرف صناعة واتخاذ القرار في الولايات المتحدة الأمريكية. تُوجت مظاهر الاحتفاء به في بلاده بحصوله عام 1985م على أعلى وسام شرفي رئاسي في الولايات المتحدة وهو "وسام الحرية" Medal of Freedom* من الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان في البيت الأبيض في حفل خاص ضم كبار المسؤولين والمفكرين والفلاسفة وقال عنه ريجان: "... طالما استمرت هذه الأمة في البقاء، ستتحدث أجيالكم اللاحقة بكل فخر عن اليوم الذي حضرتم فيه إلى احتفالية البيت الأبيض وتسلمتم وسام الحرية، وبعد خمسين عامًا من الآن، وبعد قرن من الآن سيعرف المؤرخون اسماءكم وانجازاتكم . فقد تركتم إرثًا انسانيًا[1]."

وتُمنح باسم هوك الآن ومنذ عام 1991م جائزة سيدني هوك التذكارية Sidney Hook Memorial Award التي تصدر عن مؤسسة جون ديوي للباحثين في الآداب الليبرالية، ولكن وعلى الرغم من ذيوع صيته في الولايات المتحدة وعظم شأنه فإن هناك ندرة شديدة في توفر مؤلفاته داخل المكتبة المصرية والعربية، ناهيك عن وجود كتب عربية تتناول فكر الفيلسوف. فضلًا عن أن الدراسات الغربية

---

* جدير بالذكر أن وسام الحرية الرئاسي لعام 2004 قدمه الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش في 2004/12/14 إلى كل من الجنرال المتقاعد تومي فرانكس Tommy Franks الذي قاد الحرب الأمريكية في أفغانستان ، وإلى جورج تنت George Tenet المدير السابق للمخابرات الأمريكية CIA صاحب المعلومات الاستخبارية بامتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل ، وإلى بول بريمر الحاكم العسكري الأمريكي السابق في العراق!

[1] Paul Kurtz ,ed. , Sidney Hook: Philosopher of Democracy and Humanism, (New York: Prometheus Books, 1989). P. IX

التي تناولت فكره ركزت على جانب أو آخر من الأسس التي قامت عليها فلسفة هوك.

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب في عرض وتحليل معظم توجهات سيدني هوك الفلسفية، والتي تم الاعتماد فيها بشكل أساسي على مؤلفات الفيلسوف نفسه وتم توريد معظمها من دور النشر في الولايات المتحدة عن طريق الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

وتأتي أهمية هذه الدراسة أيضًا في تناولها لفكر فيلسوف أمريكي معاصر. فيلسوف قدم فلسفة "عملية"؛ ربط فيها بين الفكر والفعل. فلم يقدم تجريدات نظرية لفيلسوف انعزل في برج عاجي، وبعرض فكر "هوك" نتعرف بشكل ما ليس فقط على الكيفية التي يفكر بها الآخر، مع أهميتها بالطبع، وإنما أيضًا على الكيفية التي يتصرف أو سيتصرف بها الآخر، وتتجلى هاهنا، مرة أخرى، أهمية فلسفة هوك خاصة عندما نجد أن من يمسكون بزمام الحكم في القطب الأوحد يعلنون مرارًا أنهم تتلمذوا على يد فلاسفة أمريكيين واستمدوا منهم الأفكار التي يؤمنون بها والتي لم تعد، بعد إيمان الساسة بها، مجرد أفكار حيث وُضعَت معظمها موضع التنفيذ. وليس خفيًا، كما سيتجلى في الدراسة التالية، كيف أن سيدني هوك كان له تأثيره في توجيه السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

لما كانت البيئة التي ينشأ فيها الفيلسوف لها تأثير كبير في تشكيل توجهاته الفكرية والفلسفية، فإن **الفصل الأول** من الكتاب يتناول حياة سيدني هوك ويتم الإشارة فيه إلى المراحل الرئيسة في مسيرته الفكرية والعملية، ويتم التركيز على المؤثرات التي كانت لها انعكاساتها في تشكيل توجهاته وتدعيمه وبخاصة تتلمذه على يد كل من موريس كوهن وجون ديوي وافتتانه منذ الصغر بكارل ماركس وبرتراند راسل، كما يتم العرض لأهم مؤلفاته مع تحليل موجز لعدد منها، فضلًا عن الإشارة إلى أهم التيارات الفلسفية التي سادت الولايات المتحدة والتي عاصرها الفيلسوف.

من أكثر الألقاب التي أطلقت على هوك أنه "فيسلوف الديمقراطية والحرية" فما الذي قصده الفيلسوف من استخدامه لمفاهيم مثل الديمقراطية والحرية، وهل الحرية عنده حرية مطلقة؟ أم مقيدة؟ وما هو مفهومه لحقوق الإنسان؟ وماذا لو تعارضت تلك الحقوق؟ كأن يتعارض، على سبيل المثال، حق المعرفة مع حق الخصوصية؟ كيف يمكن حل هذه الإشكالية؟ ثم ما هو مفهوم هوك للعدالة والمساواة؟ ولماذا اختلف مع "برادلي" في تعريفه للعدالة بأنها ليست بالضرورة "التطبيق غير المتحيز لقاعدة ما في كل الحالات التي تقع في نطاقها"؟ وكيف دافع عن الديمقراطية بصفة عامة ضد منتقديها وخاصة موسكا وباريتو وميشيلز، ثم كيف دافع عن الديمقراطية الأمريكية على وجه التحديد؟ وكيف تعارضت هذه الآراء مع فلاسفة أمريكيين آخرين مثل رايت ميلز ونعوم تشومسكي؟ يعرض **الفصل الثاني** من الكتاب أجوبة لهذه التساؤلات وغيرها.

عندما يذهب **فرانسيس فوكوياما** في كتابه "نهاية التاريخ وخاتم البشر" إلى أن النظم الليبرالية هي التي ستسود وما ترتبط بها من أنظمة اقتصادية حرة قائمة على اقتصاد السوق، ثم يأتي الواقع بما يخالف ذلك من حيث فوز الأحزاب الاشتراكية بالسلطة في العديد من دول العالم وخاصة دول أمريكا اللاتينية، فإن كل هذا يلقي الضوء على بعد نظر سيدني هوك وعمق فلسفته الاشتراكية، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: كيف مزج هوك بين براجماتية جون ديوي واشتراكية كارل ماركس مقدمًا فكرًا متجانسًا تعالى على مصدريه؟ وهل إيمان هوك بالاشتراكية يحول دون دفاعه عن أهمية وجود قطاع خاص؟ ثم كيف دافع عن تصوره عن الاشتراكية الديمقراطية ضد الاتهامات التي وجهها إليه ماكس استمان؟ يعرض **الفصل الثالث** من الكتاب لكل هذه النقاط وغيرها.

من الديمقراطية بوصفها طريقة حياة كما ذهب هوك نفسه والاشتراكية التي قرنها هوك بالتطبيق الديمقراطي - حسب تصوره الخاص - يأتي الحديث عن الجانب

الأخلاقي عند الفيلسوف فماذا عن تصوره وفكرته عن الأديان إذا ما كان مؤيدًا أومعارضًا، ولماذا ركز اهتمامه على مذهب الإنسانية العلمانية؟ وما هو مصدر الأخلاق في تصوره؟ وماذا عن القيم؟ وماذا قصد الفيلسوف من قوله أن الحياة ليست قيمة في ذاتها؟ وكيف يتم تصور أن الفيلسوف البرجماتي بكل ما تعنيه البرجماتية من تفاؤل وإيمان بمجتمع مفتوح يدافع عن "حق الإنسان في الانتحار" بكل ما يعنيه ذلك من يأس وتشائم؟ كل هذه تساؤلات يجيب عليها بالدراسة والتحليل والنقد **الفصل الرابع.**

لوكان سيدني هوك بيننا الآن وعاصر أحداث الحادي عشر من سبتمبر لصال وجال بأنه دائمًا ما كان يحذر من أن ثمة خطر ما خارجي يهدد الولايات المتحدة. ولدافع عن وجهة نظره، على سبيل المثال، بأهمية الانفاق العسكري، وأن تبادر الولايات المتحدة دومًا بالفعل وليس برد الفعل، ضد منتقديه، مثل وليم فوالبرايت ونعوم تشومسكي. ولكن هل يتفق موقف هوك من سياسة الخارجية الأمريكية مع موقفه الفلسفي والأخلاقي؟ وكيف دافع عن وجهه نظره ضد منتقدي أرائه مثل وليم فوالبرايت وبرتراند راسل في تلك المراسلات الرائعة التي دارت بين هوك من ناحية وفوالبرايت وراسل من ناحية أخرى؟ هذا ما يعرض له **الفصل الخامس والأخير.**

تناول آراء هوك بالتحليل والنقد في مواطن الدراسة المختلفة لا يحول دون تقديم تعقيب عام على فلسفته في مجملها وهذا ما يرد في التعقيب والخاتمة.

وأخيرا أتمنى من الله– عز وجل– أن يمثل هذا الكتاب إضافة مُجدية إلى المكتبة العربية.

المؤلفة

الفصل الأول
حياة سيدني هوك ومسيرته الفكرية

"ما هو مقياس عظمة رجل ما؟ إذا ما كان تأثير شخصيته وأفكاره على دائرته المباشرة من الأصدقاء والزملاء، وتأثيره على العالم، وتأثيره على كل من معاصريه واللاحقين، حينئذ ستكون عظمة " سيدني هوك " واضحة تمامًا" *

الفيلسوف الأمريكي بول كارتز

* Paul Kurtz ,ed. , **Sidney Hook: Philosopher of Democracy and Humanism**, (New York: Prometheus Books, 1989). P. IX.

الفصل الأول

حياة سيدني هوك ومسيرته الفكرية

لمّا كانت نشأة الانسان– ولاسيما نشأة المفكرين والفلاسفة - لها دور كبير في التأثير على التوجه المستقبلي للمرء كانت أهمية تناول نشأة سيدني هوك والتركيز على تلك العوامل التي أثرت في صياغة أفكاره ومعتقداته، فضلًا عن الإشارة في إيجاز إلى أهم الفلسفات والأحداث السياسية والاقتصادية المعاصرة له على النحو الآتي:

أولًا: حياته

ولد سول هوك Saul Hook (الذي سيعرف فيما بعد بسيدني هوك) في 20 ديسمبر عام 1902 من أبوين مهاجرين من أوروبا الوسطى، والده نمساوي الجنسية ووالدته بولندية، التقيا وتزوجا بالولايات المتحدة الأمريكية، اسحاق هوك Isaac Hook الأب من مقاطعة موريفيا Morivia (جمهورية التشيك حاليًا) التي كانت تابعة أساسا للنمسا Austria ثم خضعت لتشيكوسلوفاكيا– سابقًا، أما جيني هالبرن هوك Jenny Halpern Hook الأم فكانت من ولاية جاليسيا Galicia التي تقع في الجنوب الغربي من بولندا، وقد شهدت كل من ولاية موريفيا Morivia ، وولاية جاليسيا Galicia هجرات متتالية لليهود الذين لاقوا اضطهادات مضادة للسامية، وهكذا استقر المطاف باسحاق هوك وجيني هالبرن في الولايات المتحدة.

وعمل اسحاق هوك حائكا واستقرت جيني هالبرن في البيت كي ترعى أسرتها ولم يكن يستهويها إلى جانب قيامها بأعمال المنزل سوى ولعها وشغفها بالقراءة، كان لهوك اختان هما ليليان Lillian وسيلما Selma ، وأخ واحد هو هربرت Herbert كانت الأسرة تعيش في ظل ظروف قاسية في مقاطعة ويليمسبرج من إقليم بروكلين Brooklyn’s Williamsburg الذي كان يعد في ذلك الوقت من أسوأ الأماكن

في نيويورك حيث تجمع المهاجرين من مختلف دول أوروبا وحيث مظاهر الفقر التي تسود المكان، وكانت الأسرة تعيش أساسًا على تجارة المشغولات اليدوية والحياكة، وربما كانت تمكث لمدة ثلاثة أشهر دون أي دخل، وتعتمد على تدفئة المنزل في فصل الشتاء على قطع الفحم الضئيلة.[1]

عندما التحق "سول هوك" بالمدرسة في عامه الخامس تغير اسمه من "سول" إلى "سيدني" بعد أن ألحت أمه على ذلك التغيير، ويشير كرستوفر فيليبس هنا إلى أن هذا التغيير ربما جاء لاعجابها بهذا الاسم في رواية ما من الروايات التي كانت تقرأها.[2]

وداخل المدرسة لم يكن هوك ليرضى عن المدرسين وأدائهم ولا المناهج التعليمية التي يتم تدريسها، وكان يستعيض عن ذلك باللجوء إلى فروع المكتبة العامة، وكان عليه ارتداء نظارة لتصحيح حولِ بنظره فضلًا عن قصر النظر Myopia squint الذي أصيب به لقراءته على الضوء الخافت أثناء المساء، واستهوته منذ الصغر دراسة التاريخ الأمريكي واتسعت معالم معرفته شيئا فشيئًا.

وعلى الرغم من تواجد هوك في بيئة يهودية، حيث ديانة الأم والأب والمحيطين بهم من مهاجرين أوروبيين وغيرهم، إلا أنه رفض منذ الصغر الاعتقادات والممارسات اليهودية، ووجد أن هذه الاعتقادات مذاهب غامضة معوّقة للانطلاق والتحرر الفكري، وهكذا كان هوك منذ عهد مبكر بلا عقيدة دينية وظل علمانيا باقي حياته، وازداد موقفه الرافض للأيان كلما رأى تمييزا أواضطهادا دينيا،[3] فما افتتن به في شبابه هو البحث

---

[1] See: Christopher Phelps, **Young Sidney Hook, Marxist and Pragmatist**, (New York: Cornell University Press, 1997). pp. 16, 17.

وأنظر أيضا:

Christopher Phelps, **Sidney Hook: Marxist Pionner**, reviewed by Peter Drucker.(www.wpunj.edu) .

[2] Ibid, p. 18.

[3] Ibid, pp. 18, 19.

الفلسفي فقد وجد نفسه في اتجاه عقلاني معارض للخرافة وللدين.[1]

وقد فرضت البيئة المحيطة بهوك عليه اختلاطه بالعمال والفقراء الذين كان هو وأسرته ينتمون إليهم وقد أثر ذلك عليه تأثيرا كبيرا فيقول ميلتون كونفيتز: "ولد سيدني هوك وتربى في مناطق الطبقة العاملة بالمدينة، واكتشف في نفسه في مرحلة مبكرة اهتمامًا اجتماعيًا قويًا دفعه وبشكل تلقائي إلى كتابات ماركس وانجلز"[2]

وفي فبراير عام 1916م عندما بلغ هوك الرابعة عشرة التحق بالمدرسة العليا للبنين ذات التعاليم التدريسية الصارمة، في هذه المدرسة توحدت ميوله السياسية مع رفضه ومعاداته للحرب معًا - الحرب العالمية الأولي- سيرد الحديث عنها لاحقًا، مما أدى إلى الاصطدام الحاد بينه وبين معلميه، وطالما تحدث وجادل هوك محيطيه عن مساوئ الرأسمالية موضحًا فظائعها وهو يشير إلى الفقر والبؤس والفحشاء، مما جعل أحد معلميه يحاول فصله من المدرسة متهمًا إياه بإزدراء النشيد الوطني*، وهي التهمة

---

[1] Milton R. Konvitz, **Sidney Hook: Philosopher of the Moral-Intelligence** (in) Paul Kurtz (editor), **Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism** (New York: Prometheus Books, 1989) p. 5.

[2] Ibid, pp. 5, 6.

* في العشرينات وحتى الأربعينات من القرن الماضي ظهرت عدة قضايا في الولايات المتحدة تتعلق باعتراض البعض على ما ُسمي وقتئذ بفرض الوطنية بالقوة وذلك بفرض طقوس معينة كدليل على الوطنية مثل تحية العلم وغناء النشيد الوطني، ففي قضية نظرتها المحكمة عام 1940 وهي قضية مدرسة مقاطعة مينرزفيل Minersvilleضد جوبيتي Gobitis ، وهي مدرسة في ولاية ينسلفانيا كانت قد طردت فتاة في الثانية عشر من عمرها تدعى ليليان جوبيتيس وشقيقها ويليام البالغ من العمر عشر سنوات لرفضهما تحية العلم الأمريكي، وأداء نشيد عهد الولاء الوطني كجزء من التدريب اليومي للمدرسة، وكان الطفلان من أعضاء جمعية" شهود يهوفا " "الاسرائيلية وقد تم تربيتهما على أن تحية العلم تعتبر انتهاكا للوصايا العشر في التوراة وقد أيد القاضي فيليكس فرانكفورتر Felix Frankfurter طرد الطالبة والطالب، ولكن القاضي جاكسون في قضية الادارة التعليمية ضد بارنت في ولاية وست فرجينيا– وهي قضية مماثلة للقضية الأولى - قد أقر بحق الطلاب في حرية التعبير(حرية التعبير وحرية الكلام سيتم تناولها لاحقا بشئ من التفصيل) وقال: إذا كان هناك نجم ساطع في مجموعة كواكبنا الدستورية، فهو أنه لا يوجد مسؤول كبير كان أو صغير يستطيع أن يقرر ما هي المعتقدات القويمة في السياسة أو في الوطنية أو أية أمور أخرى تتعلق بالرأي، أو إرغام المواطنين أن يعترفوا

التي نفاها هوك.[1]

وفي عام 1917م أيد هوك المرشح الاشتراكي لعمدة نيويورك موري س. هيوكيت Morris Hillquit. وانتهز هوك – وهو الرافض مثله مثل الاشتراكيين الآخرين انضمام أمريكا للحرب - انتهز حماس الرئيس ودرو ويلسون Woodrow Wilsonلخوض الولايات المتحدة الحرب العالمية ليؤكد أن النصر المؤزر لطبقة العمال الناتج عن القضاء على الرأسمالية هو وحده القادر على تحقيق سلام دائم. وفي عام 1919م شكل هوك مع مجموعة من زملائه الثوريين حزبا اطلقوا عليه "الحزب الأحمر والأسود" وتوالت اجتماعات الشباب الثائر داخل مقر الحزب، تم وضع برنامج يطالب باعطائهم فرصة تشكيل حكومة طلابية نيابية وتوجيه وتوفير المساعدات للطلاب أصحاب الحاجة، وأثناء الانتخابات التي كان يقيمها هذا الحزب لاختيار رئيسًا له فاز هوك برئاسته بإجماع الأصوات، وذاع صيت هذا الحزب لما له من أنشطة واضحة جذبت إليه أنظار الجميع بما فيها صحافة نيويورك . وكتب هوك في جرائد الحزب الاشتراكي كاشفًا عن الممارسات اللاديمقراطية للمسؤولين داخل المدرسة وذاعت الروح الراديكالية بين معظم الشباب داخل المدرسة.

ظل هوك محتفظًا باتجاهه الراديكالي خلال الأعوام التي قضاها في كلية سيتي كوليدج City College (1919– 1923)، وإن كانت أفكاره قد أُعيَد توجيهها بفضل شغفه بالفلسفة ؛ فقد مزج بين دراسته للفلسفة واتجاهه الاشتراكي. وفي عام 1919 شارك هوك في تنظيم النادي الاشتراكي لحل المشكلات Socialist

---

بالقول أوبالفعل بإيمانهم بما يقرره هذا المسؤول ".

أنظر: رودني أ .سموللا ، حرية التعبير في مجتمع مفتوح، ترجمة كمال عبد الرؤوف (القاهرة : الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 1995) ص . ص.115–118.

[1] Christopher Phelps, **Young Sidney Hook**, pp. 20-21.

Problems Party مع عدد من زملائه الاشتراكيين الشيوعيين النقابيين، الذين عادة ما كانوا يتقابلوا سرا ويعبروا عن تأثرهم البالغ بما أحدثته ثورة 1917م في روسيا وأن ما حدث هناك من تطور وثورة بمثابة أول ثورة يوجدها الاشتراكيون في التاريخ. وعلى الرغم من عدم اتصال ناديهم مع الحركة الشيوعية العالمية إلا أن النادي كان يعد نفسه شيوعيا وركز مناقشاته وأحاديثه على مؤلفات لينين* وعلى الكتابات الشيوعية الأخرى.[1]

في عام 1922عندما عاد برتراند رسل [2]- الفيلسوف الذي كان هوك من أشد المعجبين به - من رحلة من الاتحاد السوفيتي كتب عن التيار البلشيفي بوصفه تهديدًا لإرث الحضارة الغربية الأمر الذي لم يرق لهوك فأرسل إليه خطابا أشار فيه إلى أن الحروب التي لا مفر منها للرأسمالية أكثر تدميرا بمراحل لكل فن وجمال من أي ثورة اشتراكية يمكن أن تتواجد.

---

* فلاديمير لينين (1870 – 1924) نشأ في أسرة مثقفة راقية ودرس القانون وانجذب إلى الكتابات الثورية ، وأصبح باتجاهه الراديكالي واحدا من أكثر الشخصيات السياسية البارزة والمفكرين الثوريين في القرن العشرين. هو الذي رسم للبولشيفيك طريقة الاستيلاء على السلطة في روسيا عام 1917. وهو الذي رسم شكل ومنهج الدولة السوفيتية. أنظر:www.bbc.uk/history_figures

[1] Ibid, pp. 22, 23.

[2] برتراند رسل (1872–1970) عالم منطق ومصلح اجتماعي وفيلسوف بريطاني ومؤسس للفلسفة التحليلية. ولد في أسرة ارستقراطية ، وقسم اهتماماته ما بين الفلسفة والسياسة . ودرس الرياضيات في جامعة كامبريدج من عام 1890 إلى عام1893 ، ثم عاد إلى دراسة الفلسفة وفُتن بليبرالية جون ستوارت مل وفي كامبيريدج وقع تحت تأثير الهيجلية الجديدة ، وتأثرت أفكاره الفلسفية الأولي ببرادلي وإن كان رفض ميتافيزيقاه . من أهم مؤلفاته :مبادئ الرياضيات عام 1903 ، وتاريخ الفلسفة الغربية 1945 ، والمعرفة الانسانية 1948 والسلطة والفرد .

See: Robert Audi "General Editor": **The Cambridge Dictionary of Philosophy** (London: Cambridge University Press, 1995). pp. 699 – 702.
وأنظر : http:/nobelprize.org/literatures/laureates/1950/russell-bio.html.

لم يكن سيدني هوك بمنأى عن الاضطهاد حتى داخل كلية "سيتي كوليدج" City College التي كانت جامعة للطلاب الفقراء والطلاب اليهود الذين يجدون اضطهادات ومعاداة للسامية داخلها وبدرجة أشد من أي جامعة أخرى، وأثناء وجوده في الجامعة عمل هوك كبائع في مخزن الكتب التابع للجامعة ثم عمل في أحدي المقاهي ببروكلين.[1]

لطالما نظر إليه معلموه على أنه شاب بُلشيفي ثوري مثير للقلاقل فكان يقول له أحدهم: "إن كنت لا تسعى لإيجاد ثورة فأنت تسعى لإيجاد انشقاق" بيد أنه كان يتواجد في نفس الجامعة موريس كوهن Morris Cohen الذي يعد من الأساتذة اليهود القلائل الذين يتيحون حرية الاعتقاد ويدافعون عن الفكر المستقل، لقد ترك كوهن عظيم الأثر على نفوس تلاميذه، فهم يتذكرونه كشخصية متميزة متفردة أكثر مما يتذكرون مادة علمية أو أفكار ما كان يدرسها، لقد كان هوك يكن لـ كوهن كل الاحترام والتقدير على الرغم من نقده للمناهج التعليمية التي كان كوهن يدرسها ولكنه كان أشد المعجبين بأسلوبه في جذب انتباه الطلاب وإثارة اهتمامهم بالمشكلة موضع البحث.[2]

وقد وصف هوك "موريس كوهن" بأنه أول عقل نقدي قابله في المجال التعليمي فهو الذي ألهمه الإدراك بأهمية المنهج والبرهان المنطقي، ودراسة هوك للمنطق هي التي قادته إلى الميتافيزيقا وإلى أعمال برتراند رسل.[3]

وفي سيتي كولدج City College تلقى هوك أعلى الدرجات في تحصيل الفلسفة ونال الكثير من المدح والاستحسان على جهوده، مثل: حصوله على الوسام الشرفي للتميز في دراسة المنطق Ward Medal of Logic التي نالها عقب

[1] Christopher Phelps, p. 23 .

[2] Ibid.

[3] Milton Konvitz, p. 6.s

نجاحه بتفوق في مادة " المنطق " والمنهج العلمي التي كان يدرسها له موريس كوهن Morris Cohen. وبينما كان هوك لا يزال طالبا لم يتخرج بعد، راسل العديد من كبار فلاسفة عصره وناقشهم وجادلهم - مثل برتراند رسل.

وفي عام 1922 كتب هوك، وكان لايزال طالباً، إن فلسفة السلام وعدم المقاومة non-resistance هي سياسة ملائمة فقط في بعض الظروف ؛ فالمجتمع يتعرض للخطر عندما لا نبقي على المقياس البرجماتي للأمور، عندما تطغى نماذج السلوك، تلك التي تم تبنيها في مواقف معينة، ضد المد الدياليكتيكي للقوى الاجتماعية." إن الإشارة هنا إلى" المقياس البرجماتي " و" المد الدياليكتيكي ربما تبدو أساس ونواة دمج هوك للماركسية والبرجماتية".[1]

تخرج هوك من جامعة سيتي كوليدج في فبراير عام 1923م، بتقدير مرتفع في العلوم الاجتماعية وتم قبوله لاستكمال دراسته العليا في جامعة كولومبيا وأثناء دراسته هناك عمل مدرسا للغة الإنجليزية في الفصول المسائية، وفي كولومبيا تعلم على يد كل من مونتاجيو W. P. Montague [2]، وجون ديويJohn Dewey [3] الذي يعد

[1] Christopher Phelps, pp. 24 – 29.

[2] مونتاجيو من رواد الواقعية الجديدة في الولايات المتحدة . سيرد الحديث عنها لاحقا.

[3] جون ديوي : ولد في فرمنت بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1859، تخرج من جامعة فرمنت وحصل على الدكتوراه من جامعة جون هوبكنز وعمل مدرسا للفلسفة بجامعة متشجان وجامعة منيسوتا وأستاذا ورئيس قسم الفلسفة بجامعة متشجان ثم استاذ الفلسفة والتربية بجامعة شيكاغوحيث أنشئ مدرسة المعمل .وقام برحلات عديدة إلى معظم دول العالم وفي عام 1931 أصبح أستاذا شرفيا للفلسفة بجامعة كولومبيا وتوفي في يونيه عام 1952. وديوي هو رائد الفلسفة البرجماتية في الولايات المتحدة . وأهم كتبه : دراسات في المنطق التجريبي 1916، والعقل الخالق 1917 وطلب اليقين 1929. أنظر أحمد فؤادالأهواني : نوابغ الفكر الغربي : جون ديوي (القاهرة: دار المعارف ، بدون تاريخ) ص.15 .

صاحب أكبر تأثير شخصي وفكري وعقلي على سيدني هوك.[1]

كان هوك طالبًا ذكيًا وناقدًا لاذعًا، ولطالما قاطع وتدخل في المحاضرات معلقا ومفندا وجهات نظر معلميه، ومع ذلك استطاع كسب احترام وتقدير الجميع في جامعة كولومبيا، واشتدت أواصر الصداقة بينه وبين جون ديوي الذي رأى فيه ما لم يراه في طالب غيره أبدا من ذكاء وبصيرة وبعد نظر، ولم يعد هوك بالنسبة لديوي مجرد طالب وإنما كان ينظر إليه كزميل وكمفكر ويعرض عليه أعماله ومؤلفاته قبل الطباعة ليقرأها هوك وينقدها، وظلا هكذا حتى وفاة ديوي عام 1952.[2] وفي جامعة كولومبيا حصل هوك على الماجيستير عام 1926، والدكتوراة في عام 1927م. [3]

وإن كان لجون ديوي تأثير كبير على سيدني هوك إلا أن ميلتون كونفيتز يدعونا إلى توخي الحذر عندما نذكر تأثير شخص ما على هوك فيقول: "يجب على المرء أن يتوخى الحذر، عندما يتحدث عن التأثير العقلي على الشخص الذي لا يمكن جعله تابعًا، من الممكن أن يكون هوك صديقًا ولكن ليس تلميذًا، لقد انتقى من ماركس وانجلز ومن كوهن ورسل ومن وودبردج وديوي طرق التفكير والعناصر الخاصة بفكرهم تلك فقط التي تروق له وتتفق مع المقاييس التي يفرضها إدراكه النقدي." [4] لقد لعب مزاجه الخاص دورًا حاسمًا مختارًا وموجهًا في الطريق الذي تطور فيه فكره وفي خطوط الفعل التي اختارها من وقت لآخر.

وفي عام 1927م كتب هوك أول مؤلفاته" ميتافيزيقا البرجماتية "The Metaphysics of Pragmatism. والكتاب هو دراسة لطبيعة الأشياء، تشير عادة إلى البحث عن الحقيقة المطلقة وتطلب المعرفة الكلية فيما يتعلق بالعلوم، ولكن

---

[1] Milton Konvitz. P. 6
[2] See: Christopher Phelps, p.26 – 28.
[3] See: Ibid, p.29 , 30 .
[4] Milton Konvitz, p. 7.

–كما يذهب كريستوفر فيليبس - إذا كانت البرجماتية على النقيض، تؤكد التغيير والمرونة وليست فيها ما يعرف بالحقيقة المطلقة، فكيف إذن يمكن أن تتواجد ميتافيزيقا البرجماتية؟ ! ثم يجيب: "تشكل البرجماتية كما يذهب هوك" نوعا " وحيدًا من الميتافيزيقا . فطالما كانت تفترض امتلاك منهج، فيجب أن تشير بالضرورة إلى نظرية الوجود ومن ثم إلى الميتافيزيقا.[1] وهكذا جعل هوك الميتافيزيقا تعني غير ما كانت تعنيه سابقا، مما جعله قادرا على إيجاد اتصال وتتابع بين البرجماتية والإرث الفلسفي الكلاسيك. وهكذا كان كتاب هوك، كما ذهب من قبل ديوي، يؤكد الصلة بين الحركة الفلسفية الحديثة البرجماتية وبين أرث الفكر الكلاسيكي التقليدي.[2]

وبالإضافة إلى تحول هوك نحو البرجماتية، خلال سنوات الدراسة في جامعة كولومبيا بدأ هوك العودة إلى النشاط الاشتراكي مرة أخرى، بيد أنه لم يكن أبدًا عضوًا في الحزب الاشتراكي، فلم يحمل بطاقة عضوية الحزب، ولم يحقق لنفسه من خلاله أية مصالح، ولكن لا ينفي ذلك بالتأكيد علاقته القوية بالحركة الشيوعية في بدايات عام 1920م وحتى 1933م، وقد زاد تمسكه بالمبادئ الماركسية واشتد إيمانه بالاشتراكية ولا سيما مع وقوع الأزمة الاقتصادية العالمية الطاحنة* التي مر بها العالم.[3]

وعن حياة هوك العملية يقول كونفيتز: " وعمل في بداية حياته مدرسا في المدارس العامة بنيويورك من 1923 م حتى عام 1928م، وعمل محاضرًا في جامعة كولومبيا (محاضرات صيفية) (1927–1932) ثم تدرج هوك في عدد من الوظائف فعمل مدرسا في كلية واشنطن سكوير Washington Square بجامعة نيويورك (1927–1932)، كما عمل أستاذًا مساعدًا في نفس تلك الكلية (1932–1934) ثم

[1] Christopher Phelps, p. 29, 31, 55
[2] Ibid.55, 56 .

* سيرد الحديث عنها لاحقا.

[3] Christopher Phelps, p.23.

أستاذًا متعاونًا في قسم الفلسفة بجامعة نيويورك (1934–1939) ثم أستاذا (1939–1963) ثم رئيسًا للقسم (1948–1969) ثم عميدًا لجامعة نيويورك واشنطن سكوير. واستمر كأستاذ شرفي في جامعة نيويورك من عام 1969 حتى وفاته . كما تولى منصب زميل بحث رفيع المستوى Senior Research Fellow في معهد هوفر للحرب والثورة والسلام، وكأستاذ زائر في جامعات هارفارد عام 1961، وكاليفورنيا 1966، وغيرهما من الجامعات الأمريكية.[1]

وكما يتضح لقد عُيَن هوك في خريف عام 1927م معلمًا في جامعة نيويورك وظل يدرس بها لمدة أربعين عامًا، ومع ما كان يحظى به هوك من دعم من أستاذه جون ديوي، الفيلسوف العالي الشأن والمقام، إلا أن تعيين هوك كان محاطًا بالقلاقل فقد كان هناك تحفظ في كل الجامعات الأمريكية تجاه الماركسيين، فضلًا عن أن هوك كان أول يهودي يعين في جامعة نيويورك New York's Washington. Square College ولم يمنع ذلك هوك من الاستمرار في نشاطه الشيوعي فقد أسس نادي اشتراكي Social Problems Club على غرار ذلك الذي تم إنشاؤه عندما كان طالبًا في سيتي كوليدج City College ، وهكذا جمع هوك بين عمله الفلسفي الأكاديمي وبين تمسكه بالماركسية وأنشطته السياسية. مؤكدًا أن الماركسية والبرجماتية يكملان بعضهما البعض، وضاربا في الوقت نفسه عرض الحائط بالاحتجاجات والمضايقات من قبل المتحفظين ضد الماركسية والماركسيين.[2]

ولعل هذا هو ما جعل كثيرين يصفونه بالشجاعة الأخلاقية، فتأييد هوك للماركسية لم يقتصر على النحو النظري، أو التدريس في الجامعة فحسب بل شمل

[1] Milton Konvitz, p. 6.

[2] Christopher Phelps , p.18

أيضا الجانب العملي وخاصة في بادئ حياته فإذا كان معظم المفكرين الأمريكيين اليساريين قد وقّعوا على مذكرة من ثلاثين صفحة تُدعى " الثقافة والأزمة culture and Crisis "، وطُبعت هذه المذكرة في أكتوبر 1932، وكانت تدعم صراحة المرشح الشيوعي للرئاسة وليم فوستر William Z. Foster ، ونائبه جيمس فورد James W. Ford - أول أمريكي من أصل أفريقي يرشح نفسه لمنصب قومي في القرن العشرين، فإن هوك لم يقف عند هذه الحدود بل دعم وأيد ويليم باترسون William Patterson، المرشح الشيوعي لعمدة نيويورك[1]، ويقول عن ذلك هيلتون كرامير Hilton Kramer في مقال له في مجلة نيويورك تايمز New York Times Review " لقد كان هوك راديكاليًا من خمسين عاما مضوا في الوقت الذي كان فيه من الخطر والمخاطرة مجرد أن ينطق فقط أكاديمي أمريكي اسم كارل ماركس، فما بالنا بتأييد فلسفته علنًا.[2] فكان هوك بذلك كما يقول نيقولاس كابيلدي Nicholas Capaldi :"أستاذا ماركسيًا في أمريكا في الوقت الذي كان من الصعب فيه اعتبار الماركسية موضة يمكن الاقتداء بها."[3]

وفي المجتمع الأمريكي المليء بكبار الفلاسفة، كان هوك رئيسًا للاتحاد الفلسفي الأمريكي American Philosophical Association وقد كان متفردًا بين هولاء جميعًا – كما يشير ميليتون كونفيتز– في إمتاعه لجمهور عريض من خلال مقالاته في كبرى الجرائد والمجلات مثل نيويورك تايمز New York Times وكومنتري Commentary واينكونتر Encounter وفريي اينكوري Free Inquiry

---

[1] Ibid , p. 69.

[2] See: http://galenet.gale.com.8888/netacgi/nph-

[3] Nicholas Capaldi: **Sidney Hook: A Personal Portrait**, (in) Paul Kurtz (editor), **Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism** (New York: Prometheus Books, 1989). P.18.

وغيرهم من الجرائد والمجلات الكبرى المعنية بالحياة وبالشئون العامة والاجتماعية.[1]

أما حياته الشخصية فقد تزوج هوك في 17من مارس عام 1924 زواجًا مدنيًا من كاري كاتز Carrie Katz التي انجبت في عام 1930 أول مولود لسيدني هوك، سماه جون برتراند هوك John Bertrand Hook الاسم الذي جمع فيه بين الأسماء الأولى لكل من جون ديوي وبرتراند رسل. وفي أواخر هذا العام انفصل هوك وكاتز لاختلاف ميولهما وطباعهما، وعلى الرغم من انفصالهما إلا أن أواصر الصداقة استمرت بينهما حتى أن هوك أهدى إليها كتابه نحو "فهم كارل ماركس" Toward the understanding of Karl Marx عام 1933 . وفي 25 من مايو1935 تزوج من" آن زينكين Ann Zinkin "التي انجبت له أرنست بنجامين Ernest Benjamin، وسوزان آن Ann Susan ، وقد سمى ابنه ارنست نسبة إلى صديقه الحميم الفيلسوف الأمريكي إرنست ناجل* Nagel Ernest.[2] وفي عام 1989 وإثر اصابته بأزمة قلبية توفي سيدني هوك بعد حياة حافلة على المستويين النظري والعملي حياة وصفها الرئيس الأمريكية رونالد ريجان في تكريمه لهوك في البيت الأبيض عام 1985قائلا : "... طالما استمرت هذه الأمة في البقاء، ستتحدث أجيالكم اللاحقة بكل فخر عن اليوم الذي حضرتم فيه إلى إحتفالية البيت الأبيض وتسلمتم وسام الحرية . وبعد خمسين عاما من الآن، وبعد قرن من الآن سيعرف المؤرخون اسماءكم وانجازاتكم .فقد تركتم ارثًا انسانيًا."[3]

---

[1] Milton Konvitz. P. 6

*إرنست **ناجل** أستاذ الفلسفة الذي درس مع هوك مثل وحصل كوليدج سيتي جامعة في هوك وله .للفلسفة استاذا بها عمل التي ، كولومبيا جامعة من العليا العلمي النسق : مثل مؤلفات عدة The Structure of Science. وقد ظل صديقا لهوك على – الماركسية إلى واحدة لحظة ينتمى أن دون حياته باقية لهوك خلاف. أنظر: . Christpher Phelps, Young Sidney Hook, p. 3

[2] Christopher Phelps, pp. 33, 130.

[3] Ibid, p. 1.

ثانيًا: مؤلفاته[1]

أ- عرض مؤلفات هوك والكتابات التي شارك في تحريرها

1. ميتافيزيقا البرجماتية،The Metaphysics of Pragmatism، 1927.
2. نحوفهم كارل ماركس، التأويل الثوري، 1933

Toward the Understanding of Karl Marx: A Revolutionary Interpretation

3. معنى كارل ماركس (تحرير سيدني هوك) مناظرة شارك فيها كل من برتراند راسل وجون ديوي وموريس كوهن وشيرود إدي وسيدني هوك، 1934

The Meaning of Karl Marx, Sidney Hook, ed,. Symposium by Bertand Russell, John Dewey, Morris Cohen, Sherwood Eddy, and Sidney Hook.

4. الفلسفة الأمريكية اليوم وغدا، 1935. American Philosphy Today and Tomorrow
5. من هيجل إلى ماركس: دراسات في التطور الفكري لكارل ماركس 1936.

From Hegal to Marx: Studies in the Intellectua Development of Karl Marx.

6. جون ديوي، لمحة عقلية، 1939 John Dewey: An Intellectual Portrait
7. العقل، الديمقراطية والأساطير الاجتماعية، 1940. Reason, Social Myths and Democray
8. البطل في التاريخ، دراسة في الحدود والإمكانات، 1943

The Hero in History: A Study in Limitation and possibility

9. المحاولة السلطوية للسيطرة على التعليم، 1945 The Authoritarian Attempet to Capture Education

[1] See: Paul Kurtz,ed., **Sidney Hook: Phoilosopher of Democracy and Humanism**, pp. 348 – 355.

10. التعليم من أجل الإنسان الحديث، 1946 Education for Modern Man .

11. الحرية والتجربة: مقالات أهديت إلى موراس كالين، تحرير سيدني هوك وميلتون كونفيتز، 1947

Freedom and Experience: Essays Presented To Morace M. Kallen, ed. Sidney Hook and Milton Konvitz.

12. جون ديوي: فيلسوف العلم والحرية،(تحرير سيد هوك)، 1950

John Dewey, Philosopher of Science and Freedom, ed., Sidney Hook

13 . نعم للإبداع، لا للتأمر، 1952 Heresy, Yes – Conspiracy, No.

14 . ماركس والماركسيون، التراث الغامض، 1955 Marx and Marxist: The Ambiguous Legacy .

15 . الفلاسفة الأمريكيون في مجال العمل، 1956 American Philosophers at Work, ed. Sidney Hook .

16. الحس السليم والإصلاح الخامس، 1957 The Common Sense and the Fifth Amendment .

17. الحتمية والحرية في عصر العلم الحديث (تحرير سيدني هوك)، 1958

Determinism and Freedom in the Age of Modern Science, ed. Sidney Hook

18. السلطة السياسية والحرية الفردية، 1959 Political Power and Personal Freedom .

19 . جون ديوي: فلسفته التربوية ومنتقديها، 1959 John Dewey: His Philosophy of Education and Its Critics.

20. البحث عن الكينونة، دراسات في المذهب الطبيعي والإنسانية، 1961

The Quest for Being, and other studies in Naturalism and Humanism.

21. مفارقات الحرية، 1962 Paradoxes of Freedom .

22.القانون والفلسفة، 1964 Law and Philosophy

23. الفن والفلسفة، 1966 Art and Philosophy, ed. Sidney Hook.

24. الدين في مجتمع حر، 1967 Religion in a Free Society .

25. اللغة والفلسفة، تحرير سيدني هوك، 1969 Language and Philosophy , ed., Sidney Hook.

26. الحرية الأكاديمية والفوضى الأكاديمية، 1970 Academic Freedom and A cademic Anarchy .

27. في الدفاع عن الحرية الأكاديمية، تحرير سيدني هوك، 1971 in Defense of Academic Freedom, ed. Sidney Hook

28 .التعليم وترويض القوة، 1973 Education and the Taming of Power

29. فكرة الجامعة الحديثة، تحرير :سيدني هوك، بول كارتز، وميرو تودوروفيتش، 1974

The Idea of a Modern University, ed., Sidney Hook, Paul Kurtz, and Miro Todorovich.

30. البرجماتية والمعنى المأساوي للحياة،1974، The Pragmatism and the Tragic Sense of Life. .

31 . الثورة والإصلاح والعدالة الاجتماعية، 1975، Revolution, Reform and Social Justice .

32 . فلسفة المناهج التعليمية: الحاجة إلى تعليم عام، تحرير: سيدني هوك وبول كارتز وميروتودوروفيتش، 1975 The Philosophy of Curriculum: The Need for General Education, ed. Sidney Hook, Paul Kurtz, and Miro Todorovich.

33 . أخلاقيات التدريس والبحث العلمي ، 1977، The Ethics of Teaching and Scientific Research, ed. Sidney Hook, Paul Kurtz and Moro Todorovich

34 . الجامعة والدولة، تحرير سيدني هوك وبول كارتز وميرو

تودوروفيتش، 1978، The University and The State, ed. Sidney Hook, Paul Kurtz, Miro Todorovich

35 . الفلسفة والسياسة العامة، 1980 Philosophy and Public Policy

36 . الماركسية وما ورائها، 1983 Marxism and Beyond

37 . إلى الأمام خطوة، حياة ثائرة في القرن العشرين، 1987 Out of Step:An Unquiet Life in the Twentieth Century.

ب- **دراسة موجزة لعدد من المؤلفات**

1- **جون ديوي، لمحة فكرية، 1939م**، كتاب يقدم فيه سيدني هوك دراسة للأفكار الرائدة في فلسفة جون ديوي، تلك الفلسفة التي قامت أساسًا على المزاج التجريبي، واشتقت مفاهيم ديوي الرئيسية من مفردات علوم الطبيعة والنفس والأحياء والتاريخ، وتركز إيمان الفيلسوف الأول في منهج البحث العلمي الذي به حققت هذه العلوم ما بها الآن من تطور. ويعرض هوك لمنظور ديوي لدور الفلسفة التي لا يصل فيها الفلاسفة غالبا إلى اتفاق حول النتائج فحسب ولكن لا يتواجد اتفاق حول المقدمات التي ينطلق منها كل منهم على حدا وذلك بالطبع لعدم وجود منهج محدد يعتمد عليه الفلاسفة في بحثهم، أما ديوي فقد اتخذ من المنهج العلمي وسيلته الأساسية في البحث، وطبقه على كل نواحي ومجالات الحياة بما في ذلك مجال الأخلاق فحتى القيم والوسائل والمعايير تخضع لأحكام المنهج العلمي.

2- **العقل والديمقراطية والأساطير الاجتماعية، 1940م**، يشير هوك في هذا الكتاب إلى أن ما توقعه الكثيرون من مخاوف منذ عقود مضت قد تحقق بالفعل فملايين من البشر أصبحوا تحت تهديد القتال والحروب المستمرة وآخرون يعانون الأوبئة القاتلة، أي إننا نحيى في عصر تتفاقم فيه المشكلات والتحديات. فما هو السبيل إلى مواجهتها والتصدي لها ؟ إنه التفكير؛ أي إعمال العقل، ولكن ما هو المنهج

الذي سيتم اتباعه لتحقيق ما نصبوا إليه؟ إنه المنهج العلمي . الذي باتباعه نصل دومًا إلى حياة جديدة متطورة ونستمر في اختبار تلك القديمة، فلا شئ يعلو على التجربة والاختبار، ومن هنا ينتقل هوك إلى تناول فكر ماركس بالنقد والتحليل لما يصلح من أفكاره لعصرنا الحالي وما لا يصلح . وكذلك يتوجه بالنقد للأديان وبأنها لم تكن مسؤولة أو مرتبطة بظهور الديمقراطية . فما هو البديل عنها إنه مذهب" الإنسانية العلمانية " لمواكبتها ظروف العصر ولقيامها على أساس المنهج العلمي وتأكيدها الديمقراطية. ويفرد هوك للديمقراطية الفصل الثلاثين تحت عنوان الطريقة الديمقراطية للحياة، وعندما يعرض سيدني هوك آرائه فهو يعرض أيضًا لآراء من اختلفوا معه في الرأي ونماذج من الجدل بينهم وخاصة في نقده الرأسمالية والأديان، ويفرد فصلين كاملين هما التاسع والحادي عشر للحديث عن الجدل في المجتمع والتاريخ.

3- **التعليم من أجل إنسان حديث، 1946**، تعكس العملية التعليمية شخصية المجتمع الذي تتواجد فيه ومن هنا كانت إشارة هوك إلى أهمية التعليم وعناصر العملية التعليمية ومالها من غايات، وأهمية وجود منهج مُتبَع ومحتوى تعليمي، فضلًا عن دور المعلم ذاته . فهذه جميُعها عناصر أساسية وأهمية احداها لا يقدح من أهمية باقي العناصر الأخرى.

4- **الفلاسفة الأمريكيون في مجال العمل، 1956م**، كتاب قام بتحريره سيدني هوك وشارك فيه عدد من الفلاسفة الأمريكيين، يعرض كل منهم تصوره حول طبيعة الإنسان، والوجود متشبعين بما ألى إليه العلم من تطور، ويعرض فيه هوك مقالا في الفصل السابع عشر تحت عنوان: "الطبيعية والمبادئ الأولى" ويناقش ما اعتبره قضية من أهم قضايا البحث الفكري والتي تندرج ضمن مباحث ودراسات الفلسفة وهي دراسة ماذا يعني للسلوك الإنساني أن يكون معقولًا أوعقلانيًا.

5- **السلطة السياسية والحرية الشخصية، 1959م**، كتاب يكاد يكون موسوعي يشمل أربعة أقسام رئيسية يتناول القسم الأول ثمان فصول وقد جاء هذا القسم تحت عنوان دراسات في الديمقراطية، والقسم الثاني تحت عنوان دراسات في الشيوعية، والقسم الثالث مشكلات الأمن والحرية أما القسم الرابع والأخير فهو حول الاشتراكية والحرية والبقاء، وفي هذا القسم دار جدل رائع بين هوك وبرتراند رسل فيما يتعلق بسياسة الخارجية الأمريكية وكذلك درا جدل بين هوك وماكس استمان حول الاشتراكية.

6- **البحث عن الكينونة، دراسات في المذهب الطبيعي والإنسانية، 1961م**، يشير سيدني هوك إلى أن الأفكار الفلسفية في فترتنا المعاصرة تعاني التخبط وعدم وضوح الرؤية وذلك لأسباب عدة منها أن معظم الفلاسفة مشغولون في تحليلات فرعية لمشكلات جزئية محددة piecemeal analysis، ولأن معاني المصطلحات الكبيرة والتي تميز مدارس الفكر في موضع جدل ونزاع. ويرى أن مواجهة مثل ذلك التخبط لن يتحقق إلا من خلال المذهب التجريبي والبرجماتي؛ ففلسفة السماء والأرض، والحالة التي تكون عليها الأشياء، والطريقة التي تتصرف بها، يمكن وصف كل ذلك أفضل ما يكون الوصف باستخدام البحث العلمي. وهنا يتجلي دور الفيلسوف في التوظيف الواعي للأدوات المعرفية مما يساعد على توضيح المشكلات وإزالة تعقيد الأغلوطات. ويكمن الإسهام المتميز للفيلسوف بجانب دوره كمحلل منطقي ولغوي في تقديم مفهومه عن الإنسان، وكذلك يَكمن دوره في إثارة وعي ودراية الناس بشكل نقدي بالإلزامات الأساسية التي عليهم وما يترتب عليها من عواقب. وهو أيضًا يخلق رؤية للسمو الإنساني ولما يُمكن أن يصبح عليه الإنسان على أساس معرفة عظيمة بالظروف المُحددة للطبيعة وتقييم رفيع للإمكانيات المفتوحة للإنسان في كون لا نهائي وغير منُتهي. يقسم هوك كتابه إلى ثلاثة أجزاء يتناول فيها ما يطلق عليه بمقالات رأى وكان رأية في ديباجة الكتاب أن هناك مقالات تكون كل مقالة بمثابة كتاب في حين أن هناك

كتب يكون الكتاب بمثابة مقال فحبذا لو اختصر ! يتناول هوك في مقالاته الفلسفة والسلوك الإنساني والحرية الأخلاقية في عالم محدد والنظرية الأخلاقية لجون ديوي وانهيار القوى الذي لاحظة في الفترة المعاصرة برجوع الناس إلى المظاهر الدينية،

ويتناول الجزء الثالث- الذي خصصه لداسة البحث عن الذات -الحديث عن المعرفة الحديثة ومفهوم الله والمادية والمثالية والمعرفة العلمية والمعرفة الفلسفية.

7- **مفارقات الحرية، 1962م**، الذكاء وحقوق الإنسان والديمقراطية والوضع القضائي والذكاء والوعي هي الموضوعات الأساسية التي تناولها هوك في كتابه. وقد قامت أفكاره على أساس قبول المبادئ الأصيلة لديمقراطية الحكومة المستقلة ومفهومها الأساسي عن القبول المعطى بحرية. وتركّز تحليله في عرض كيف أن تطور القضاء الفيدرالي في الولايات المتحدة أدى إلى موقف غير سديد مع فلسفة، أو الإلتزام بـ، الحكومة المستقلة الديمقراطية. ففي ظل تأويل الدستور، تُحدَد قرارات الأغلبية داخل المحكمة العليا، وليس النص الدستوري أو الأغلبية التشريعية هما اللذان يحددانها. فهوك يعترض على تدخل قضاة المحكمة العليا في تأويل القوانين ويؤكد أنه إعمالا للدستور عندما يتصاعد الخلاف في تأويل أمر ما بين القوى الثلاثة (القضائية والتشريعية والتنفيذية) فالقرار هنا تتخذه السلطة التشريعية. ولكن في الولايات المتحدة الآن القرار تتخذه الأغلبية في المحكمة العليا.

8- **الثورة والاصلاح والعدالة الاجتماعية، دراسات في نظرية وتطبيق الماركسية، 1975 م**، يحذر سيدني هوك من الأخطار التي تحيط بالدول الديمقراطية (ويقصد بها هنا الولايات المتحدة والمملكة المتحدة) إذا لم يتم إيجاد حلول جذرية لكل ما يعترض التحقيق الأفضل لقيم الديمقراطية والحرية وإذا لم تتصدى بحزم للعدوان الشيوعي الممتد نحو دول الغرب. وهذا ما يحاول هوك كشف النقاب عنه بفضح كيف أن الإيديولوجية

الماركسية ليست هي التي تقود الممارسة الشيوعية؛ ففي الوقت الذي يُشبه فيه هوك فكر ماركس بأنه فكر تنويري وبأنه ثمة أسس قامت عليها كل من الماركسية وفلسفة عصر النهضة حيث الاستناد إلى العقل والعلم، إلا أن الممارسة الشيوعية تقوم أساسًا على البربرية واغتيال حقوق الإنسان، ثم يوضح هوك السبيل إلى تحقيق العدالة الاجتماعية ويقرنها بالحديث عن حقوق الإنسان.

9- **الجامعة والدولة، 1978م**، هو كتاب قام هوك بتحريره مع آخرين وشارك فيه ما يقرب من ستة وعشرين كاتبًا وأكاديميًا . يدور الكتاب أساسًا حول الكيفية التي ينبغي أن تكون عليها العلاقة بين الجامعة والدولة.

10- **الماركسية وما ورائها: دراسات في الماركسية، 1983م**، كيف أن ماركس ضد الحركة الشيوعية، يعترف هوك أنه ربما يبدو للوهلة الأولى أن هذا التعبير به تناقض إلا أن هذا التناقض سرعان ما يزول عندما يعرض هوك كيف أن الحركة الشيوعية أفسدت فكر ماركس نفسه، ثم يعرض لأفكار عدد من المدارس ويتناولها بالنقد والتحليل مثل مدرسة فرانكفورت الألمانية. وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عما وراء الماركسية أو ما بعدها وفقا للتطور الذي يتطلبه إدراك العناصر المتعددة الفعالة في التاريخ . فيدافع هوك عن الحرب الباردة في الفصل السادس عشر من الكتاب وذلك لحماية الحرية الغربية التي تحدث عنها تفصيلا في الفصل السابع عشر.

11- **ماركس والماركسيون، التراث الغامض، (صدر باللغة العربية عن الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1986م، ترجمة ودراسة سيد زهران**، يعد هذا الكتاب دراسة للنظرية والممارسة في الماركسية، وقد ركز هوك فيه على الموضوعات الأساسية التي ميزت الماركسيين عن غيرهم والتي ميزت بينهم أنفسهم، فهو يرى أن تطور الماركسية كحركة كما رآها في الاتحاد السوفيتي فشلت مُثلها الاشتراكية أوتمت خيانتها، وذلك لأن

أتباع ماركس انحرفوا عن قيمه الأصلية. ولا يعني دفاع هوك هنا عن ماركس أنه لا يتناول بالتحليل والنقد الدقيق فكر ماركس نفسه. فهو يفرد الفصل الثاني من الباب الأول لتقييم اسهامات ماركس التي عرضها في الفصل الأول، ثم يخصص الفصل التاسع والأخير من نفس الباب للحديث عن الماركسية في العصر الحاضر، أما الباب الثاني من نفس الكتاب فيخصصه كقراءات مختارة لماركس وانجلز، ولينين، وجورج بليخانوف وغيرهم من رواد الفكر الماركسي.

ثالثًا: عصره

أ – أهم التيارات الفلسفية المعاصرة لسيدني هوك

1. الوضعية المنطقية Logical positivism
2. الطبيعية Naturalism
3. الواقعية الجديدة New Realistic
4. الفينومينولوجية phenomenology
5. الوجودية existentialism

1– الوضعية المنطقية: سميت هذه الحركة الفلسفية المعاصرة بهذا الاسم لأن أنصارها وضعيون بمعنى أنهم كالعلماء يريدون للإنسان أن يقف بفكره عند الحدود التي يستطيع عندها أن يقيم علمه على تجاربه وخبرته، وأن يثبت صدق أقواله إثباتًا يستند إلى الملاحظة . وترجع الوضعية المنطقية إلى " كانط " و" أوجست كونت " اللذين كان من رأيهما كذلك أن لا يعدو الإنسان - إذا ما تحدث عن العالم وما فيه – ظواهر الأشياء كما تقع له في خبرته. لكن هذين الفيلسوفين كليهما قد ظن أن وراء تلك الظواهر المُشاهدة حقائق ليس في وسع الإنسان أن يدركها بأرائه الحسية، فكأنهما أرادا أن يقولا إن قدرة الإنسان على معرفة الكون محدودة وأنه لو كان مركبا على نحو آخر

لجاز أن يكون في استطاعته إدراك ذلك الجانب الغيبي الذي يجاوز عالم الحس والشهادة. أما هؤلاء الوضعيون المنطقيون فيذهبون إلى غير هذا إذ يعتقدون أن الأمر هنا ليس عجزا من الإنسان كما هو الآن بل أن الحديث عن تلك الحقائق المزعومة وراء عالم الحس استحالة منطقية بمعنى أن كل عبارة يقولها قائل في تلك الحقائق الغيبية المزعومة لو حللناها وجدناها فارغة من المعنى، لأنها استخدمت ألفاظ اللغة في غير ما وجدت له تلك الألفاظ فكأنما المشكلات الفلسفية كلها تلك المشكلات التي قيل عنها مستعصية على الحل لعجز في قدره الإنسان الفكرية، إن هي في حقيقة الأمر إلا أشباه مشكلات لأنها تضع المشكلة المزعومة على هيئة سؤال يتطلب الجواب، فعندما لم نجد للسؤال جوابا قلنا أنه سؤال عسير فوق مقدور الإنسان أن يجيب عنه مع أن الأمر كله لا يزال على خلط في استخدام العبارات اللغوية.

فالفلسفة عند الوضعيين المنطقيين هي تحليل صرف لا تقول من عندها شيئا، بل تترك للعلماء حق الحديث عن العالم بما لهم من أدوات الملاحظة والتجارب العلمية. وعلى الفيلسوف واجب واحد هو أن يحلل العبارات اللغوية التي يستخدمونها هؤلاء العلماء أو غيرهم تحليلا يقوم على منطق اللغة ذاتها وبذلك يفرقون بين ما يجوز قوله وما لا يجوز، ومن أشهر رواد هذه المدرسة هم فتجنشتاين، رايشبناخ، وفون ميزس.[1]

ويذهب البعض إلى أن برتراند رسل كان أول فلاسفة الوضعية الجديدة، الذين قصروا مهمة الفلسفة على التحليل المنطقي، معتمدين في ذلك على منجزات علم المنطق الرياضي المعاصر، ويرى الوضعيون الجدد أن معرفتنا عن العالم تأتي عن طريق العلوم التجريبية وحدها . فليس بإمكان الفلسفة أن تزيد شيئا عما تقوله العلوم الخاصة، كما أنها عاجزة عن تقديم تصور شامل عن الكون – إن مهمة الفلسفة تنحصر في

[1] زكي نجيب محمود ، **حياة الفكر في العالم الجديد** (القاهرة :مكتبة الأنجلو، بدون تاريخ) ص .ص .285،286.

التحليل المنطقي لمبادئ وأحكام العلم والحس السليم، التي من خلالها نصوغ معرفتنا عن العالم."[1]

2- الفلسفة الطبيعية: أساس هذا المذهب يكمن في أن الطبيعة تفسر نفسها بنفسها فهي الحقيقة كلها، ليس وراءها شئ وليس فوقها شئ فكل شئ في جوف الطبيعة ذاتها، فإذا كان الإنسان جسما من ناحية وعقلًا من ناحية أخرى فكلتا الناحيتين من مقومات الطبيعة على حد سواء، وبهذه النظرة تتخلص الفلسفة من التفكير الثنائي الذي كان يشطر الكون شطرين: مادة وروح، كان يشطر الإنسان جسمًا وعقلًا، فسم ما شئت من اسماء، لكنك لن تجاوز بأسمائك ومسمياتك مجال خبرتك والخبرة مهما اتسع مجالها هي جزء من الطبيعة لا تجاوز حدودها، فخبرتك بكل ما فيها قد نضحتها من إناء الطبيعة، وليس بك حاجة إلى البحث عما وراءها لتفسر به ما يجري فيها.[2] ويمثل هذه المدرسة جورج سانتيانا.*

3- **الواقعية الجديدة:** موضوع البحث لدى أتباع الفلسفة الواقعية هو المعرفة وعلى وجه الدقة تحليل العلاقة الكائنة بين الشخص العارف والشئ المعروف وفي تحليلهم لتلك العلاقة قد دمجوا ثلاثة من المذاهب الفلسفية في مذهب واحد : المذهب الأول قد شاع في انجلترا عند (جورج مور) عرف باسم " فلسفة الحس السليم "وهي فلسفة تقوم على إدراك الناس للأمور بفطرتهم المشتركة، وهذه الفطرة هي في أساسها" حس " واستخدام" للحواس ."فما ينبأ به الحس المشترك هو الصحيح ولسنا في حاجة هنا إلى

---

[1] جماعة من أساتذة السوفيت ، **موجز تاريخ الفلسفة** ، ترجمة وتقديم توفيق سلام (بيروت :دار الفارابي ،1989) ص.644وما بعدها.

[2] جورج سانتيانا ، **الإحساس بالجمال ، تخطيط النظرية في علم الجمال** ، ترجمة د .محمد مصطفى بدوي ، مراجعة وتقديم د .زكي نجيب محمود (القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2001) ص .17 وما بعدها.

* جورج سانتيانا(1863-1953) ، هو شاعر وأديب ثائر ، وفيلسوف ، ولد في أسبانيا وتربى ونشأ في الولايات المتحدة وظفر بأستاذية الفلسفة من جامعة هارفارد وهوفي الفلسفة المعاصرة إمام لأحد مذاهبها وهوالمذهب الذين يطلقون عليه اسم" الفلسفة الطبيعية."

برهان على ذلك . والشئ موجود سواء أدركناه أم لم ندركه ويختلف هذا الاتجاه – كما يرى زكي نجيب محمود -عن اتجاه الفيلسوف الانجليزي" باركلي - "في أول القرن الثامن عشر - الذي يقوم فكره على المبدأ" وجود الشئ هو في إدراكي له "أي ما لا يدرك لا وجود له، ولكن الواقعية الجديدة تأخذ بغير ذلك فتأخذ بأن الشئ موجود بغض النظر عن ادراكنا أو عدم ادراكنا له، أما المذهب الثاني فهوالاعتراف بالوجود الضمني للمعاني الكلية جريا على المبدأ الذي أخذ به أفلاطون في نظرية المثل من حيث وجود أفكار ومعاني كلية والفكرة الواحدة تشمل جزئيات عديدة أو تنطبق على جزئيات عديدة .

والمذهب الثالث من المذاهب التي اندمجت على أيدي الواقعيين الجدد، هو أن إدراكنا للشئ الذي ندركه إنما يأتي مباشرة ولا يأتي عن طريق حلقة وسطى تقع بيننا وبينه، وذلك أن الواقعية التقليدية – واقعية لوك مثلا – كانت تفترض ارتسام صورة ذهنية للشئ الذي ندركه بحواسنا، ثم يكون فعل التفكير على هذه الصورة الذهنية فكأن الصورة الذهنية حلقة وسطى تقوم بين الشئ المُدرَك من ناحية والعقل المدرِك من ناحية أخرى أما الواقعية الجديدة فتقول إنه لا فرق بين الشئ كما هو في حقيقته الخارجية وبينه كما هو في وعينا إذا ما ادركناه، لأننا بإلغاء الوساطة بيننا وبينه، فقد ألغينا بالتالي احتمال أن يكون الشئ في حقيقته الخارجية مختلفا عنه في شعورنا به.[1] ومن أشهر ممثلي الواقعية الجديدة رالف بارتون بري ومونتاجيو الذي تعرف عليه هوك في جامعة كولومبيا أثناء تحضيره للماجيستير والدكتوراه.

4- **الفينومينولوجية**، يعتبر الفيلسوف الألماني" أدموند هوسرل (1895-1938) هومؤسس الفلسفة الفينومينولوجية وتطويرها هو نتيجة مباشرة لدوره البارز.[2]

---

[1] أنظر: زكي نجيب محمود ، **حياة الفكر في العالم الجديد** ص 222 .وما بعدها.

[2] Donald M. Borchert (editor in chief) **The Encyclopedia of Philosophy**, (New York, Simon & Schuster Macmillan, 1996). p. 399.

وتتلخص أفكار هوسرل الفلسفية فيما يأتي:

أ – لا علاقة للفلسفة بالعالم المحيط بنا، ولا العلوم التي تدرسه، فإن مهمتها تنحصر في دراسة ظواهر phenomena الوعي فقط . ب– هذه الظواهر ليست نفسية، وإنما ماهيات مطلقة مستقلة عن الوعي الفردي، لها قيمتها الشاملة، لكنها في الوقت ذاته موجودة في هذا الوعي فقط، لا وجود لها خارجه. ج–هذه الماهيات لا تدرك بالذهن والتفكير المجرد، وإنما يتم الوصول إليها بالمعاناة المباشرة ثم توصف كما تبدولنا حدسيًا .

لقد جاء هوسرل ليؤكد أن الفلسفة يجب أن تصبح علما منطقيًا، بالمعنى الدقيق للكلمة، وأن تكون مادتها يقينة مطلقة كقوانين المنطق والرياضيات . وقد حاول هوسرل البرهنة على أن قوانين المنطق يقينية وأن يقينها لا يتعلق بتلك العمليات التي تتم في وعي البشر . إن محتوى الحكم اليقيني ومعناه لا يتعلقان بما يقال عنهما. يقول هوسرل: "الحقيقة ... حقيقة " بذاتها". إن الحقيقة واحدة أبدا سواء ادركتها عقول الناس أم السحرة، الملائكة أو الآلهة."[1]

5– **الوجودية**، من أعلامها، مارتن هايدجر وكارل ياسبرز في ألمانيا وجابريل مارسيل وجان بول سارتر والبرت اموا في فرنسا وأبانيانو في إيطاليا وباريت في الولايات المتحدة الأمريكية. تُشكل النزعة الفردية حجر الزاوية في هذه الفلسفة. إنهم ينطلقون من الفرد، الفرد الوحيد، المنطوي على ذاته؛ ففي هذه الذات بحياتها العابرة التي لا أمل فيها تتركز اهتماماته ومصالحه؛ المسائل النابعة من حقيقة وجود الذات الإنسانية مسائل وجود الإنسان، ومحدودية هذا الوجود، وانغماسه في العدم، وانتهاء الوجود أو الموت وكذلك معاناة الذات لـ" أشكال الوجود " هذه، والذعر القاتل أمام الموت. وعن الوجود

[1] جماعة من أساتذة السوفيت ، ص. 633 وما بعدها.

يقول هايدجر: "الوجود هو الشغل الشاغل للفلسفة، حاضرها وماضيها." وبين أشكال الوجود المختلفة، يبحث الوجوديون عن شكل يتكشف فيه الوجود كاملا فيجدونه في القلق (الذعر)؛ إن القلق أساس كل وجود، أنه الشعور، الذي ينتابنا في مواجهتنا للعالم الخارجي، الغريب والعدائي لذاتنا في مواجهتنا للقوة، التي تدفع بوجودنا إلى نهايته، إلى العدم، إلى الموت. إن القيمة المعرفية للقلق هي في أنه يصنع وجود الذات في مواجهة نهايته، جنبا إلى جنب مع نقيضه، مع اللاوجود، مع العدم وفي هذه الحالة وحدها يتكشف وجود."[1]

ب – أهم الأحداث السياسية والاقتصادية المعاصرة لهوك

عاصر سيدني هوك عددا من الأحداث السياسية العاصفة التي يمكن ايجازها فيما يلي:

1-الحرب العالمية الأولي (1914م- 1918م)

انطلقت شرارة الحرب العالمية الأولى في 28 يونيه 1914م، وذلك عقب قتل الاشيدوف فرنسوا فرديناند الوارث الشرعي لعرش النمسا – هونغاريا في زيارة رسمية إلى سرايفو. وكان القتلة شبابًا من البوسنة أي من رعايا النمسا – هونغاريا وقد أتوا من بلجراد ووصلتهم الأسلحة التي يحملونها من ترسانات صربية. وقد وجهت النمسا انذارًا إلى صربيا وقبلته صربيا ولكنها رفضت البند السادس منه والخاص بأن تقوم القوات النمساوية جنبًا إلى جنب مع قوات صربيا بتعقب الشباب المثير للشغب والقلاقل داخل صربيبا، فقد اعتبرته تدخلًا من النمسا في شئونها الداخلية، وإيزاء ذلك الرفض تأهبت واستنفرت القوات النمساوية فتدخلت روسيا وحدث خلاف بينها وبين النمسا، وتأهبت روسيا للحرب وهنا اعترضت ألمانيا التي شعرت بتهديد روسي وأعلنت الحكومة الألمانية الحكومة الروسية بأنها لا تسمح باستمرار التدابير العسكرية الروسية، وتوجهت

[1] نفس المصدر السابق ، ص ص. 637 – 639.

إلى فرنسا لمعرفة موقفها إذا ما وقعت حرب بين ألمانيا وروسيا، لم تجب روسيا على إنذار ألمانيا وأجابت فرنسا بأنها "تعمل ما تمليه عليها مصالحها." وبعد ظهر الأول من أغسطس (أب) من نفس العام أعلن النفير العام في ألمانيا وفي فرنسا وفي المساء أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا. وفي الرابع من نفس الشهر عزمت بريطانيا على الدخول في الحرب إلى جانب فرنسا وروسيا.[1]

ويعتبر معظم الكتاب الأمريكيين أن أوروبا كانت مصدر أشد تهديد للسلام الأمريكي . وإنها هي مبعث الحرب التي اشتبكت فيها تقريبا كل الدول الأوروبية. وكان رد الفعل الأمريكي – حسب ما يذهب إليه المؤرخون الأمريكيون - يجمع بين عدم التصديق والحيرة، وعندما أعلن الرئيس الأمريكي ويلسون حياد أمريكا رسميا، كان ينطق – حسب بعض المؤرخين الأمريكيين - بإجماع من الأمة . بل أنه كان يُعبر عن موقف أغلبية الأمركيين، ولكن – ومع تطورات الحرب وشدتها - تجلى في النهاية أن الحياد مستحيل، سواء في الفكر أو في السياسة الحكومية، فأصبح الشعور الأمريكي محشودا على أشد وجه منذ البداية. وكانت الأغلبية الساحقة من الشعب تأمل أن يكون الفوز لبريطانيا وفرنسا وبلجيكا، فقد كانت تربطه بالشعب البريطاني مائة رابطة من ثقافة وتقاليد ونظم مشتركة وتطلع مشترك، ولم تكن ذكرى المساعدة الفرنسية في الثورة والإعجاب بمقاومة الشعبين الفرنسي والبلجيكي الباسلة أقل من ذلك قوة، وكان المتعاطفون مع دول أوروبا الوسطى قلة نسبيا، مؤلفة من عناصر قليلة في مقدمتها الأمريكيون من أصل ألماني الذين استجابوا لنداء الدم، والأمريكيون من أصل أيرلندي الذين ورثوا الكراهية لبريطانيا.[2]

---

[1] أنظر : بيير رونوفن ، **تاريخ القرن العشرين** (1900 – 1948) ، نعريب نور الدين حاطوم (دمشق: مطبعة الجامعة السورية، 1959). ص.ص.36-38.

[2] أنظر : آلان نيفينز وآخر : **موجز تاريخ الولايات المتحدة** ، ترجمة محمد بدر الدين خليل (القاهرة :الدار الدولية للنشر والتوزيع ، 1990). ص.455 وما بعدها.

وقد ساعدت الحرب على انعاش الأسواق في الولايات المتحدة من بيع آلات حربية ومدافع وقذائف ومتفجرات وحققت أرباحًا باهظة كما أن الزراعة الأمريكية أفاقت من كساد سبق الحرب، فوجدت أسواقا مهيئة ومربحة للقطن والقمح ولحم الخنزير ... ولم تكن الاعتبارات الاقتصادية هي التي أقنعت الرئيس الأمريكي وقتئذ ويلسون والشعب الأمريكي بحتمية الحرب، بل كانت السياسة الألمانية الزاخرة بـ"التخويف "هي التي أقنعتهم . فقد استخدمت الغواصات لإغراق السفن التجارية، ولم يكن بالوسع إنقاذ أرواح الملاحين أو المسافرين، وعندما أغرقت الباخرة البريطانية لوزيتانيا في سنة 1915، وراح ضحيتها ما يزيد على ألف ومائة شخص منهم 128 من الأمريكيين، غشيت البلاد موجة من الجزع والغضب، وفي أوائل عام 1917، أعلن الألمان العودة إلى حرب الغواصات بشدة غير محدودة، وفي بضعة أسابيع أغرقت ثمانٍ غواصات أمريكية وثارت ثائرة الشعب الأمريكي، وفي أبريل وقف ويلسون في الكونجرس وطلب إعلان حالة الحرب، وقال: "القوة، القوة إلى أقصى مدى، القوة دون حصر ولا حد."[1]

وقد اتضحت انعكاسات اندلاع الحرب العالمية الأولى واشتراك الولايات المتحدة فيقول كريستوفر فيليبس:" عندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى بدأت تظهر النعرات القومية لسكان المقاطعة التي يسكن بها هوك في حي ويليمسبيرج من مقاطعة بروكلي . فبدأت تظهر موجة راديكالية جديدة، فأظهر المهاجرون الروس الذين كانوا من قبل يعانون من بطش النظام الروسي أظهروا تشككا في أن الحرب ستأتي فيما بعد بعالم أكثر أمنا وديمقراطية وفي الحرب روسيا حليفا، ولم يجد المهاجرون الألمان أسبابا تبرر اشتراك الولايات المتحدة في الحرب ضد وطنهم الأم، وكذلك كان المهاجرون الايرلنديون في شك عميق من أهداف بريطانيا.

[1] نفس المصدر السابق ، ص 457 وما بعدها.

2- الأزمة الاقتصادية الكبرى (1929م- 1939م)

ترجع هذه الأزمة – حسبما يذهب البعض - إلى عدة أسباب منها إن الطاقة الإنتاجية للولايات المتحدة كانت أعظم من طاقتها الاستهلاكية، وكان هذا راجعًا إلى حد كبير إلى أن قسطًا من الدخل القومي أكبر مما ينبغي أخذ يتجه إلى نسبة ضئيلة من السكان الذي كانوا يحولونه على الفور إلى مدخرات أو الاستثمار، بينما كان نصيب طبقات العمال والمرزارعين والمستخدمين من الدخل غير كافٍ، في الوقت الذي كان نظام المشروعات يستند إلى مقدرتهم المستمرة على الشراء. وكان ثانٍ العوامل أن سياسة الحكومة فيما يتعلق بالتعريفة الجمركية – حيث فرضت الحكومة الأمريكية عدة تعريفات جمركية مشددة على المنتجات الأوروبية لحماية المنتجات الأمريكية وبالمثل فعلت الأسواق الأوروبية أمام المنتجات الأمريكية - وديون الحرب اقتضبت بدرجة كبيرة السوق الخارجية للسلع الأمريكية فلما حدثت الضائقة الاقتصادية التي سادت العالم في أوائل الثلاثينات انهارت تلك السوق، وكان ثالث العوامل أن سياسات الائتمان السهل كانت قد أفضت إلى توسع شديد في الإقراض، وتوسع هائل في الشراء بالنسيئة (التقسيط) وإلى مضاربات، .. كما أن المضاربة دفعت الأوراق المالية والعقارات إلى أبعد من قيمتها الحقيقية. وأخيرًا، فإن الكساد الزراعي المطرد، والبطالة المستمرة في الصناعة، والاتجاه المتواصل نحو تركيز الثروة والنفوذ في كثير من الشركات الكبرى أدت إلى اقتصاد قومي غير سليم في جوهره، واتضح أن الشعب الأمريكي في قبضة أشد كساد مدمر في تاريخه . فإن فزع عام 1837م استمر ثلاث سنوات أو أربعا، وفزع عام 1873 أمتد خمس سنوات كما أن كساد سنة 1893الفظيع انتهى في ربيع سنة 1897، في حين أن فترات الفزع الاقتصادي في أعوام 1904، 1907، 1921 كانت قصيرة الأجل بيد أن الكساد الكبير في سنة 1929 استمر قرابة عقد كامل.[1]

[1] آلان نيفينز وآخر ، وآخر: **موجز تاريخ الولايات المتحدة**، ص 479.

يعزي البعض إلى الرأسمالية بأنها هي السبب وراء هذه الأزمة يقول آلان نيفينز: "بهزيمة ويلسون، أصبح المسرح مهيئا لظهور العزلة وسياسة عدم تدخل الحكومة في الشئون الاقتصادية Laisser Faire ، فسيطرت هاتان القوتان عليه طوالي عقدين من الزمن."[1] وهكذا تجمعت عوامل عدة وأدت إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية الكبرى التي يصفها البعض بأنها:" هي الأزمة التي لم يسبق لها مثيل والتي أصابت النظام الرأسمالي بضربات قاصمة ، وقد بدأت هذه الأزمة في الولايات المتحدة وانتقلت منها إلى بقية أنحاء العالم.[2]

3- الحرب العالمية الثانية (1935 – 1945)

أسباب عدة أدت إلى اشتعال الحرب العالمية الثانية منها: تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى التي غيرت رسم خريطة العالم وخاصة أوروبا، وإبرام معاهدات عقابية خاصة لألمانيا في معاهدة فرساي سنة 1919. (خسرت ألمانيا بموجب هذه المعاهدة 12.5% من مساحتها و12% من سكانها، وحوالي 15% من إنتاجها الزراعي و10% من صناعتها و74% من إنتاجها من خام الحديد)، ونصت معاهدة فرساي على ألا يزيد الجيش الألماني على مائة ألف جندي، ودفع تعويضات كبيرة للحلفاء، وكان من أسباب اشتعالها ظهور النازية بألمانيا في يناير/ كانون الثاني 1933، والفاشية بإيطاليا في أكتوبر/ تشرين الأول 1922، وقيام حلف جديد عرف بدول المحور يضم ألمانيا وإيطاليا ثم انضمت إليه بعد ذلك اليابان. وانطلقت الحرب باحتلال هتلر للنمسا في مارس/ آذار 1938 ثم تشيكوسلوفاكيا في العام التالي وبولندا في سبتمبر/ أيلول 1939 ثم تهديد إيطاليا بغزو ألبانيا، وكان ذلك سببًا مباشرًا في إعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على دول المحور، واشتعلت الحرب في أوروبا وكان

---

[1] نفس المرجع السابق، ص467.

[2] عبد العظيم رمضان، **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث** (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1996)، ص20.

الجيش الألماني متقدمًا على جميع الجبهات الأوروبية، فقد احتل أغلب الدول ودخلت قواته باريس. إلا أن مهاجمته للاتحاد السوفياتي في يونيو/ حزيران 1941 جعلته يترك ظهره للبريطانيين.[1]

عندما اشتعلت الحرب العالمية ظلت الولايات المتحدة في حالة صمت في بادئ الأمر وإن كان الأمريكيون قد أخذ توجسهم يزداد باطراد، ثم تحول إلى سخط إذ جددت ألمانيا وإيطاليا واليابان اعتداءاتهم، وأخذت تنقض على الدول الصغيرة واحدة إثر أخرى. وفي عامي 1936–1938 حدثت محنة أسبانيا، حيث ساعدت جيوش وطائرات موسوليني[2] وهتلر[3] القوميين في الإطاحة بنظام الحكم الجمهوري، بينما وقفت الدول الديمقراطية مكتوفة الأيدي يشل التردد حراكها،[4] إلى أن هاجمت اليابان بيرل هاربور فكان تدخل الولايات المتحدة بكل ثقلها في الحرب العالمية ، ويقول آلان نيفينز عن ذلك: "والذي حدث هو أن الانقضاض على بيرل هاربور صرع أسطول الولايات

---

[1] See: www.aljazeera.net/NR/exeres. & www.ertu.rog/war

[2] بنيتو موسوليني (1883–1945) ديكتاتور إيطاليا الفاشي في الفترة من 1922إلى 1943 ، ركز كل السلطات في يده كزعيم للحزب الفاشي حاول خلق إمبراطورية إيطالية بالتحالف مع هتلر الزعيم الألماني، وكانت الهزيمة المحققة في الحرب العالمية الثانية هي نهاية لكل أماله . وتم اعدامه في نهاية المطاف أثناء محاولته الهروب إلى سويسرا . أنظر www.grolier.com:

[3] أدولف هتلر : ولد في عام 1889 في النمسا اشترك ضمن الألمانية في الحرب العالمية الأولى عام 1914، انضم إلى حزب العمال الاشتراكي الألماني القومي الذي عرف باسم " النازي " وأصبح زعيما للحزب في عام1920 .عينه الرئيس الألماني بول فون هيندنبرج مستشارا لألمانيا في عام 1933، وبمجرد وفاته استأثر هتلر بزمام الحكم ، وحوله إلى حكم ديكتاتوري ، وأشعل فتيل الحرب العالمية الثانية ، التي وقعت فيها معظم دول العالم وراح ضحيتها ما يقرب من 12مليون نسمة .وانتحر في مخبأه بعد انتصار دول الحلفاء وذلك في أبريل 1945

أنظر:

Short Bighoraphy of Adolf Hitler, (in) www.uen.org/utahlink/ip_res

[4] أنظر : آلان نيفينز وآخر : **موجز تاريخ الولايات المتحدة** ، ص.ص495–502.

المتحدة في المحيط الهادي، ولكنه لم يصرع الولايات المتحدة فوحد بذلك الأمة الأمريكية كما لم يكن بوسع أي شئ آخر أن يوحدها.[1]

وعقب الحرب العالمية الثانية كان للولايات المتحدة سلسلة طويلة من الصراعات خارج حدودها يقول آلان نيفينز: " في النصف الثاني (من القرن العشرين) ... بدأت سسلة طويلة من الأخطاء في تقدير الحسابات والتذبذب والهفوات تدفع مسار السياسة الخارجية الأمريكية."[2]

[1] نفس المصدر السابق ، ص .503

[2] آلان نيفينز و**آخر : موجز تاريخ الولايات المتحدة** ، ص.695.

الفصل الثاني
مفهوم الحرية والديمقراطية عند سيدني هوك

"سواء كانت اختياراتنا جيدة أوسيئة، حكيمة أوحمقاء، فنحن نشعر بنهايتنا كبشر إذا ما منُعنا من صنع قرارتنا واختياراتنا، إن إنكار حرية الاختيار هو إنكار لتحملنا المسئولية، وإنكار مسئوليتنا هو إنكار لإنسانيتنا، إن أعظم مآثر الإنسان تتمثل في إنه على الرغم من سعيه لتحقيق الحياة الجيدة المريحة، فهو على استعداد للموت كي يثبت إنه إنسان." *

سيدني هوك

* Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom** (New York: Criterion Books Inc, 1959) pp. 67,68.

مفهوم الحرية والديمقراطية عند سيدني هوك

من أكثر الألقاب التي أُطلقت على سيدني هوك أنه " فيلسوف الديمقراطية والحرية."[1] وذلك لقوة إيمانه بهما ولشدة دفاعه عنهما، فما هو مفهومه للحرية والديمقراطية، وما هي ضمانات تطبيقهما؟ وما هو تصوره للديمقراطية الأمريكية– إذا ما تواجدت؟ وهل تصوره لها وافقه عليه غيره من الفلاسفة الأمريكيين؟ في السطور الآتية محاولة للاجابة على مثل هذه التساؤلات وغيرها.

أولًا: تحديد المفاهيم

1- مفهوم الحرية

يرى هوك أن تحديد معنى الحرية يعد أمرًا صعبًا، فكلمة الحرية من الكلمات التي يطلقها الناس بمعنى ويطبقونها بمعنى آخر، فعندما يراهن البشر بحياتهم من أجل الحرية، فإن قليلين منهم هم الذين يستطيعون قول ما يقصدونه من ذلك، وأقل القليل هم الذين يتفقون حول معنى محدد.[2]

ومع ذلك يقرن هوك بين معنى الحرية والمفهوم السياسي، فيرى أن أول خطوة تجاه تعريف معنى الحرية أن ندرك أننا في معظم استخداماتنا الحالية لها نعني الحرية السياسية، وعندما نقول "إنه يجب أن يكون للحرية الأهمية الأولى في مجمل اهتمامتنا " Freedom First" فإننا نشير إلى حق وسلطة الناس في تحديد طبيعة الحكومة

---

[1] See: Paul Kurtz, **Sidney Hook: Philosopher of Democracy and Humanism**, p. XI.

[2] Sidney Hook, **Marxism and Beyond** (New Jersey: Rowman and Little Field, 1983). p . 175.

التي سيعيشون في ظلها ومن هؤلاء الذين سيكونوا حكامهم."[1] وهذا ما يذهب إليه أيضا جيوفاني سارتوري فيقول: "ليست الحرية السياسية هي نفسها الحرية السيكولوجية أو الفكرية أو الأخلاقية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية أو القانونية الطابع؛ فالحرية السياسية تفترض وجود مثل هذه الحريات مسبقًا، كما إنها تدعمهم."[2]

وإذا كان المعنى الشائع للحرية عند الجميع– كما يعرض هوك– "إنها تلك القوة التي تؤثر على رغبة الفرد دون أن يعوقه عائق من قبل الآخرين"،[3] فإن هوك يُعرفها بأنها تتمثل في غياب التعسف أو القيد الذي يفرضه الآخرون على التعبير الفعّال عن رغباتنا، والحرية السياسية هي مسألة درجة، وفي أفضل الاستخدامات توافقا لكلمة "حرية " فإن الحكومة يطلق عليها حكومة " حرة " عندما تتواجد معارضة قانونية لها اعتبارها، ويسمح لها بالتحرك، وأن يكون لها دور، وهكذا يكون من الممكن للأقلية أن تصبح بشكل سلمي أغلبية، وكذلك أن تكون الموافقة المعطاه من قبل الجماهير موافقة معطاه بحرية[4] Freely Given Consent وعلى نحو أكثر تحديدًا، إذا لم تكن حريات الكلام، والصحافة، والاجتماع، وتشكيل الاتحادات، وباقي الحريات المرتبطة بهم والمنصوص عليها في وثيقة الحقوق، مكتوبة كانت أم غير مكتوبة، إذا لم تكن هذه الحريات في مأمن قانوني من أية عقوبات فليست هناك ثمة حرية سياسية أصيلة، والمهم بمكان هنا هو التأكيد على تفعيل هذه الحريات في الواقع وليس تدوينها على الورق.[5]

يربط هوك الحرية بالمسئولية، ويرفض أن يتنصل الإنسان من مسئوليته تجاه

---

[1] Ibid, p 177.

[2] Giovanni Sartori, **Democratic Theory** (Bombay: Oxford and IBH publishing, 1965).P. 279

[3] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, (with a new Introduction), (New York: Prometheus Books, 1987) p. 12.

[4] سيتم الاشارة إليها لاحقا بشئ من التفصيل.

[5] See: Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, p. 177.

أفعاله حتى وأن أدعى أنه لم يملك فيها حق الاختيار أو أدعى أنه القدر هو الذي دفعه إلى ذلك دفعا، فليس ثمة ظروف– حسب رأي هوك - تُجبر الإنسان على فعل شئ وخاصة الأفعال الخطأ ويضرب مثالا على ذلك فيشير إلى قضية تناولتها محكمة هاموفر Hamover في العام الأخير من جمهورية فيمار – الألمانية - ذلك الوقت حسب رأي هوك حيث كنت تجد مجرمين أكثر فصاحة وتفلسفا ربما من قضاة الرايخ الثالث نفسه ويقول هوك عن القضية: "تناولت المحكمة قضية رجل يُدعى" فالديمار ديبلير Waldemar Debbler "، الذي أُدين بالسرقة، وطالب الإدعاء بالحكم عليه عامين مع الأشغال الشاقة . وهنا نهض المتهم وقال:" أيها السادة، إن من ترونه أمامكم هو ضحية لقدر لا مفر منه. فتلك التي يُطَلق عليها حرية القرار لا وجود لها. فكل فعل إنساني في هذا العالم محدد. فالظروف تفرض علينا أسبابًا وعللًا، ثم تأتي النتائج الحتمية. فبعوامل شخصيتي، التي لست مسؤولا عنها، طالما ولدت بداخلي، وبنشأتي وبتجاربي ... بكل ذلك دُفعَت دفعا كي أكون على ما أنا عليه، أيها السادة لوكنتم توارثتم نفس ظروفي وتأثرتم مثلي بنفس المؤثرات لكنتم اتُهمتم أيضا بجريمة السطو كمثل تلك التي اتُهَم بها في هذا الموقف. أنظروا إلى آراء سبينوز[1] ، وليبنتز[2]، وحتى

---

[1] باروخ اسبينوزا (1632 – 1677) يعد من رواد المذهب العقلي rationalism في القرن السابع عشر ، وهو عالم النفس والعالم الميتافيزيقي وعالم المعرفة والفيلسوف الأخلاقي ، من أشهر مؤلفاته : مبادئ الفلسفة الديكارتية 1663 ، والرسالة السياسية ، والأخلاق. أنظر :

Robert Audi, **The Camberidge Dictionary of Philosophy**, Pp. 870 – 873. edition II, 1999

وأنظر :علي عبد المعطي، **تيارات فلسفية معاصرة** (الإسكندرية :دار المعرفة الجامعية، 1995)

[2] ولد جوتفريد فيلهيم ليبنتز Gottfrird Wilhem Leibinitz في الثالث من شهر يوليه في مدينة ليبزج بألمانيا عام 1646 ، التحق بجامعة ليبزج ثم جامعة ييبا حيث درس الرياضة والتاريخ على يد استاذه" فيجل". وكانت له اسهامات متعددة في الرياضيات والفيزياء والفلسفة. من أهم مؤلفاته: فن الارتباط ، اعتراف الطبيعة ضد الملحدين ، مقالات جديدة في العقل البشري ، المونادولوجيا ومبادئ الطبيعة والعناية وتوفي في عام1716. أنظر .Robert Audi, pp. 491 – 494. II edition

أغسطين[1] ، فجميعهم نسبوا الأفعال الإنسانية إلى حكم المصير الذي لا مفر منه. فقد فعلتُ فقط ما كان مُحتمًا علي أن أفعله، وهكذا ليس لكم الحق أخلاقيا في معاقبتي، ومن ثم أحكموا ببرائتي."

وعلى ذلك ردت المحكمة فقالت: "لقد تابعنا وجهة نظر المتهم بعناية، فكل ما يحدث هو النتيجة الضرورية التي لا مفر منها لعلل مسبقة لا يمكن تغييره، وهكذا اتُهم المسجون بسبب شخصيته وتجربته، فبسبب شخصيته وتجربته حَكَم مصير المسجون عليه بأن يقترف جريمة السطو، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يفرض ويقرر المصير أيضا أنه يجب على المحكمة، بناء على الأدلة والشهادات المقدمة أن تحكم بإدانة السجين بجريمة السطو، فبناء على العلل المتوفرة - ارتكاب الجريمة والقانون وطبيعة الحكم - فإن الحكم بالإدانة والعقاب هما نتائج طبيعية. " وعندما سئل المسجون إذا ما كان قد قبل الحكم أم لا فقال: " إن مصيري يحتم علي أن أطلب الاستئناف " فأجاب القاضي: "ربما، ومع ذلك فالمصير سيحتم أن طلبك للاستئناف مرفوض."[2]

2- مفهوم الديمقراطية

يشير هوك إلى أن الديمقراطية مثلها مثل الحرية من المصطلحات المُربكة التي أدعاها من لا يطبقها مثلما فعلت أكثر النظم التي عُرفت بالديكتاتورية فيقول هوك

1999، وأنظر :علي عبد المعطي ، تيارات فلسفية معاصرة ، دار المعرفة الجامعية، 1995).

[1] القديس أغسطين(354 – 430) فيلسوف مسيحي وأب للكنيسة ، و يعد فكره مصدرا هاما من مصادر الفكر المسيحي الكنسي في الغرب . من مؤلفاته" مدينة الله The City of God"، والثالوث المقدس Trinity .

أنظر: Robert Audi, pp. 60 – 61

[2] Sidney Hook , **The Quest for Being**, (New York: Prometheus Books, 1991). pp.26, 27.

: "إن الديمقراطية كنموذج للحياة الاجتماعية، أدعى كل ديكتاتوريين العصر تطبيقها والحرص عليها. فأصر كل من هتلر وستالين[1] وموسوليني بشدة على أن الأنظمة التي يحكمون بها ... هي أنظمة ديمقراطية على أعلى المستويات."[2]

ولذلك يُحدد هوك حديثه عن الديمقراطية فيشير بأنه عندما يتحدث عن الديمقراطية فإنه يتحدث عن الغرب وعلى وجه التحديد عن الولايات المتحدة فيقول: "المجتمعات الديمقراطية هي مجتمعات أوروبا الغربية وأمريكا وبعض الأماكن الآخرى من العالم، التي تتواجد فيها مؤسسات تقوم على الاختيار المُعطى بحرية بشكل مباشر أو غير مباشر من قبل الأغلبية الراشدة من السكان."[3]

يصف هوك الديمقراطية التي لها جذور في الإرث الأمريكي بأنها: " العملية التي من خلالها تأسست الحريات " وهي أيضا: "تُشير في معناها وأهميتها التاريخية، إلى شكل الحكومة، فقط شكل الحكومة؛ فالحكومة ديمقراطية بالقدر الذي يتمتع فيه هؤلاء الذين يتأثرون بقراراتها بالمشاركة بشكل ما في تحديد طبيعة القرارات، وافتراض

---

[1] جوزيف ستالين : ولد في عام 1879 في جوري التابعة لجورجيا التي كانت ترضخ تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت .على الرغم من أنه تعمق في دراسة المسيحية الارثوذكسية في بادئ الأمر إلا أنه سرعان ما هجرها وتشبع بفلسفة ماركس ، وعمل على نشرها بين العمال ، وبرغم أنه أودع السجن أكثر من مرة إلا أنه واصل منهجه الراديكالي والثوري حتى تحقق له ما أراد حيث تعمقت صلته بلينين ، وبمجرد وفاته استأثر بالسلطة وأطاح بخصومه السياسيين وحكم البلاد بيد من حديد ، وعلى الرغم من أن فترة حكمه تمكن فيها من إحداث تطوير هائل في الاتحاد السوفيتي في تحويله من دولة زراعية إلى دولة صناعية فضلا عن سباق التسلح المحموم مع الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة ، إلا أن كل ذلك كان ثمنه ملايين من أرواح البشر . وتسبب التنافس الشديد بينه وبين الولايات المتحدة في التأثير على تشكيل السياسة العالمية بصفة عامة . وتوفي عام 1953 أنظر :
www.bioghraphychannel.com

[2] Sidney Hook, **Reason, Social Myths and Democracy** (New York: Promethus Books, 1991) p. 283.

[3] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 321

الديمقراطية الأساسي الذي تقوم عليه في نظر من يؤمنون بها أن المواطنين هم أنفسهم أفضل حكام فيما يتعلق بمصالحهم أي هم الذين يقررون مصالحهم أو على الأقل هم أفضل من يقررون ذلك أكثر من أي فرد أخر أو جماعة آخرى . مثل هذا الافتراض يتجاهله دوما المستبدون حتى مدعي التقوى والصلاح." [1]

ويشير كريستوفر فيليبس إلى أن الديمقراطية تعني أساسًا بالنسبة لهوك حماية الحريات المدنية وضمان الانتخابات الحرة النزيهة."[2] وتنطوي الديمقراطية التي يؤمن بها هوك على أمرين أساسيين هما:" المساواة، والحرية السياسية."[3] وهو هنا يتفق مع أليكس دي توكفيل الذي يذهب في كتابه " الديمقراطية في أمريكا " إلى أن الديمقراطية تنطوي أساسا على المساواة فيقول: " إن المساواة بدون حرية تؤدي إلى هلاك المجتمع البشري وأن الديمقراطية لا وجود لها بدون الاثنين معا."[4] ولعل في هذا الرأي اختلاف عن رأي توكفيل والذي يعبر عنه روبرت أيه .دال فيقول: " إن ثمة افتراضات شكلت أساسًا قويًا لتخوف توكفيل من أن المساواة في مجتمع ديمقراطي منظم وله حكومة معينة سوف تُغري بتدمير الحرية، من منطلق الاعتقاد بأن الديمقراطية تسوي كل النتوءات والاختلاقات خلال شكل موحد ثم تفرد" طغيان الأغلبية على الفرد !" ولعل هذا ما استبعده البعض فيعلق جيوفاني سارتوري أن المناداة بالمساواة لا يعني القضاء على وجود اختلافات طبيعية، إن المطالبة بالمساواة هو احتجاج ضد الظلم؛ احتجاج ضد التفاوت الظالم الذي ليس له تبرير."[5]

---

1 Ibid, Pp. 29, 30

[2] Christopher Phelps, **Young Sidney Hook**, p. 214.

[3] Sidney Hook: **Political Power and Personal Freedom**, P. 30.

[4] إبراهيم أباظة وآخر ، **تاريخ الفكر السياسي** (بيروت :دار النجاح،1973) ص. 280.

[5] Giovanni Sartori, **Democratic Theory**, (Bombay: Oxford and IBH publishing, 1965). p. 326.

وإذا كان كانط[1] قد ذهب إلى أن السلطة السياسية لا تكون شرعية إلا بموافقة الشعب حيث يقول:" لا يمكن لهذه السلطة أن تصدر إلا من إرادة الشعب العامة ."[2] فإن هذا ما أكده هوك أيضًا فعرّف الدولة الديمقراطية بأنها: "تلك الدولة التي تقوم فيها وتعتمد القرارات الأساسية للحكومة على الموافقة المعطاه بحرية من قبل المحكومين."[3] ويعرف المجتمع الديمقراطي بأنه " ذلك المجتمع الذي تعتمد فيه الحكومة على الموافقة المعطاه بحرية من قبل المحكومين."[4] ويؤكد هوك أن الديمقراطية:" ليست مجرد نموذج للسلوك الدستوري، بل تأكيد على اتجاهات وقيم معينة تعد أكثر أهمية من أية مجموعة محددة من الدساتير."[5]

أما أهم هذه القيم فيشير إليها بأنها تكمن في الاعتقاد بأن كل فرد يجب أن يُنظَر إليه على أنه يمتلك كرامة وقيمة أصيلة، وتتمثل الحالة الاجتماعية التي تترتب على ذلك في إنه ينبغي أن تمنح الفرص المتساوية من أجل التطور والنمو على أساس نبوغ الأفراد وقدراتهم، إن الاعتقاد في الحق المتساوي لكل أعضاء المجتمع في تنمية شخصياتهم يجب أن يكتمل بالاعتقاد في قيمة الاختلاف والتنوع والتميز؛ فالاختلافات في الاهتمام والانجازات لا يجب أن تجد المعاناة والشقاء، بل يجب أن تجد التشجيع، فالنشوة الصحية المتصاعدة من صراع وتبادل الأفكار والأذواق الشخصية داخل المجتمع الحر هي المصدر المُثمر للخبرات الجديدة الفعالة أكثر مما يُعطى الإطراد

---

[1] إيمانويل كانط (1724 – 1804) فيلسوف ألماني شهير ، تركز جل اهتمامه في تبرير وإثبات سلطة العقل . من أشهر مؤلفاته :نقد العقل العملي الخالص 1788 ، ونظرية العدالة ، ونظرية الفضيلة .أنظر Robert Audi, pp. 461 – 465 :، وأنظر أيضا :علي عبدالمعطي ، تيارات فلسفية معاصرة (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1995)

[2] ايمانويل كانط ، نحوالسلام الدائم ، ترجمة نبيل الخوري (بيروت : دار صادر، 1985) ص. 22.

[3] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, P. 37

[4] Sidney Hook, **Reason , Social Myths and Democracy**, P. 285.

[5] Ibid, P. 294

المميت والسلام القاتم." [1]

والمجتمع الديمقراطي هو أيضًا ذلك المجتمع الذي يحكمه وينظمه القانون، ولكن في ذلك المجتمع يجب أن يضع القوانين – أو يفسرها– الأفراد الذين يعدون وبشكل مطلق مسؤولين أمام المجتمع، ويجب أن يكون المجتمع مجتمعا من ذلك النوع الذي تتحقق فيه المساواة في الأوضاع المدنية civil status ، والذي تعتمد فيه القوانين نهائيا على الموافقة المعطاه بحرية من قبل افراد الشعب الراشدين."[2] والمساواة هنا كما يشير هوك ليست المساواة في الحالة أو المنزلة أو الوضع أو في الثروة والأصل وإنما المساواة في الفرص وإيجاد الوظائف الجيدة والمشاركة الاجتماعية."[3]

3- مفهوم القبول المعطى بحرية: Freely Given Consent

الأصل في معنى كلمة ديمقراطية - كما يذهب هوك – هو الحكم بواسطة الموافقة المعطاه بحرية من قبل المحكومين ويعرفها بأنها: " تلك الموافقة التي تفترض مسبقا الحق الشرعي للمعارضة وحماية الحريات التي تضمنتها "وثيقة الحقوق" ليس فقط على الورق وإنما في الواقع أيضًا."[4] ويرى هوك أن هذا المفهوم يعد بمثابة أحد الحقائق المتعلقة بالثقافة الغربية أو"ثقافة الشعوب المتحدثة بالإنجليزية، وعن أهمية الموافقة المعطاه بحرية يشير إلى أنه بتواجدها يتواجد قلق أقل، وخوف أقل، وتزداد في المقابل الفرصة لوجود حياة رغدة لأكبر قدر من الناس في كل نطاق العلاقات الإنسانية. وحيث يجب اتخاذ القرارات التي تؤثر على غيرها فإن الموافقة المعطاه بحرية تزيد من جودة الأهداف التي من أجلها اتُخذت القرارات، كتسهيل تنفيذ هذه القرارات."[5]

---

[1] Sidney Hook, **Revolution Reform and Social Justice** (New York: New York University, 1975) p. 294.

[2] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, P. 41.

[3] Ibid, p. 38.

[4] Ibid, P. 30.

[5] Ibid, p. 10.

ولا يكتفي هوك هنا بهذه التعريفات وإنما يلقي الضوء على ما تتضمنه من مصطلحات: "المحكومين، والحكومة، والموافقة المعطاه بحرية."

- فيقصد بالمحكومين Governed هؤلاء الأعضاء البالغين المشاركين في المجتمع ...الذين تتأثر طريقة حياتهم بما تفعله أو لا تفعله الحكومة.

- ويقصد أساسًا بالحكومة، الوكالات أو الهيئات الصانعة للقانون والسياسة التشريعية والتنفيذية والقضائية، الذين تحكم أنشطتهم حياة المجتمع."[1]

- والموافقة "المعطاه بحرية" إذا لم تكن قد تمت بحرية فعلًا، فإنها ليست بموافقة أصيلة genuine، ولكن كيف نعرف عندما تكون هذه الموافقة قد صدرت بحرية، أي عندما تكون طواعية ... وليست تحت ضغط أي تعسف؟ يوضح هوك أن: " الانتخابات التي تتم في ظل وجود السلاح bayonets ، أو التي فيها لا يصوت المرء أو لا يقوى إلا أن يصوت بـ" نعم"، أو التي لا يتواجد فيها مرشحين من قبل المعارضة، فهي نوع من الانتخابات التي لا تعد فيها الموافقة قد أعُطيت بحرية."[2]

وهناك حالات أخرى لا تعد فيها الموافقة قد تمت بحرية مثل: " إذا ما ظل المرء جاهلا بالخيارات المتاحة، وممنوعًا عليه الإلمام بالمعرفة وأن يُحرم من فرصة التأثير على والتأثر بـ حريات الآخرين في الاختيار(للخيارات والعطاءات الممنوحة بحرية)، فلا يعد القبول حرًا ، فحيثما يكون إحتكار الوسائل وأدوات التعليم والدعاية، فلا يمكننا الحديث عن تواجد قرار ديمقراطي، وحتى عندما تتم الانتخابات بدون إرهاب أو التواجد المقيد للحرية المرعب من قبل الجيش والبوليس، فلا يمكن قبولها كدليل على إنها تعكس حكم الناخبين إذا لم تكن هناك حرية كلام•، وصحافة وحرية تجمع وخصوصًا حقوق المعارضة."[3]

---

[1] Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy**, p. 285.

[2] See: Sidney Hook, **Political Power ans Personal Freedom**, p. 31.

• سيأتي الحديث عن "حرية الكلام" بشيء من التفصيل لاحقا.

[3] Ibid, P. 31.

ثم يضرب هوك أمثلة لحالات أخرى من التعسف التي ليست أقل في الضغط على تعبير الموافقة؛ فيقول: "فالتهديد، على سبيل المثال، من حرمانهم من وظائفهم أو حرمانهم من وسائل العيش من قبل الجماعات التي تملك سلطة فعل ذلك، فمثل هذا التهديد سيقوض الديمقراطية حتى لو ظل اسمها باقيًا ."[1] ويلعب التعليم دورا كبيرًا ومؤثرًا في جعل القبول" قبولًا مُعطى بحرية " فيقول هوك:" هناك نتيجة ... تتصل بـ "القبول المعطى بحرية "هي غياب احتكار التعليم، حيثما يشمل التعليم كل وكالات النقل الثقافي، خاصة الصحافة."

أما القول بإن الحكومة تعتمد على" قبول المحكومين"، يقصد به أنه في فترات محددة ومعينة تُخضع وتطرح سياستها لاستحسان أو عدم استحسان المحكومين، ويقصد بالقبول " المعطى بحرية" أنه لا وجود لأي تعسف مباشر، أو غير مباشر للضغط على المحكومين للتوجيه أو للضغط عليهم، أما إذا كانت المعلومات تُخبئ قبل أن تتم الموافقة، أو كانت المعارضة تُكمَم، أو تُضطَهد يكون القبول والموافقة بالإجماع كما في الدول الشمولية، أو استخدمت العقوبات الاقتصادية لتهديد قطاع من المجتمع، في هذه الحالة يقول هوك: " فإننا هنا نعلن أن" روح " أو"منطق " أو"عقلانية " أو"شرعية "الديمقراطية غائبة من الأشكال السياسية ". ثم يضيف وإنه كذلك: " في بعض الدول التي تطلق على نفسها ديمقراطية في حين تقتصر الديمقراطية مثلًا على الرجال الأشراف، أو في بعض أجزاء أمريكا حيث تقتصر على البيض، أو في بعض الدول الأخرى حيث تقيد الحرية وتحدد وتقتصر على الرجال، فمثل كل هذه الدول لا تعد ديمقراطية حتى لو أدعت عكس ذلك."[2]

فمحك إذا ما كان المجتمع ديمقراطي هو، "وجود أو غياب الوسائل

[1]Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy**,p. 287.
[2] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, P. 38 .

الوسيطة instrumentalities والتي يمكن من خلالها أن تتحقق تغيرات في الإطراد والثبات نحو تحقيق آمال السكان: الأمال التي تتجسد في الآراء المتعددة والمتبادلة للناس؛ ويعني ذلك بالطبع أنه ليس من حق أية جماعة أن تحتكر وسائل التعليم أو الاتصال وبذلك لا يكون المجتمع الديمقراطي بالضرورة مجتمعًا خيرًا– فربما تكون الأغلبية حمقاء أو متهورة – ولكن بالقدر الذي يكون عليه المجتمع ديمقراطيًا يكون وضعه أفضل من المجتمع غير الديمقراطي فالأول على أية حال أقل تعسفًا." [1]

ثانيًا: إشكالية العلاقة بين حقوق الإنسان بعضها البعض

1- مفهوم حقوق الإنسان

يُعرف سيدني هوك" الحق "بأنه" إدعاء يستتبعه إلزام أو واجب من قبل الآخرين في أوقات وظروف محددة لتحقيقه..."[2] ويشير إلى أنه عندما يتحدث عن حقوق الإنسان، فهو يتحدث عن حقوق أعم من الحقوق القانونية legal rights وأضيق من الحقوق الأخلاقية moral rights [3] ، ويُفسر سيدني هوك ما يقصده من قوله إن حقوق الإنسان أشمل من الحقوق القانونية فيشير إلى أن هناك العديد من الحقوق القانونية، مثل حق التقاضي عند التعرض لخسائر أو إصابات، أو التصرف على نحو معين إذا ما نُكثَ بتعاقد ما، تلك الحقوق التي لا يمكن أن تتواجد في أي قائمة من قوائم حقوق الإنسان، وأيضًا هنالك العديد من الأشياء التي تعد من الصواب فعلها مثل مساعدة شخص ما في محنة، أو قول الحقيقة، وهي أيضًا حقوق من الصعب أن تظهر في وثائق حقوق الإنسان.

ولذلك يقول هوك: "إذن وبصفة عامة، عندما نستخدم تعبير" حقوق الإنسان"، فاننا نعني الإدعاء المبرر بسلطات أو خيرات ينبغي حمايتهم من تدخل الآخرين، كل

---

[1] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, P. 322
[2] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, p.4.
[3] Sidney Hook**, Revoluton, Reform, and Social Justice**, P.270

ذلك... مما ينبغي علينا فعله تحت غطاء الواجب أو الإلزام، بغض النظر عما إذا كانت هذه الحقوق قد وردت في دستور أم لا ..."[1] ويقول جاك دونللي في هذا الصدد: " إن حقوق الإنسان هي تلك الحقوق التي يمتلكها المرء ببساطة لأنه إنسان، وهي بالتالي حقوق أخلاقية رفيعة المستوى."[2]

وحول حقوق الإنسان يشير أيضا جون دومبرل John Dumbrell بأنه في تعريفنا لحقوق الإنسان تتضح ثلاثة عناصر: الحق في حفظ هيبة وكرامة الإنسان – فيما يتعلق بالحبس التعسفي والاعتقالات– ، والحق في تحقيق واشباع حاجات أساسية كالطعام والمآوى، والرعاية الصحية والتعليم، والحق في الحريات المدنية والسياسية – وخاصة المتعلقة بالتصويت، والانتقال، وحرية الكلام.[3]

2– صراع الحقوق والحريات مع بعضها البعض

يربط سيدني هوك بين أن يكون للإنسان حقوق معينة وبين ما يترتب على ذلك من التزامات أخلاقية؛ فيشير إلى أنه بغض النظر عن مصدر هذه الحقوق سواء كانت منسوبة إلى الله God ، أو الطبيعة أو الظروف التاريخية، فما يهم هو طبيعتها.[4] وهو يقصد هنا إخضاعها لمثل هذه التساؤلات: هل من حق الإنسان أن يدعي أن له حقوقًا مطلقة؟ أم أن له حقوقًا يمكن اختزالها وتقليصها من أجل الخير العام؟[5] فالعلاقة بين حق وحق، أو بين حرية وحرية تأتي على شكل صراع ؛ فيكمن الصراع بين الحرية

---

[1] Sidney Hook, **political Power and Personal Freedom**, p.270.

[2] جاك دونلي ، **حقوق الإنسان العالمية ، بين النظرية والتطبيق** ، ترجمة :مبارك علي عثمان ، مراجعة محمد نور فرحات (القاهرة :المكتبة الأكاديمية، 1998) ص. 24 .

[3] John Dumbrell, **American Foreign Policy, Carter to Clinton** (New York: St.Martin's Press, 1997). P. 18

[4] Sidne Hook, **Paradoxes of Freedom**, p.4.

[5] Sidney Hook, **Revoluton, Reform, and Social Justic**e, P.270.

والحرية[1] وليس– على سبيل المثال - بين الحرية والديمقراطية[2] فالحريات تقيد وتحاصر بعضها البعض.

ويؤيده في الرأي بأن الحريات تتصارع مع بعضها البعض كثيرون فيرى البعض أن هناك ثلاثة أنواع من الحريات هي، الحرية الشخصية أو المدنية، والحرية العامة أو السياسية، والحرية الاقتصادية، وعن الصراع بين هذه الحريات يقول باركر: " إذا لم يكن هناك تعارض بين الحرية والقانون، فإن الحرية سوف تعاني من التعارض الداخلي.[3]

وهناك أمثلة عدة لصراع الحريات فمثلًا ، في الولايات المتحدة صراع بين أصحاب معامل الفولاذ والعمال، وقد يطول الإضراب عن العمل لثلاثة أشهر أو يزيد، فمصالح الرأسماليين أن يتم إستئناف العمل، وأن لا ترتفع أجور العاملين لكي لا يرتفع ثمن التكلفة، فيتضرر رأس المال من نقص هامش الأرباح، ويؤكد مالكو المعامل أن في الاضطراب عن العمل حاجزًا دون حريتهم في تسيير الأمور، ويرى بعض المسؤولين الأمريكيين أن من واجب الحكومة الضرب على أيدي العمال لأنهم يعوقون أصحاب الأسهم من حرية التمتع بتشغيل المعامل، وأما حرية العمال، فهي أن يتمتعوا، هم كذلك، بنتائج التقدم التقني وينالوا حظهم من الثروات الاقتصادية والرقي المادي والثقافي .فحرمانهم من هذا التمتع يعتبر كبتًا فظيعًا واستبدادًا بهم.[4]

ويعطي هوك أمثلة لصراع الحقوق فيشير إلى أن الحق في الكلام بصراحة، والحق في المحاكمة العادلة يتعارضان؛ فإذا كانت حرية الكلام، كما تفعل عادة،

---

[1] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 58.

[2] Ibid. p. XI.

[3] أنظر : محمد علي محمد ، علي عبد المعطي ، **السياسية بين النظرية والتطبيق** (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، 1984) " .ص. 368 .

[4] محمد عزيز الحباني ، ص ,ص. 20–21.

تُعرض حق الإنسان في محاكمة عادلة للخطر (على سبيل المثال عندما تتحمس الغوغاء وتندفع بفعل الخطب الحماسية إلى القصاص دون انتظار المحاكمة القانونية) فكيف يمكن للحقين أن يكونا مطلقين؟ أوغير محددين ؟ ماذا يحدث عندما يتصارع حق الملكية مع حق الأمان، عندما تنتهك بشدة حرية الصحافة حرية الخصوصية فأي حق الذي سيخضع للآخر وفي ظل أي ظروف ؟[1]

لأن الحقوق والحريات تتصارع فليس ثمة حق يمكن أن يكون مطلقًا وهكذا فمهما تعددت المذاهب التي تؤمن بالحقوق المطلقة والتي لا يمكن تقليصها فهوك لا يؤيد أن حقا ما أو حرية ما ينبغي الحفاظ عليها دوما مهما كانت عواقبها وتأثيرها على المجتمع وسائر الحريات.[2]

ويتفق برتراند راسل مع سيدني هوك في هذا الصدد فيقول: " الحق أنه لا يوجد إنسان يتمتع بحرية مطلقة أو يخضع لعبودية مطلقة ولا مناص للفرد من احتياج قانون أخلاقي يحكم تصرفاته إلى الحد الذي يستمتع فيه بحريته.[3]

ويتصل إيمان هوك بعدم وجود حقوق مطلقة بعبارة وصفها هوك بأنها عبارة "جميلة" لجون ديوي أُسيئَ فهمها وهي: " لكل موقف خيره الخاص each situation has its own unique good" ويضيف هوك بأن لكل موقف مجموعة حرياته التي يستطيع الذكاء وحده أن يحددها." ولكن كيف؟ أو بأي منهج؟ يجيب: " ينبغي أن يتواجد منهج يحدد ويقييد (الحريات المتصارعة)، وكل ذلك يتوقف على حسب الموقف وملابساته." [4] ويضيف: "يتم ذلك بالديمقراطية؛ فالديمقراطية هي أعدل المناهج وأكثرها

---

[1] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, p. 16.

[2] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 58.

[3] برتراند رسل ، **السلطة والفرد** ، ترجمة محمد بكير خليل ، (القاهرة :مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1953) ص. 95

[4] Sidney Hook**, Political Power and Personal Freedom**, p. 58.

سلمًا من حيث القدرة على حل صراعات المصالح الكامنة في صراعات الحريات." [1]

وإذا كان جيفرسون– أبو الديمقراطية الأمريكية - قد قال إن للإنسان " حقوقًا أساسية فطرية لا يمكن تحويلها أو تغييرها، " فيرى هوك أن هذه المقولة قد تم تأويلها على نحو غير صحيح، ويستدرك قائلًا: " إلا أن جيفرسون نفسه كتب ما يدل على أن ذلك إساءة فهم لم يقصده، فهو يخبرنا بأنه على يقين بأنه: " ليس للإنسان أية حقوق طبيعية تتعارض مع واجباته الاجتماعية فالإنسان مُصير لصالح المجتمع Man was destined for society."[2]

ومع أن هوك يري أن جيفرسون لم يستخدم لفظة حقوق طبيعية فإنه أخذ عليه وكذلك على لوك استخدام لفظة" لا يمكن تحويله أو التخلي عنه inalienable "، ذلك التعبير الذي يقصد به حرفيًا أن حقًا ما من حقوق الإنسان لا يمكن التخلي عنه أو تقليصه مهما كانت الظروف، وهكذا يرى أن جيفرسون عندما تحدث عن أن كل الناس قد ولدوا سواسية لم يقصد الإشارة إلى حالتهم الجسمانية أوصفاتهم السيكولوجية، وإنما إلى المساواة" أخلاقيًا"، فيما يطلق عليه الحقوق الطبيعية."[3]

فما يؤكده هوك هو عدم وجود حقوق مطلقة يصعب تقليصها أو اختزالها، ويقول: "ربما يتساءل أحد الأشخاص: "هل هناك حدود لحريات الصحافة، والكلام، والاجتماع، أم إنها حريات مطلقة، لا يتم أبدًا تقليصها في ظل أية ظروف؟ وهل يمكن للجميع التمتع بهم حتى هؤلاء الذين سيستخدمونها لتدمير النظام السياسي الذي يكفل جعل تلك الحريات ممكنة؟ " ويجيب: " هذه الحريات حريات استراتيجية Strategic ، أي ليست حقوقًا مطلقة، فهناك ظروف معينة يكون فيها من الضروري ولمدة محددة من أجل حفظ النسق الكلي لحرياتنا، أن تختزل حرية أو أخرى من هذه الحريات."[4]

---

[1] Ibid, p. 59.
[2] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, p. 18.
[3] Ibid, p.p. 6, 7 .
[4] Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, p. 178.

3- مبرارات تقييد الحريات والحقوق

يسوق سيدني هوك عددا من المبرارات التي يؤكد بها ضرورة تقييد الحقوق والحريات:

أولًا : عندما يقول أي شخص عاقل انه يؤمن بالحرية، فانه دوما لديه حرية محددة ومقبولة في ذهنه، فهو لا يؤمن حقيقة بالمفهوم العميق للحرية كسلطة أن يفعل المرء ما يرغب دون أن يعوقه عائق من قبل الآخرين. ويشير هوك إلى أن تمتع شخص ما بحرية لا يعني حرية فعل أي شئ يريده دون أي عائق من قبل الآخرين، فهو لو فعل ذلك، فانه يبرر أفظع الجرائم التي اقُترفت ليس ضد الآخرين فحسب، بل وضد نفسه أيضا، وذلك مستحيل سيكولوجيًا.

ثانيًا: في مقابل النقطة الأولى تأتي النقطة الثانية فإذا كانت الأولى تؤكد أن الحرية محددة ففي المقابل عند تمتع شخص ما بحرية ما يستتبع ذلك إلزام من الآخرين تجاهه فيوضح هوك إنه من المستحيل منطقيًا، استحسان كل حريات الفعل، فعندما ندعم حرية معينة، فإننا ندافع أيضًا عن حريات الآخرين.. فإذا أمنت بحقك في الكلام، فحينئذ يجب أن أؤمن بأن حق الآخرين في إسكاتك ومنعك من الكلام يجب أن يُحدد ويُقيد. وإذا أمنت بحقي في الملكية فيجب أن تؤمن بأنه ليس للآخرين الحق في أن يتصرفوا بطريقة ما لحرماني مما أملك.

ثالثًا: ليس هناك ثمة حق معين أو حرية معينة مطلقة، لأن الحريات المحددة التي نستحسنها غالبًا ما تتصارع وهي في الواقع مشكلة أخلاقية، عندما يتصارع الحق مع الحق، والخير مع الخير، والخير مع الحق، إنني أريد أن أكون رحيمًا طيبًا، وأريد أن أكون عادلًا ولكن لا يمكنني أن أكون الاثنين معًا، فالحقوق تنطوي على صراع : إن صاحب الجريدة الثائر المُدعي بأن حق العامة في معرفة الحقيقة هو حق مطلق، وذلك عندما مُنعَ من نشر تفاصيل ما بأمر المحكمة، سيغير لهجته فجأة إذا ما سألته:" وماذا

عن حق العامة في معرفة مصادره ومن الذي سرب إليه هذه التفاصيل." [1]

ويشير ميلتون كونفيتز إلى أن هوك دافع عن الحرية وأعلى من قيمتها وشأنها ولكن ليس أي نوع من الحرية فيقول هوك: " إن هؤلاء الذين نادوا بحرية مطلقة قد أغفلوا عدة اعتبارات مهمة منها ما يلي:

1- إن مفهوم الحرية لا يمكن أبدًا أن يكون ذا نهاية مفتوحة، فيجب علينا أن نحدد بكل وضوح حرية المسجونين والمختلين عقليًا. لقد ركز التحقيق الجنائي وحكم المحكمة في قضية جون دبليوهينكلي- الذي حاول اغتيال الرئيس الأمريكي رونالد ريجان – ركز الانتباه وبشكل درامي على مشكلة الحرية، فلا يمكن التمتع بكل أشكال الحريات أو اعتبارها مقبولة، إن النداء بالحرية هو دائما طلب لحرية محددة، لشئ يمكن الدفاع عنه بوصفه معتدلًا، لشئ ما له ما يبرره.

2- يستلزم النداء بحرية محددة فرض قيد على حرية شخص أخر، فإذا كان لدي حرية كلام، فالآخرين إذن ليسوا أحرارًا في المطالبة بمنعي من التحدث، وإذا كان الاتحاد حرًا في أن يقوم بالإضراب، فالأخرين إذن ليسوا أحرارًا في تقييد هذه الحرية أومعاقبة المضربين.

3- إن حرياتنا غالبًا ما تكون في صراع فحرية الكلام ربما تؤثر على حق الإنسان في محاكمة عادلة، وربما تعد حرية المعرفة تدخلًا أو اختراقا لحق الخصوصية لشخص أخر."[2]

ويقول هوك أيضًا: " لأن الدستور ووثيقة حقوق الإنسان تدافع عن السياق الكلي

---

[1] Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, pp. 178, 179.

[2] Milton R. Konvitz, **Sidney Hook: Philosopher of the Moral – Critical Intelligence** (In) Paul Kurtz (editor) **Sidney Hook: philosopher of democracy and humanism**. P. 11.

المعقد للحريات، فإن الحياة السياسية " الذكية " في الديمقراطية تتضمن إيجاد حلول لصراعات الحريات بطريقة تدعم أمن النسق والبناء الكلي الخاص بحرياتنا، ويعنى ذلك أنه عندما يتصادم الحق مع الحق فان أحدًا منهما يجب أن تكون له الأولوية اعتمادًا على الظروف التاريخية والمفهوم الغامض- وإن كان موثوقا فيه - للرخاء الاجتماعي وللصالح العام ، فعلى سبيل المثال تكفل وثيقة الحقوق للفرد الحق في محاكمة عادلة، وتكفل كذلك حرية الكلام وحرية الصحافة، ولكن ما الذي سنفعله إذا كان ممارسة حق حرية الكلام والصحافة ستتعارض مع حق الفرد في محاكمة عادلة؟ فمن يرضخ لمن؟ وفي ظل أي ظروف؟ وعلى ضوء أية اعتبارات؟ إن قوانيننا تسعى إلى حماية الأفراد من الفتنة، والقذف بالنشر، ومن التحريض للعنف، والخيانة، والغزو الأجنبي، مما يخول فرض بعض القيد على حرية الكلام . والمشكلة هنا هي أين ومتى وكيف (يُفرض هذا القيد) ."[1]

وفي محاولة إيجاد حل لمشكلة الصراع بين الحقوق والحريات يؤكد هوك أنه ليس هناك كتاب ما باتباعه آليًا تُحلَ المشكلة. إن إحداث التوازن بين الحقوق والحريات المتصارعة بعضها ضد البعض الآخر يتم على ضوء المصلحة وعلى ضوء حفظ النسق الكلي لباقي حقوقنا، وهذا هو لب العملية السياسية الديمقراطية.[2]

وهنا تبرز النزعة البرجماتية التي يقوم عليها فكر سيدني هوك في المعاملة فردود الأفعال لا تتم على أساس امتلاك الناس لخصال معينة بقدر ما تقوم على أساس نتائج هذا التعامل. وهذا ما يؤكده بقوله إن ما يجعل منهجًا ما للمعاملة أكثر حكمة أو أفضل وأكثر قبولًا عن غيره هو نتائج أوثمار ذلك المنهج.[3] فضلًا عن عملية البحث والتقصي فيقول هوك: "فكيف لنا أن نحل هذا الصراع دون الاعتماد على عملية البحث؟ ! والنظر إلى الظروف العامة وسوابق الظاهرة موضع الصراع، وما سيترتب

[1] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 270.
[2] Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, p. 179.
[3] Sidney Hook**, Revolution, Reform, and Social Justice**, p. 275.

من نتائج.. الخ. إن الدليل والبرهان التاريخي حول الاتجاهات هو خير مرشد لنا إلى معرفة كيف أنه كلما كان اتجاه ما مطلقا كلما كان متعصبًا، غير متسامح غير مبالٍ بالنتائج ولا الثمن الذي سَيدفع نتيجة تعصبه هذا. [1]

ويتفق مع هوك في رفض أن تكون الحقوق مطلقة إيفور براون Ivor Brown فيقول:" إن القول بإن الإنسان ولد ومعه عدد هائل من الحقوق المطلقة التي لا يمكن تقليصها أو تحويلها ما هو إلا ضرب من السخف واللامعقول، ولكن ذلك لا يبرهن على أنه ليس للإنسان حقوق على الإطلاق، لقد ولد الإنسان بحق علوي لا يمكن تقليصه وهو الحق في أن يكون لديه حقوق، أو بعبارة أخرى الحق في معاملة آدمية وأن يؤخذ هذا الحق في الإعتبار وعلى نحو متساوٍ أمام الحقوق العملية المتنوعة التي يجب أن يحصل عليها الرجل والمرأة والطفل، والتي يجب أن تقام على ضوء المنفعة العامة والسعادة الكلية."[2]

إذن رفض هوك تمامًا أن ثمة حقوق معينة هي حقوق مطلقة يصعب تقليصها أو تحديدها في وقت من الأوقات، ومن هذا المنطلق هاجم عددا من الشخصيات البارزة التي أمنت بأن حقوق الإنسان مطلقة مثل:" الكسندر ميكون " Alexander Meikkjhon الذي رأى أن هناك مطلقات في نص التعديل الأول للدستور الأمريكي First Amendment فيقول: " لا يمكن لأحد أن يقرأ بعناية نص التعديل الأول ويخفق في إدراك ما فيه من مطلقات absoluteness ، فعبارة: "لن يُشرع الكونجرس أي قانون" يقلص من حرية الكلام" ، هي عبارة... تعترف بعدم وجود استثناءات في ظل أية ظروف..."[3]

---

[1] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, p.19.

[2] Ivor Brown, **The Meaning of Democracy**, (London: Gerald Duck worth Ltd,1950) p. 51.

[3] Ibid, p. 15 .

ويعقب هوك بأن في ذلك إساءة تفسير وقراءة خطأ لجيفرسون – كما سبق الإشارة.. وهي قراءة خطأ لما قصده جيفرسون لان التأكيدات CHECKS التي وضعها حول الحكومة كانت أخلاقية وليست مطلقات ميتافيزيقية، فقد أعلن في أول خطاب ألقاه عقب توليه الرئاسة: " يجب أن تكون إرادة الأغلبية صواب rightful ، ولكن كي تكون على حق يجب أن تكون معقولة.. reasonable وكي تكون معقولة يعني أن لا تكون مطلقة حول أي شئ فيما عدا أنها معقولة."[1]

وهاجم أيضا روبرت ماينارد هوتشينز- Robert Maynard Hutchins الذي شغل منصب وزير الخزانة لعدة سنوات - واعتبره هوك بأنه ينتمي إلى حركة أعاقت بشكل أساسي الدفاع الواعي عن الحرية وبأنه ينتمي إلى الليبرالية الشعائرية Ritualistic Liberalism التي وصفها هوك بأنها: " تلك التي تعتمد على اللغة أكثر من اعتمادها على المنطق، وعلى الشعارات أكثر من اعتمادها على تحليل المشكلات في سبيل الدفاع عن الحرية، فهي لا تعيد التفكير حول الموضوعات والمواقف من جديد، ولكن تضع عبارات ومبادئ وحلول شعائرية ولغوية اشتقتها من الماضي كما لو كانت هي الحلول الأمثل لمشكلات وقضايا مُعقدة جديدة."[2]

وينتقد هوك أيضًا أراء المستشار بلاك قاضي المحكمة الدستورية العليا Justice Black فيشير إلى أن القاضي بلاك، عندما يتحدث عن حق" مطلق" فهو يعني سلطة أو إلزامًا أو واجبًا لا ينتهك unavoidable غير محدود unlimited ، وغير مشروط unconditional ، لا يمكن تقليصه inalienable ، في ظل أي ظروف مهما كانت حالة الطوارئ داخل الأمة، أوسيُعرضها للخطر."[3] وكان مما قاله القاضي بلاك: "في اعتقادي تتواجد مطلقات absolutes في وثيقة الحقوق Bill of Rights " وفي إجابته عما إذا كان يمكن تقليص الحقوق الواردة في وثيقة "

[1] Ibid.
[2] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 268.
[3] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, p. 25

الحقوق من أجل الصالح العام... أجاب: "لا".[1]

4- حرية الكلام بوصفها نموذجًا لما قصده هوك بالحريات الاستراتيجية

لقد تمسك هوك بحق الإنسان في حريات عديدة، وفي الوقت نفسه تمسك بأنه ليست هناك حقوق مطلقة، وأطلق على هذه الحريات لفظة حريات استراتيجية فيقول: "وطالما أن الديمقراطية هي العملية التي بواستطتها يتم التوفيق بين الحريات، فإن بعض الحريات في بعض أوقات الحياة يجب اختزالها في حالة الضرورة، ويقود ذلك إلى مفهوم استراتيجية الحريات أوالحريات المفضلة Strategic preferred freedoms الذي يعتمد عليه توظيف وتفعيل عملية الديمقراطية."[2]

ومن هذه الحريات **حرية الكلام**، فقد رفض هوك أن يكون للإنسان الحق في حرية الكلام بشكل مطلق وفي أي ظروف. وجاء موقفه هذا انطلاقا من إيمانه بخطورة الكلمة فيرى أنها لا تقل خطورة عن أكبر التهديدات للمجتمع الديمقراطي فيقول: " إن من أكثر التقينات الشائعة لتحطيم المجتمع الحر هي إنحطاط الكلمة the degradation of the word، فتمييع الكلمة هي الظاهرة التي تميز عصرنا."[3]

وعن خطورة الكلمة والأفكار عامة يشير هوك إلى أنه على الرغم من وجود كل أنواع الأسلحة المثيرة للجدل، فما كان يصدق على الماضي، عندما كانت الكائنات البشرية يواجهون بعضهم البعض ليس بأكثر من عضلاتهم والعصى والحجارة، مازال يصدق على الحاضر فالذراع ليس أكثر قوة من الإرادة والعزيمة التي تكون وراءه، وليس أكثر حكمة من الأفكار التي ترشده وتقوده. الأفكار في ذاتهم، بالطبع، ليست كافية لإحراز هدفهم في عالم القوى المادية، ولكن في شئون الإنسان تعتبر الأفكار دائمًا

[1] Ibid, P. 14.
[2] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. XI.
[3] Ibid, p. 82

ضرورية وأحيانًا تكون حاسمة، لقد ذهب وليم جميس إلى أنه من الأكثر أهمية لصاحبة النُزل أن تعرف فلسفة نزيلها من أن تعرف محتويات حقيبته – فلوكانت تريد التنبؤ بسلوكه، فالمرجع هنا مفهومه للصواب والخطأ، الإلتزام والشرف . ربما يعترض أحد فيقول: "أليست هذه الأفكار تتصل بمصلحة ذاتية مادية بل وإن المصحلة الذاتية المادية هي التي سببتها؟" وعلى هذا الادعاء يقول سيدني هوك: " ليس دائما، وفي كل الأحوال وفي أي حدث إنها الأفكار التي ربما تلعب الدور الحاسم. لقد ذكر كارل ماركس ذات مرة: " إنه ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، ولكن على النقيض، وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم. " وهذه نصف الحقيقة . إنني أتحدي أي شخص يفسر وعي وسلوك ماركس الخاص، أو وعي وسلوك أنجلز - هؤلاء الفلاسفة الذين مازالت ظلال أفكارهم سائدة العالم المعاصر – في ضوء وجودهم الاجتماعي، فكارل ماركس، الذي لم ير أبدًا مصنعًا من الداخل، قد التحق بوظيفة مبعوث في الحكومة البروسية في عهد بسمارك. وكان من الممكن لأنجلز أن يقضي حياته كشاب مترف ينعم في فائض القيمة الذي جمعته مصانع والده من عرق عمال مانشستر. إن أفكارهما لا يمكن تفسيرها في ضوء وجودهم الاجتماعي."[1] ويتفق معه في الرأي أيفور بروان فيتحدث عن خطورة الكلمة والأفكار فيقول: "لقد أصبحت الأفكار المجردة هي الأسلحة العقلية المتطورة للإنسان، كمثلما تعد المتفجرات المتقدمة أسلحته المادية المتطورة. وهكذا ربما تعد هذه الأسلحة خطيرة لهؤلاء الذين يستخدمونها. ومن هنا أصبحت اللامبالاة وعدم الدقة في استخدام وتداول الفكرة لا يقل خطورة عن اللامبالاة وعدم الدقة في استخدام وتداول المتفجرات. وهذه حقيقة أدركها سقراط[2]، المعلم المحير

[1] See: Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, pp. 175, 176.

[2] سقراط (470 – 399 ق.م) فيلسوف الإغريق الذي يمثل علامة فارقة في تاريخ الفكر الفلسفي فهو على مستوى الفلسفة اليونانية يؤرخ به : قبله وبعده وهو على مستوى الفكر العالمي أحد أكبر الحكماء القدامى . اهتم بالعلم الطبيعي واجتهد في تحديد معاني الألفاظ والمصطلحات تحديدا جامعا .وجاء موقفه في الأخلاق كرد فعل لموقف السوفسطائيين الذين أكدوا أن الإنسان هومقياس الأشياء جميعا .فحاول سقراط هدم النظرية السوفسطائية . أُتهمَ بالكفر بالآلهة ، وبتعليم التلاميذ تغليب الباطل على الحق وتمت محاكمته وادانته ثم اعدامه

الذي عاش في نهاية العصر الذهبي الأثيني فقد استخلص: " إن الفكر المفكك loose thinking ضار بالضبط بضرر الحياة المفككة loose living . بل والأكثر من ذلك فقد آمن، صوابا كان أم خطأ، أن الفكر المفكك هو علة الحياة المفككة. ولذلك حمل على عاتقه إزالة هذا الشر وكان منهجه في ذلك هو التأكيد أن هؤلاء الذين يستخدمون الأفكار المجردة يجب أن يكونوا قادرين ومستعدين دوما على تعريفها. ولذلك حمل مستمعيه وطلابه إلى العديد من المناقشات والمجادلات حول المعنى الحقيقي لهذه التجريدات مثل الشجاعة والعدالة[1]. ويطبق هوك ذلك على الحياة المعاصرة حيث شاعت الكلمات والأفكار المجردة وانتشرت في الوقت الذي يعد فيه عدد الناس القادرين على تعريف بوضوح ما يستخدمونه عادة من مصطلحات قليلون للغاية، أي، ووفقا لمنهج سقراط، انتشر الفكر المفكك.

وعن خطورة الكلمة يقول هوك: " إذا كان الكلام لا يقتل بالمعنى الحرفي للكلمة، فبمقدوره الضغط على زناد الفعل الذي يقتل أحيانا. فمن أجل الحفاظ على النسق الكلي لحرياتنا المقبولة، ربما كان علينا – تضييق واحدة أو اثنتين من حرياتنا الاستراتيجية لوقت محدد أو في مكان محدد." [2]

وعلى خلاف موقف هوك نجد موقف من أيدوا حرية الكلام وعدم وضع قيود على مثل هذه الحريات فمثلا يقول برتراند رسل :" إن حرية الكلام والتفكير هما أعظم دعامات للمجتمع الحر الذي يكون فيه من الممكن للباحث عن الحقيقة أن يدع الحقيقة

بتجرع السم . فأصبح شهيد الكلمة وحرية الرأي. أنظر : حربي عباس عطيتو، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان (القاهرة :دار المعرفة الجامعية،1997) ص. 265 – 284. وأنظر أيضا :محمد علي أبوريان ، تاريخ الفكرالفلسفي ، الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص ص.109 – 124.

[1] Ivor Brown, **The Meaning of Democracy**, pp. 22, 23.

[2] Milton Konvitz , p. 11.

تقوده إلى أيما كانت النتائج، وبذلك يشارك كل شخص في الخير." [1] ويقول رودني أ . سموللا: "إن الكلام الحر هو أداة لا غنى عنها للحكم الذاتي في مجتمع ديمقراطي وقد نصت المحكمة العليا على أنه: " مهما كانت الخلافات الموجودة حول تفسيرات التعديل الدستوري الأول، فإن اتفاقًا عامًا تقريبًا على أن الهدف الكبير وراء هذا التعديل هو حماية حرية مناقشة الشئون الحكومية. وكتب القاضي براندیز Louis Brandies : "إن حقك في الحرية في أن تفكر كما تشاء، وأن تتحدث كما تفكر هو من الوسائل التي لا غنى عنها لاكتشاف ونشر الحقيقة السياسية."[2]

ويقول أيضا سموللا:" إن القول البديهي الذي يتردد كثيرا أنه ليس من حق أحد أن يصيح كذبا " "حريق ... حريق" في مسرح مزدحم، هو قول خالٍ أيضا من أي مضمون مفيد . وعند ترديد هذا القول المبتذل كان الناس ينسون عادة كلمة " كذبا " فمن المؤكد أنه من المسموح أن يحذر الناس من الحريق بالصياح قائلين" حريق " وذلك عندما يكون هناك حريق فعلا . إن هذا القول المأثور أو الحكمة توضح فعلا نقطة واحدة صحيحة هي أن الكلام قد يؤدي إلى حدوث ردود أفعال مادية يمكن التنبؤ بها وحافلة بالمخاطر، مثل ذعر الجماهير الذي يُسحق فيه بعض الناس تحت الأقدام في محاولات الهروب مع الذعر . ولكن هذا هو كل ما يصوره القول المأثور أو الحكمة . فهو لا يقول لنا – مثلا – هل يجب عقاب الشخص الذي يعتقد " لسبب ما أن المسرح قد اشتعلت فيه النار، ولكن يتضح فيما بعد أنه كان على خطأ . وأعمق من ذلك أن الحكمة لا تقول لنا إلى أي مدى يمكن أن نحاول مد التشبيه في الكلام لتشمل الميدان العام للمناقشات العامة - وما هو المسرح المقصود في الحكمة وفي

---

[1] Bertrand Russell, **Wisdom of the West** (edited by Paul Foulkes) (New York: Fawcett World Library, 1966). Second Printing, p. 409.

[2] رودني أ .سموللا ، **حرية التعبير في مجتمع مفتوح** ، ترجمة كمال عبد الرؤوف (القاهرة : الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 1995) . ص. 24

التشبيه؟ وماذا نعني في التشبيه عندما نصيح" حريق... حريق"؟ ومن الذي يقرر أن الإنذار كان كاذبا؟ وعندما تكون الدولة في حالة حرب هل تعتبر البلد كلها هي "المسرح " المقصود في الحكمة؟ وهل تكفي أية معارضة لحكمة الخطة الموضوعة لأن يصيح المرء: "حريق ... حريق"؟ إن الكليشيه في الحكمة يقول لنا فقط إنه عند نقطة ما فإن اقتراب الحديث من العمل الذي يتسبب في أذى يحيث تصبح قريبة بدرجة تكفي لتبرير فرض قيود على الحديث ولكنه لا يبلغنا إلى أي مدى يقترب الكلام من حافة الخطر."[1] ويقول ردوني: " لقد علموني أن العصى والاحجار قد تكسر عظامي، ولكن الكلمات لن تؤذيني إطلاقا."[2] ومن الواضح أن هؤلاء يتناولون الأمر على ماديته البحته غير مدركين لخطورة الكلمة في إيجاد الفعل، فكأن ما قد يؤذي هو فقط السلاح أو الأذى المادي المباشر متناسين أن كل ذلك تحركه الكلمة والفكر.

وفي الوقت الذي يرى فيه رودني سمولا أن لا حجر على حرية الكلام حتى لو كان إدعاء بأن ثمة حريق اشتعلت في مسرح كبير، يشبه هوك الاعتراض على وجود تحكم في حرية الكلام بمثل من يرفضون أن تتواجد قواعد للتحكم في المرور فيقول: "كأن نقول إن وجود قواعد للمرور لهو أمر غير قانوني وغير صحيح لأنها تقيد حرية الحركة المطلقة، وفي ذلك إغفال لحقيقة أن هذه القوانين تساعدنا على الوصول إلى ما نقصده بشكل أضمن وآمن وأكثر حرية ... أيهما أكثر معقولية إدعاء هوتشينز Hutchins بأن حق الفرد في حرية الكلام مقدسة ودائم، أو ما ذكره المستشار هولمز بأن" أقصى حماية لحرية الكلام لن تحمي شخصا ما أدعى كذبا بأن هناك حريقا بمسرح."[3] فيؤكد هوك أنه كيف يمكن لأي شخص أن يدعي أن له الحق المطلق في أن يفعل ما يريد دون أدنى اعتبار بنتائج فعله:" هناك أوقات تعد فيها أفعالا ولتكن حتى

---

[1] نفس المصدر السابق ، ص. 40

[2] نفس المصدر السابق ، ص. 39.

[3] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, P. 27.

مزحة حول زراعة قنبلة في طائرة تعد عملا بربريا antisocial يستوجب العقاب. لأننا لا نستطيع أن نخاطر في الموقف الذي يتم فيه رفض التحذير الحقيقي باعتباره مزحة أخرى.!"[1]

5- الخط الفاصل ما بين الديمقراطية والديكتاتورية في تقليص الحقوق

لقد رفض هوك إذن أن هناك ثمة حقوق مطلقة لا يمكن تحديدها وتقليصها وقت الضرورة، ولكنه مع ذلك، وبشكل جدلي يعكس عمق فكر الفيلسوف، يستدرك بعرض قضيتين تتعلقان باختزال الحقوق والحريات ويطرحهما على شكل السؤالين التاليين:

أولا: أليس ذلك الحق الذي من أجله اختزلنا وقلصنا حقًا آخر قد أصبح حقًا مطلقًا عندما فضلناه في ظل ظروف ما على غيره من الحقوق المتصارعة معه؟ [2]

ثانيا : ألا يعد تقليص الحقوق في الدول الديمقراطية عامل تشابه مع ما يحدث في الدول الديكتاتورية التي يقول الطغاة فيها بأنهم يقلصون الحقوق والحريات التي يؤمنون بها من أجل الصالح العام؟! [3]

وفي إجابة هوك على ذلك يشير إلى أن الحق الذي تم تفضيله هنا بواسطة القاعدة التي تحكم الصراع بين الحقوق ليس مطلقا وإنما هو ظرفي except conditionally فهو الأكثر حسمًا وحزمًا في مجموعة الظروف المحيطة. فهو يرشدنا لاتخاذ القرار في مجموعة من الحالات التي أنشأتها نفس صراعات الحقوق في ظروف مماثلة. فلا يعمينا أو يضللنا إلى الأبد، فإذا كنا نقصد بقول" مطلق " أمر ثابت غير متغير unchanging ، وما لا يمكن أن يتغير unchangeable ، فحينئذ

[1] Ibid, p. 17.
[2] Sidndy Hook, **Paradoxes of Freedom,** p. 22
[3] Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, P. 179.

ربما سنقول إنه فقط لو تكرر حدوث الإجمالي النهائي للظروف والافتراضات ربما اعُتبَرت القيمة التي عبرنا عنها باتخاذ القرار ربما قيمة مطلقة. ولكن الطبيعة المحضة للحياة الاجتماعية والتاريخية تدل على أن الظروف أو الافتراضات تتغير، أما الثابت فهو العقول الواعية المتفتحة للاعتبارات الجديدة، والمستوعبة للأفق الجديدة للمعرفة والمولدة والمفجرة للاهتمامات ... فكل هذه الأمور وغيرها يجب أن تدخل في الحسبان عند اتخاذ القرار."[1] وهكذا يبرر هوك أنه في ظل ظروف ما يمكن التحيز لحق من الحقوق دون أن يعد ذلك الحق مطلقًا في كل الأحوال؛ حيث أنه ليس من المتوقع أن تتكرر نفس الظروف.

وهكذا نكون بعيدين عن التعصب الذي يراه هوك بأنه اتجاه ساد في التاريخ لا ينظر أبدا إلى الطرف الآخر ومدى احتمال صواب موقفه، بل بتعصبه وبنمطه المتصور أنه ذاتيا صاحب الحق المطلقself-righteousness يشل أية محاولة لإيجاد حلول للصراعات. وعن النتائج السلبية للتعصب يشير هوك إلى أن أولها والتي تأتي على نحو طبيعي ومنطقي من الممكن للمرء الذي يعتقد بأنه على حق مطلق أن يتسامح مع الخطأ، ولكن سيكولوجيًا يكون الاعتقاد المطلق لدى الفرد بأنه صاحب الحق المطلق أمرًا كفيلًا بقيامه بالاضطهاد، ويعطي هوك أمثلة على ذلك – جاء بها من التاريخ - فيقول: " إن هناك من أصحاب الاتجاهات المطلقة من كانوا ضحايا أبرياء لآخرين أصحاب توجهات مطلقة مثلما حدث للسير توماس مور[2] Thomas

---

[1] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, p. 22.

[2] السير توماس مور والذي لقب فيما بعد بلقب القديس (1478 – 1535) من أشهر مؤلفاته" اليوتوبيا 1515 والتي يعبر فيها عن تصوراته لمدينة فاضلة ومواطن فاضل وهي تأتي امتدادا لأفكار مثل تلك التي ذكرها أفلاطون في الجمهورية والقوانين . كان مستشارا للملك هنري الثامن ، بيد أنه رفض الإقرار بطلاق الملك للملكة كاترين، فضلا عن معارضته داخل البرلمان لما يقترحه الملك لنفسه من مزيد من الاستحواذات والصلاحيات ، وكذلك رفضه حضور حفل تزويج الملك لـ أني بولين عام 1533 ، الأمر الذي لم يدعه الملك يمر مر الكرام فأمر بسجنه وتمت محاكمته وأُتهَم بالخيانة العظمى وأُعدَم فأصبح شهيدا للرأي الحر. أنظر: www.luminarium.org و oregonstate.edu

More الذي كان شهيدا على يد تعصب هنري الثامنHenry VIII ، ولكن كلاهما يختلف عن الآخر في نتائج تعصب كل منهما فسيتضح من عواقب أفعالهم تلك المتصلة بالحياة والصدق، وتلك التي تستند إلى الاضطهاد."[1]

وفيما يتعلق بالتساؤل الثاني الذي طرحه هوك بشأن أن تقليص الحقوق في الدول الديمقراطية يعد عامل تشابه مع ما يحدث في الدول الديكتاتورية التي يقول الطغاة فيها بأنهم يقلصون الحقوق والحريات التي يؤمنون بها من أجل الصالح العام:

يعقب هوك على ذلك فيقول: "نعم هم يقولون ذلك، ولكنهم لا يقولون الحقيقة. فالحقيقة هي إنهم لا يعلقون هذه الحريات من أجل الخير العام... ، فهم بالآحرى يعلقون هذه الحريات من أجل صالح حزب الأقلية وقيادته، كما يفهمونها، دون أية رقابة أو سيطرة جماهيرية...أنهم لا يعلقون هذه الحريات لبعض الوقت، بل دائما..."[2]

ويشير إلى أنه من الخطأ القول بإنه لا فرق بين الليبرالي المدني الذي يرفض المطلقات (حقوق مطلقة – حريات مطلقة – ديمقراطية مطلقة) وبين الشمولي الذي يجادل بأن الصالح العام والرخاء العام هما ذريعة حكمه الارهابي. ويؤكد هوك سببين أساسيين يدلان على خطأ هذا الإدعاء فيقول: يتضح السبب الأول أنه بمجرد أن نميز بين الحكومة أو الإدارة (أو الدولة بالمفهوم الضيق)، من ناحية والمجتمع من ناحية أخرى، فالمصلحة العامة ليست مصلحة مجموعة الحكام أو الإداريين وإنما ترتبط بكل وضوح برخاء المجتمع، وطالما كانت مصالح الأفراد والجماعات الذين يشكلون المجتمع تتصارع فيجب أن تنشق المصلحة أو الخير العام من عملية متوازنة معقولة تحدث التكافؤ والاعتدال أو التصالح، العملية التي يجب أن يكون لكل المصالح المندرجة فيها أصوات عامة أو نواب. إذن لا يمكن أن تكون المصلحة مصلحة عامة عندما تُفرض بتعسف من أعلى، عندما يفرضها النظام الحاكم، وبالتالي عندما يقلص حق في

[1] Ibid, pp. 20, 21.
[2] Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, P. 179.

المجتمع، فإن سمة الفعل، حتى لو كنا سنراه خطأ، سيختلف كلية طالما تم في عملية واضحة المعالم، بخلاف ما يتم من قرارات وفرمانات تعسفية للنظام الشمولي الذي يعرف المصحلة العامة كما يترائ له. ربما يتفق المرء مع هوبز[1] Hobbes بأن الحكام يحاولون أن يشقوا واجباتهم ويبرروا أفعالهم انطلاقًا من قاعدة: "إن أمان الشعب هو القانون الأعلى The safety of people is the supreme law ، ولكن المعنى السياسي لهذه القاعدة له تأثير مختلف تمامًا حيث يعتمد على مَن هم هؤلاء الحكام طغاة أم جمعية نيابية؟ كيف يتم تحديد هذا الأمان؟ فإن عبارة هوبز ربما يتم مجادلتها داخل المجتمع المفتوح على أسس أخلاقية فاعتبارات العدالة تفوق اعتبارات الأمن."[2]

فلا يمكن لأي مجتمع، حتى مجتمع الفوضويين[3] anarchism ، أن يهرب من ضرورة الاختيار عندما تتصارع الحقوق المزعومة.[4]

بيد أنه يقال أحيانًا لأن الديمقراطيات لا تستطيع ضمان الحقوق المطلقة في كل الظروف ولآن الحكومات الشمولية لا تحققهم بشكل عام وفي كل الأحوال فإنه وبشكل مبدئي ليس هناك فرق بين نوعي الدولتين، ويرد هوك على ذلك بأن في هذا القول تجاهل وغض الطرف عن تمييز وفرق غاية في الأهمية؛ ففي الدول الديمقراطية يعد اختزال وتقليص الحقوق ظاهرة عرضية واستمرارها محدد، وتعتمد على القبول وإن لم يكن لبدايتها فلاستمرارها. أما في الديكتاتورية فيعد اختزال وتقليص أي وثيقة حقوق أمرًا مرتبًا ونظاميًا، ويقوم على الحكم التعسفي لأقلية صغيرة. إن ديكتاتورية البروليتاريا في

---

[1] توماس هوبز (1588 – 1679) فيلسوف انجليزي أثرت كتاباته تأثيرا كبيرا على الفلسفة الأخلاقية والسياسية التي جاءت بعده ، وخاصة كتابه " التنين Leviathan " فقد كان له تأثير كبير . وله مؤلفات أخرى عديدة مثل: في الجسم1655 ، وفي الإنسان 1658. أنظر: Robert Audi, edition II.

[2] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, pp. 52, 53.

[3] الفوضوية يعرفها جيوفاني سارتوري Giovanni Sartor بأنها اتجاه ثوري ضد السلطة attitude of revolt against power. أنظر: Giovanni Sartori, p. 97

[4] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, pp. 51- 53.

الاتحاد السوفيتي التي تعد تبعًا لستالين وبشكل رئيسي ديكتاتورية الحزب الشيوعي يفترض أن تكون مرحلة انتقالية، ولكن من الذي سيحدد أن المرحلة الانتقالية للديكتاتورية قد انتهت؟ هل الشعب الروسي أم حكامه؟ على الصعيد الرسمي يتفاخر الروس السوفيت بأنهم مجتمع لا طبقي ولكن بدلًا من أن تتلاشى الدولة أصبحت أقوى."[1]

ثالثًا: العدالة الاجتماعية والمساواة

هل تعني العدالة الاجتماعية معاملة كل الناس على نحو متساوٍ؟ هذا ما يجيب عليه هوك من خلال تناوله لكل من العدالة الاجتماعية والمساواة كما يأتي:

1- **مفهوم العدالة الاجتماعية،** يشير إليها هوك بالقول:" إذا كانت عبارة " حقوق الإنسان " غامضة، فإن تعبير" العدالة الاجتماعية " أكثر غموضا والدليل على ذلك واضح وقريب: فكل إنسان يؤكد على أنه يؤمن بالعدالة الاجتماعية، ومع ذلك فإن مفاهيم العدالة الاجتماعية تختلف بشكل كبير وهائل . فعلى جانب تتواجد وجهه النظر أنه على المجتمع أو الدولة ألا تفعل أي شئ سوى وضع وفرض قواعد عادلة لتنظيم الوضع العام بتحقيق رفاهية أوسعادة ، وعلى الجانب الآخر تتواجد وجهه النظر بأن الدولة أو المجتمع عليها أن تفعل كل شئ تستطيع فعله كي تضمن أنه في السباق من أجل تحقيق الرفاهية والسعادة سيصبح كل فردًا فائزًا، ولكن من الواضح أن وجهات النظر هذه هي الأخرى غامضة، فما هي القواعد العادلة للسباق؟ هل تعني أن يبدأ الجميع من مستوى واحد على اختلافهم ما بين مريض، ومعافى، ومبصر وأعمى؟ أو هل تتطلب القواعد العادلة في توزيع الفرص التعليمية أن ننفق على ثقيل الفهم البليد أكثر مما ننفق على الذكي المتوهج؟ لماذا ؟ وإذا كنا نرغب بأمانة أن يؤدي المجتمع ما هو ضروري لكل شخص كي يصبح فائزا فماذا سنفعل عندما لا يفوز الجميع؟ هل

[1] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, P. 13 .

يكون هناك معنى للحديث عن فائز إذا لم يكن هناك أيضًا خاسر؟[1]

وعلى الرغم من الغموض الذي يحوم حول مفاهيم" حقوق الإنسان " و"العدالة الاجتماعية" فإن ثمة سمتان تخصهما – كما يرى هوك – **أولا:** إنهما يفترضان مسبقا أننا نتعامل مع علاقات اجتماعية، فإذا ما كان الإنسان يعيش وحده من أجل نفسه فقط، يكون الحديث عن حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية أمرًا لا معنى له، **ثانيًا:** إذا ما ناقشنا هذه المفاهيم نكون قد اقتربنا على نحو ما من مفهوم المساواة."[2]

وإذا كان برادلي وبعض الفلاسفة الآخرين قد عرّفوا العدالة بأنها: "التطبيق غير المتحيز لقاعدة ما في كل الحالات التي تقع في نطاقها، " فإن هوك يرى أن مثل هذه الأقاويل ضرورية ولكنها ليست كافية لفهم العدالة. ويعلق: " ستكون جراءة شديدة أن نعلن أن أي قاعدة إذا ما طبقت دون محاباة، مهما كانت سمتها، ستكون عادلة."[3]

ولكن ما الذي يجعل هذا التعريف السابق للعدالة غير كافي؟ يشير هوك في هذا الصدد إلى شئ ما يجب أن يؤخذ في الاعتبار ألا وهو "عدالة الطبيعة nature justice"، ذلك التعبير الذي يذكر أكثر من تعبير " ظلم الطبيعة" عندما تعاني الكائنات البشرية، دون ذنب جنوه الألم وسوء الحظ لما يقع عليهم من شرور طبيعية، عندما يتواجد الإنسان في ظروف لو كان له حق الاختيار لما اختارها كأن يولد أعمى أو قبيحا أو معوقا أو في أية حالة طبيعية تعد مصدرا لكرب الإنسان وهمه."[4]

أي أن هوك رفض تعريف برادلي للعدالة بأنها قاعدة تطبق على الكل دون محاباة أو تحيز؛ فالطبيعة ربما كانت عادلة على الرغم من إنها لم تفرض ظروفها القاسية على كل الناس، ويضيف هوك:" هذا الظلم الكوني أو الطبيعي قد أدركته بشكل

[1] Sidney Hook, **Revoluion Reform and Social Justice**, pp. 270- 272.
[2] Ibid, P. 272.
[3] Ibid
[4] Ibid, p. 273.

غير مباشر كل نظريات العدالة الاجتماعية على نمط يقترح إدراك الحقيقة بأن "المساواة " لا تفسد معناها، فهناك بُعد آخر يندرج في هذا الصدد؛ فكل نظرية للعدالة الاجتماعية تخصص جزءا فيها أو تضمر أهمية خاصة، لضحايا "الظلم الطبيعى"، لهؤلاء المعوقين أو قليلي الحظ من لحظة الميلاد أوتعرضوا لذلك – فيما بعد – بالصدفة. وهنا يعلق هوك "(فيبدو الأمر) كما لو كان في تطبيق قواعد العدالة الاجتماعية التي نأملها تعويضا للحرمان والمشقات التي، بفعل الله، أوالاختيار، أو الصدفة – سميها كما تشاء – التي ربما تقع علينا، كما لو كنا نحاول فعل شئ ما لتحقيق المساواة، أو تقليص حد المعاناة بإعطاء مزايا تفاضلية للمعوقين وللمحرومين ليس بدافع الشفقة أو العطف وإنما كما لوكان ذلك حقهم."[1]

هنا يأتي هوك إلى بيت القصيد: فنحن إذن قد نقدم بعض المزايا ولا سيما للمعوقين والمحرومين تلك المزايا التي لا تُعطى للجميع، ولا يعد بأي حال من الأحوال فسادًا للعدالة التي اهتم بها برادلي؛ يفسر ذلك لماذا لا يعد كافيًا تعريف العدالة الاجتماعية بأنها معاملة متساوية ومساواة أمام القانون، أو إنها التطبيق المنصف غير المنحاز لقاعدة على كل من يقع في نطاقها.[2] فيؤكد هوك أن إعلان الحقوق المرتبط بإعلان الاستقلال لم يكن إعلانا للحرية فقط وإنما أيضًا للمساواة وتأكيدا لأهميتها.[3]

2- مفهوم المساواة

لكي يوضح هوك ما يقصده عند الحديث عن المساواة يطرح عدة تساؤلات جدلية عميقة تمس صميم الموضوع مثل: ماذا يعني القول بمعاملة الناس جميعا بمساواة أو بشكل عادل؟ هل لجميع البشر الحق في المساواة؟ ويرى أن الإجابة عن السؤال مضللة لأننا نخلط أحيانًا بين المتساوي والمتماثل، والمتساوي والمتشابه فعلى

[1] Ibid.
[2] Ibid, p. 274 .
[3] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, P. 252.

سبيل المثال يعد طلب المساواة أمام القانون تعبيرا من أقدم التعبيرات التي استعملت للمناداة بحقوق الإنسان، هل من العدل أن تفرض عقوبة واحدة على فتى مراهق وعلى شاب راشد أقترف كلاهما نفس الجريمة ؟ ! وهل من العدل أن يُنفذ نفس الحكم على متهم أول ومتهم خامس حتى لوكانا راشدين ناضجين؟! هل سنحمل كل المتهمين في نفس القضية كفالة متساوية حتى لو كان ذلك يعني أن الرجل الثري سيطلق سراحه، والفقير سيُترك في الزنزانة حتى موعد المحاكمة؟ هل سنحمل كل من الملونير وسائق عربة نقل البضائع نفس الغرامة عندما يخترقون الضوء الأحمر؟ ما هي وثيقة الضرائب العادلة؟ أهي الضريبة الموحدة المتساوية على الجميع؟ سيكون ذلك عبثا لأنه لن يقود إلى مساواة في الأعباء ، هل ستكون ضريبة بنسبة مئوية ؟ بيد أن قانون انجلز يظهر ما سيفعله الفقراء الذين لا يملكون إلا الضروريات إذا ما دفعوا نفس النسبة من دخولهم كتلك التي يدفعها أقرانهم الأكثر ثراءً، لأنهم ينفقون معظم دخلهم على الطعام والملابس والمساكن، هل هي ضريبة الدخل المتزايد progressive income tax ؟ كيف ستعرف عندما تكون سويت الأعباء ؟ ثم يطرح هوك مثالًا آخر ليس متعلقا بالضرائب أو المحاكم وإنما بالتعليم فيقول: "هل سأُعين المدرس الممتاز للفصل الدراسي الممتاز أم للطلاب الأقل تميزا ؟ هل سأتوجه بالعناية وتركيز الاهتمام إلى الأثقل فهمًا أم إلى الأذكياء أم إلى المتوسطين؟ ... إلى أين سيقودنا كل ذلك؟[1]

عند بدء الحديث عن العدالة تمت الإشارة إلى أنه يتم غالبا تعريف العدالة – وفقا لبرادلي - على إنها تتضمن معاملة كل الأفراد على نحو متماثل، طالما ستطبق عليهم قاعدة واحدة بيد أن هوك يراها وعلى نحو مختلف بأنها تتضمن معاملتهم على نحو مختلف، ويوضح هوك مقصده من ذلك بالقول:" إن العدالة تتضمن معاملة الجميع الذين في ظروف مماثلة بشكل متساوٍ، فمن هم الذين في ظروف متماثلة؟ يرى هوك أنه يجب أن يتم تعديل اللفظ كي يصبح ظروفا متشابهة، وإن كان يستدرك فيقول:

[1] Sidney Hook, **Revolution, Reform, and Social Justice**, pp. 275, 276.

"وحتى ذلك ليس كافيًا، فالظروف المتشابهة يجب أن تكون متوافقة." وهنا يشير إلى أننا اقتربنا من" طبيعة العدالة الاجتماعية " وإن كان يضيف: " إلا أنه من الواضح أن ما هو متوافق يعتمد على الموقف الذي يتم تبنى فيه القاعدة والغرض منه؛ فمعاملة الناس بشكل عادل في الظروف المتوافقة لا يستلزم معاملتهم بشكل متماثل وإنما يجب أن يكون لدينا مبرر جيد لمعاملتهم على نحو مختلف، عند إحداث استثناءات وتتبع هذه المبررات الجيدة من رغبتنا في زيادة الرخاء الإنساني وتجنب البلاء، في تقليل المعاناة وتوسيع دائرة الرفاهية." [1]

وهكذا يصل هوك إلى القول: " إذن نحن نتبع قاعدة المساواة ولكننا نعلم أنه من الممكن أن تتواجد أسس شرعية وغير شرعية للتمييز discriminating ." [2] ثم يضرب هوك أمثلة على ذلك: " ففي حالات الكوارث الهائلة يتم توزيع الامدادات من قبل المجتمع وهنا يحدث وينبغي أن تحدث – زيادة في إمدادات كبار السن أو الرضع أو المرضي، وليس الزيادة هنا للأصدقاء أو لهؤلاء الذين يتفق دينهم أو عرقهم أو عقيدتهم معنا. وكذا نتحدث عن الحقوق المتساوية التي تتمتع بها المرأة ولكن لدينا قوانين اجتماعية ما تمنع عمل المرأة في أنواع معينة من الأعمال التي بها مخاطرة كالعمل في التعدين، وما شابه ذلك، فالنوع (رجل أو امرأة) ربما يعد أساسًا للاستثناء العادل لبعض الأعمال، ولكن العرق race لا يصح أن يكون أساسًا لذلك.

ويضرب هوك مثالًا أوضح للمساواة في المعاملة التي تتوافق معاملة مختلفة مُبررَة ، ذلك الذي يظهر في سلوك الطبيب المتخصص تجاه مرضاه فهو لا يتعامل مع مرضاه على نحو مختلف فحسب عندما يعطيهم عناية ورعاية طبيعية متساوية ؛ ففي المواقف الحرجة يحصل المريض الذي في حالة حرجة أو الذي اقترب من الموت على رعاية أكثر من الأخرين، ويعقب هوك بأننا نفهم علة ذلك ونتقبله.[3]

---

[1] Ibid, p. 277
[2] Ibid.
[3] Ibid. p.278.

ثم ينتقل هوك إلى تناول المجتمع كتنظيم يتعامل مع أفراد فيفترض أن هناك مساواة في الاهتمام من قبل المجتمع تجاه كل المواطنين لإثراء وتحقيق نموهم الكامل كأشخاص – وذلك هو الاعتقاد الأخلاقي الأساسي للديمقراطية كطريقة وأسلوب للحياة – وما يعد خطأ هنا ليس المساواة في المعاملة وإنما عدم المساواة غير الآمن وغير المعقول، فالمهمة الديمقراطية في المجتمع الذي يعكس تاريخه آرثًا لا مفر منه من المجتمع الطبقي المرتبط بالماضي، هي تغيير واستبدال عدم المساواة في المعاملة غير المعقولة بعدم مساواة لها ما يبررها، فيجب أن تستبدل التفريق غير المتوافق وغير السديد بالنسبة لمهام الديمقراطية بتميز سديد[1]، فعلى سبيل المثال إذا كانت هناك مهمة إنشاء أوركستر سيمفوني، فلا يجب اختيار الموسيقيين بناء على ألوانهم أودياناتهم أو عقيدتهم وإنما بناء على فنهم، وحسهم المرهف ومهاراتهم القوية.

عند القول بحق الإنسان في التمييز في علاقاته بالآخرين يفرّق هوك بين جانبين؛ الجانب الشخصي والجانب العام، فعلى صعيد العلاقات الشخصية يكون من حق الإنسان التمييز في علاقاته مهما كانت أحكامه ناقصة أو حادة، أما على صعيد العلاقات العامة داخل المؤسسات العامة فليس من حق أحد التمييز بين الأخرين . ففي هذه الحالات إذا ما استخدم التمييز أو التفريق فإنه سيعوق تنمية الشخصية في الأخرين وسيقوض مبدأ كفالة وتساوي الفرص. وهذا ما يقع تحت نطاق النقد الأخلاقي، ويقول هوك في ذلك :" فلا يمكن هنا التسامح مع التمييز داخل أي مؤسسة من المؤسسات العامة التي تواجدت بهدف خدمة أغراض الشعب، ونفس الشئ فيما يتعلق بفرص المواطنة أو الإسكان أو العمل أو التدريس...الخ."[2]

ثم يفترض هوك أن المساواة في الاهتمام بسائر الناس أصبحت المبدأ الذي يوجهنا ويتساءل: أي قواعد تلك التي سيتم اتباعها عند توزيع الإنتاج الاجتماعي في

---

[1] Ibid.

[2] Ibid. 280.

مجتمع معين في وقت معين؟ ويضيف: "على افتراض أن توزيع البضائع والخدمات لا يمكن أن يكون متساويًا حرفيًا أو بشكل مطلق، وإنما متساوي نسبيًا فما هو معيار أو مقياس التوزيع النسبي المتناسق؟ وهنا يشير إلى عدة تقنيات قدمت في هذا السبيل كالجدارة والاستحاق، الحاجات الأساسية، الجهد أو الاستعداد للعمل ... الخ، فإذا ما أخذنا الجدارة أو الاستحاق كمقياس ومعيار فماذا سيكون مقياس استحقاق الإنسان؟ أهو السعر الذي تفرضه خدماته في داخل السوق الحر؟ أهي قيمة المنتج التي تحددها أمور عدة غير اعتبارات السوق – كالكم والكيف لما يتم إنتاجه؟ اسهامه لما يتم اعتباره نفعًا اجتماعيًا، سواء كان ذلك سيمفونية رائعة أو كشف دوائي أو اختراعات تضمن الأمن القومي ضد خطر قنبلة" برل هاربور"؟[1]

لا يعتقد هوك بأن قانونًا ما للتوزيع سيكون ملائما لكل أنواع المواقف فينبغي الأخذ في الاعتبار، في خضم بذل الجهد من أجل تحقيق المساواة، الاقبال الدائم على زيادة العطاء للأعمال التي على قدر أكبر من غيرها من حيث المهارة أو الأعمال الخطيرة أو العمل الملئ بالتضحية لمعالجة أمر طارئ وهام، فإذا قررنا وحكمنا بجوائز داخل منافسة، فما هي المعايير الأخرى التي يمكن اتباعها للحكم بغض النظر عن الاستحاق؟ وإذا ما أخذ في الاعتبار الاستحقاق، فكيف ينبغي تقدير إلحاح الحاجة الاقتصادية؟" هكذا يطرح هوك العديد من الأسئلة حول المساواة كأحد ركائز العدالة الاجتماعية، وبروح الفيلسوف المجادل تنقل بين التساؤولات وتركها في أخر الأمر دونما تقديم إجابة محددة. ويتفق ذلك مع السياق الفكري عنده عامة وفي هذا الصدد خاصة من أنه لا يمكن اعطاء أحكام مطلقة لتطبق في كل وقت وفي أي زمان وإنما لكل قاعدة استثناءات بحسب الظروف المحيطة بها. ومع ذلك تشوب وجهة نظره قصور يتمثل في لمن الحق في الحكم على الأمور والأحكام وجعلها تُطبق على الجميع أو يطبق الاستثناءات؟ على الرغم من طرح هوك للظروف التي في ظلها يتم تطبيق

[1] Ibid, 281.

الاستثناء، إلا أن الأمر عندما يوضع موضع التنفيذ يتوقف، في نهاية الأمر، على تقدير فردي بما فيه من ذاتية في الحكم على الأمور وما قد يحمله من تعصب أو تمييز غير مبرر.

رابعًا: تفويض السلطة

الظروف المحيطة بتفويض السلطة

في تعريفه للديمقراطية المباشرة قال سيدني هوك إنها: " حكومة كل الناس بواسطة كل الناس، وأكثر مثال تقريبي لها يتمثل في المدينة التي يتقابل فيها كل الراشدون المخول لهم إدارة شئون بلدتهم." [1] ولكن هل مثل هذه الديمقراطية يمكن فعلا أن تتحقق في الواقع العملي؟ يشير هوك إلى أنه عندما يتسع المجتمع تصبح الديمقراطية المباشرة واقعيا وعمليا مستحيلة، ويتم حكم كل الشعب بواسطة نواب مختارون بحرية ويتم الحكم من خلال حكومة نيابية. لأنه وببساطة: "حتى في الديمقراطية المباشرة لا يستطيع كل الشعب حكم نفسه كل الوقت. فمع تعدد وتكاثر وظائف الحكومة لم يعد من السهولة للمشاركة الشعبية أن تلاحق النمو المتزايد في التعقد الإداري. فما الحل إذن؟ يقول هوك: " فيكون تفويض السلطة هنا إلى سلطات نيابية أمر لا مفر منه."[2]

بعد تفويض السلطة يطرح هوك تساؤلا غاية في الأهمية آلا وهو: **" هل ينبغي أن يصوت دوما المسؤولون المنتخبون وفقا لما يعتقدون أن أغلبية منتخبيهم يطلبونه، أم يجب أن يتصرفوا وفقا لما يُمليه عليهم إحساسهم بالمسئولية؟** يرى هوك إن إنكار أن المسؤولين المنتخبين في الحكومة الشعبية مرتبطين بما قطعوه على أنفسهم من وعود فيما أعلنوه من برنامج انتخابي هو تشكيك في شرعية الحكم الجماهيري (الشعبي). فالتجاهل النمطي والنظامي للرأي العام هو علامة على الأوتوقراطية، بل

[1] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, P. 22.
[2] Ibid, p. 31.

أنه حتى تحت مثل هذا الحكم لا يتم الجهر علانية بتجاهل الرأي العام، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يتعهد المسؤول المنتخب بتمثيل هؤلاء الذين صوتوا لصالحه فقط، وإنما كل دائرته الانتخابية الأغلبية والأقلية، فهو عليه إلتزام تجاه الأقلية التي عارضته في أن يكافح من أجل العدالة الاجتماعية وأن يحمي حقوقهم كبشر.[1] إذن على المسؤول الذي تم انتخابه أن يعبر عن أراء وطموحات هؤلاء الذين صوتوا لصالحه وكذلك هؤلاء الذين صوتوا ضده، أي أن يهتم بالرأي العام على إجماله. ولكن يستدرك هوك بهذا الصدد فيقول: " إن تخدم الصالح العام ليس معناه أن تصبح عبدا للرأي العام. ويدل ذلك على بصيرة هوك ووعيه الشديد بما يمكن أن يؤدي إليه في كثير من الأحيان الانسياق غير المدروس وراء اندفاع الأغلبية.

وفي المقابل، فإن تفويض السلطة يحاط كذلك بالمخاطر وهو ما جعل الكثير من الفلاسفة والمفكرين يظهرون قلقهم لذلك. وهذا ما تحدث عنه روسو بأن انتخاب بعض الأشخاص لا يعني تفويضهم . ويعلق جيوفاني سارتوري بأنه إذا ما فعلنا ذلك فإن العلاج سيكون أشد وأسوأ من الداء نفسه، فإذا لم نجعل من تم انتخابهم نوابا عنا فحينئذ سيتم خلق" حاكم مطلق " وهكذا يكون تم خلق حكام أوتوقراطيين بواسطة وسائل الانتخابات ولن يكونوا أقل استبدادا من هؤلاء الذين يتواجدون بواسطة استخدام العنف أوعن طريق الوراثة. وينتهي الكاتب إلى القول إننا بحاجة إلى كليهما " الانتخاب والتفويض " فالانتخاب في ذاته لا يخلق إنابة. ويمكن أن يتحقق ذلك فقط إذا ما تم انتخاب الشخص وأن يعتبره من قام بانتخابه مسئولا عنه. بل وحتى ذلك ليس كافيا، طالما إن التجربة تكشف إنه إذا لم تحدث الانتخابات في ظروف تضمن تحقيق الحرية، فإن تلك الانتخابات لا يمكن أن يتواجد من خلالها قادة يتجاوبون مع إراداة المصوتين." فكما أن الإنابة بدون مصوتين ليس لها معنى، فإن التصويت بدون الاختيار الحر لا

[1] Ibid, p. 19.

يمكن أن ينتج عنه حكومة نيابية."[1]

وفي صدد حديث هوك عن ضمانات تحقيق الديمقراطية نعود إلى تعريف ذكره أيضًا عن المجتمع الديمقراطي بأنه ذلك المجتمع الذي يحكمه وينظمه القانون، ولكن أليست لكل دولة في العالم قانون تطبقه، أيعني ذلك أن كل دول العالم دول ديمقراطية؟! بالطبع لا ؟ وهذا ما يجعل هوك يستدرك في تعريفه السابق فيضيف: "في ذلك المجتمع يجب أن يصنع القوانين - أو يآولها- الأفراد الذين يعدون – وبشكل مطلق- مسؤولين أمام المجتمع. ويجب أن يكون المجتمع مجتمعًا من ذلك الذي تتحقق فيه المساواة في الحالات المدنية، والذي تعتمد فيه القوانين نهائيًا على الموافقة المعطاه بحرية من قبل أفراد الشعب الراشدين."[2]

إذن كون دولة ما تحكم بالقانون ليس شرطًا كافيًا للقول بإنها دولة ديمقراطية فهناك أمور هامة يجب أخذها في الاعتبار مثل نوعية هذه القوانين التي تطبق، وكيف تم أساسًا تبني مثل هذه القوانين ويميز هوك كذلك بين حكم القانون وحكم الرجال الذين يآولون ويفسرون القانون وينتهي من هنا إلى الإشارة إلى أن الاعتقاد بأن الولايات المتحدة – وهي الدولة التي يقول عنها دائمًا إنها بلد الديمقراطية- تحكم بالقانون أكثر من القول بأنها تحكم بواسطة أفراد غير معصومين هو أمر لا يمكن تأييده."[3] وهوك على حق في ذلك ففجوة كبيرة ما بين سن القوانين من ناحية ثم تنفيذها من ناحية أخرى ناهيك عن تنفيذها، كما ذكر، على يد أفراد غير معصومين. ولهذا يطور هوك عددا من الآليات التي يمكن بها حماية الديمقراطية يتم العرض لها في الفقرات التالية.

---

[1] Giovanni Sartori, **Democracy Theory**, pp. 23, 24.
[2] Sidney Hook, **Political Power and Personal freedom**, p, 41
[3] Ibid, p. 41.

أ – آليات حماية الديمقراطية

يشير هوك إلى عدد من الآليات التي يمكن بها حماية الديمقراطية وتفعيلها وهي تتمثل في النقاط الآتية:

1– المشاركة الفعالة من قبل المحكومين في العمليات والاجراءات التي تتخذها الحكومة:

ولا يقصد هوك هنا بالمشاركة الفعالة محاولة أداء الموظفين الرسميين لأعمال محددة، ولكن النقاش والتشاور الحر حول السياسات العامة، والتعاون التطوعي فيتم تنفيذ القرارات التي تم التوصل إليها خلال العملية الديمقراطية . ويرى أنه عندما يشعر المواطن أنه ليس له أهمية داخل الحكومة، ستتولد لديه اللامبالاة.[1] ويطلق على اللامبالاة السياسية " الفخ الوعر للديمقراطية dry-rot of Democracy "وكما يقول مل [2] Mill شخصا ليس لديه ما يفعله لبلده، هوشخص لن يعبأ بأي شئ."[3]

2– **وجود آليات تدعم حرية الحركة والتصرف، عبر السلطة المفوضة، في المواقف الحرجة،** ويستدرك هوك هنا بأنه ليس من الممكن تحديد ما يشكل الموقف الحرج وما

---

[1] Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy**, pp. 287, 288.

[2] جون ستيورات مل (1806 – 1873) هو الأبن الأكبر لجيمس مل . ولد في انجلترا وتوفي في عمر السابعة والستين .وقيل عنه أنه قديس العقلانية الفيكتورية أو قديس الليبرالية الفيكتورية ؛ فتتلخص أعظم اسهامات مل في الليبرالية المعاصرة في قضيتين : إن العقل الإنساني الخاضع للخبرة الإنسانية هو المصدر الوحيد للمعرفة الإنسانية ، وأن أقصى حرية فردية للفكر والفعل هي الوسائل الأضمن لاتساع المعرفة وزيادة السعادة . من أهم أعماله مبادئ الاقتصاد السياسي 1848 ، في الحرية 1859 ، أفكار حول الإصلاح البرلماني1863 ، مذهب المنفعة1863. أنظر: Albuey Castell & others(editors) AN Introduction to Modern Philosophy: Examining the Human condition (New York: Macmillan College Publishing Company Inc, 1994). Six edition p. 250

[3] Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy,** p. 288

هي الآليات الإدارية المعنية التي تعد أفضل ما يمكن تبنيه لمواجهة هذه المواقف[1] . ولكن من الواضح أنه لا يوجد شئ غير متوافق مع الديمقراطية في التفويض الحر لوظائف محددة للسلطة، وإنه في أوقات معينة ومحددة تتم المحاسبة من قبل المحكومين الذين لديهم حق إعادة تفويض أو إلغاء السلطة المعطاه للحكومة.

3- عدم الثقة الواعية في القيادة، والتشكك من كل مطالب تنادي بتوسيع سلطتها. والتأكيد على المنهج النقدي في كل خطوة من خطوات التعليم والحياة الاجتماعية، والشك ليس في نواب الحكام وإنما في النتائج المباشرة والموضوعية لسلطتهم، وعندما يستبدل المذهب النقدي بالحماس والعاطفة غير النقدية، فإن الطريق أصبح ممهدا أمام الديكتاتورية!

4- تحقيق الديمقراطية الاقتصادية، ويقصد بها سلطة المجتمع، منتجين ومستهلكين، في تحديد المضمون الأساسي لموضوعات التنمية الاقتصادية، وتفترض هذه الديمقراطية الاقتصادية مسبقا وجود شكل ما للملكية والتخطيط الاجتماعي.[2] ويقول هوك في هذا الصدد: "وبالقدر الذي يكون فيه هناك اهتمام بمنطق الديمقراطية يمكن القول بإنه طالما تتأثر الحياة السياسية بالسلطة الاقتصادية، والتشريعية وحتى الدينية، فإن الديمقراطية السياسية وحدها ليست مكتملة، فهي ليست كاملة." [3]

أما إذا كان الاقتصاد سيتم تنظيمه في وحدة واحدة، أو عدة وحدات متعددة، إذا ما كان مركزيًا تمامًا أم لا، فهي أسئلة تجريبية، وهناك مقياسان أساسيان لتقرير هذه الموضوعات:- واحد منهما هو المدى الذي يمكن به شكل محدد من التنظيم الاقتصادي أو الملكية أن يجعل من الممكن انتقال البضائع والخدمات إلى أكبر عدد من الناس، وبدونه ستكون الديمقراطية السياسية محددة بالضرورة في أدائها لوظيفتها،

---

[1] Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy**, P. 288.
[2] Ibid, pp. 288, 289.
[3] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 32.

إن لم تكن قد تعرضت للخطر. والآخر: هو المدى الذي يحفظ ويقوي به شكل معين من التنظيم الاقتصادي الآليات المطلوبة للعملية الديمقراطية. ولكن لا يقصد هوك بالأمن الاقتصادي هو ذلك المتحقق في السجون مثلا فيقول: "ربما تعطي أشكال معينة من التخطيط الاقتصادي الأمر الذي يُعطَى داخل السجن، حيث يحصل المسجون على الطعام، والملبس والمأوى ولكن أي شكل من أشكال المجتمع المخطط الذي لا يحمي ولا يحقق النقد الحر، والتعددية، والفردية المبدعة، لا يمكن أن يضمن تحقيق الأمن الحقيقي،"[1] ففي هذا المجتمع يعد الأمن مشروطًا بقبول الحكم البيروقراطي التعسفي كقانون للحياة.

5- وجود حكم الأغلبية،[2] فيقول هوك:" يعد حكم الأغلبية شرطًا ضروريًا كي تتواجد ديمقراطية فعالة."[3] بل إنه أكد أن" تحقيق المساواة السياسية وتفعيلها، لا يتم بدون بعض أشكال حكم الأغلبية."[4]

ومن ضمانات تحقيق الديمقراطية أيضًا ما يشير إليه جون ديوي بأن أبسط ما يرتبط بالديمقراطية وعلى الحاكم تنفيذه هو استطلاع احتياجات المواطنين والعمل الجاد على تلبيتها. ويشير جون ديوي في هذا الصدد إلى أن سيدة أخبرته بأنها سألت رئيس أمريكي قائلة: " ماذا كنت ستفعل من أجل شعب هذا البلد لو إنك كنت" إله "؟ فقال ":حسنا ... يجب أن استبين من الناس ثم أقرر ما هي الأشياء التي يحتاجونها وحينئذ أعمل على توفيرها لهم ". ويعقب ديوي:" سؤال الناس هذا والاستعلام منهم عما يحبونه وعما يحتاجونه، وما هي أفكارهم، هو جزء جوهري من فكرة الديمقراطية، وهي مألوفة لنا كموضوع للممارسة السياسية الديمقراطية التي ربما لا نفكر فيها دائما حتى عندما نمارس مزايا إعطاء الأجوبة، هذه الممارسة هي عملية تعليمية لأنها تفرض علينا

---

[1] Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy**, pp. 289- 291.

[2] سيرد الحديث عن هذا العنصر بشئ من التفصيل لاحقا.

[3] Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy**, pp. 294.

[4] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, pp. 252, 253

كأعضاء ممارسين للعملية الديمقراطية مسئولية الأخذ في الاعتبار ذلك الذي نريده كأفراد وما هي احتياجاتنا ومشاكلنا."[1]

خامسًا: موقف هوك من منتقدي الديمقراطية وحكم الأغلبية

عدة قضايا متعلقة بالديمقراطية والحرية شغلت سيدني هوك مثل إساءة استخدام الحرية والهجوم من قبل البعض على الديمقراطية وحكم الأغلبية وغيرهم من القضايا الأخرى التي كان لهوك مواقف فيها كما يتتضح في النقاط الآتية:

1- إساءة استخدام الحرية والسلطة

يستشهد هوك بعبارة "إذا كانت السلطة فساد- كما يذهب اللورد أكتون- فالسلطة المطلقة فساد مطلق."[2] وهي تعبر عن الإمكانية الهائلة لسوء استخدام السلطة من قبل أصحابها؛ إن الحريات التي حققتها الثورة الأمريكية أُسيئ استخدامها من أشخاص أساءوا استخدام الألفاظ، حتى أصبحت الحرية وغيرها من المصطلحات تستخدم بشكل" دراماتيكي "بما يحقق في الواقع عكس ما ينطوي عليها اللفظ من معاني.[3] فالتلاعب بالألفاظ ربما كانت وسيلة لإساءة استخدام الحرية والديمقراطية. ويتفق معه في الرأي جيوفاني سارتوري فيقول: "إنها طريقتنا في استخدام كلمات "الديمقراطية"، و"الحكومة الديمقراطية" التي تؤدي إلى الخلط والارتباك الكبير. فإذا لم تُعَرف هذه الكلمات بوضوح ويتم الاتفاق حولها، سيعيش الناس في ارتباك وحالة من الفوضى الفكرية بشكل أكبر وأوسع مما تحدثه الغوغائية أو النظم السياسية غير المستقرة."[4]

---

[1] John Dewey, **Problems of Men** (New York: Philosophical Library Inc. 1946) .p. 35.

[2] Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy**, p. 289.

[3] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, p. 100.

[4] Giovanni Sartori, **Democratic Theory**, P. V.

وقد اتفق معه في هذا الصدد العديد من الكتاب فيرى تد جي جيلين Ted G. Jelen أنه مع قرب القرن العشرين على الأفول، فإن قيم الديمقراطية الليبرالية أصبحت المسيطرة على الساحة العالمية، ومع أن فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyamaفي كتابه نهاية التاريخThe End of History ، ذكر أن المبادئ الديمقراطية الليبرالية لم تعد تجد مقاومة جادة في أنحاء العالم، فإن تد جيلين يرى أنه على الرغم من أن مفهوم الديمقراطية أصبح أكثر شهرة ومألوفا، فقد أصبحنا أكثر حيرة؛ فقد زادت حيرتنا أكثر حول معنى هذا المفهوم.[1] فكم حقًا من الحكومات التي اطلقت على نفسها حكومات ديمقراطية وكانت على النقيض تمامًا، فالعبرة ليست في المسمى وإنما في التطبيق ولهذا كانت أهمية تعريف ما نقصده من المصطلحات كما ذكر هوك من قبل.

ويقول ميلز: "عند النظر إلى وسائل السلطة التي تتملكها جماعات صغيرة جدًا من الناس يمكننا أن ندرك أن قيصر Caeser في روما كان أقل تسلطًا من نابليون في فرنسا، ونابليون في فرنسا أقل من لينين في روسيا، ولكن عندما نتساءل ما هي سلطة القيصر لتقارن في أعلى درجاتها مع سلطة الدوائر الداخلية المتغيرة في الاتحاد السوفيتي ومع الإدارات المتغيرة في الولايات المتحدة؟ فإننا سندرك حقا كيف أن عددا قليلا من الناس لديهم الوسائل التي بها وفي غضون أيام قلائل تتحول المعمورة إلى أرض خربة مُدمرة نوويا. فذلك هو التركيز الهائل للسلطة في يد من نطلق عليهم صفوة[2] ، وما يترتب على ذلك من عواقب لا إنسانية. وهكذا تنتفي عن حكومة ما صفة "الديمقراطية" طالما أنه في نهاية الأمر يُصنع القرار ويتخذ من قبل أقلية محدودة في غرف مغلقة، فيكشف رايت ميلز هنا جانب آخر من الديمقراطية الأمريكية.

---

[1] Ted G. Jelene, **in Defense of Religious Minimalism**, p. 12.

[2] Irving Louis Harouitz (editor), **Power, Politics, and people**, The Collected Essays of C. Wright Mills (New York: Oxford University press, 1963) , p. 26.

وعلى الرغم مما ذهب إليه هوك من أن هناك إمكانية كبيرة لاساءة استخدام السلطة فإنه يطرح أمران– على سبيل الجدل - لمنع إساءة استخدام السلطة مثل، أولًا : أن لا يتم استخدامها، أواستخدامها في أضيق الحدود بقدر الإمكان؛ والثاني والأصعب، يتمثل في أن تنصح وترشد حماة المؤسسات من إساءة استخدام السلطة أثناء استخدامهم لها، فحيثما تصبح الدولة وبوضوح عدوا – حيث تصبح "them" هم، وليست جزءًا من نحن"We" ، فيكون من الأفضل منعها من استخدام السلطة.[1]

ولكن من الذي يمكنه منع الحكام من سوء استخدام السلطة؟ إنهم المحكومين فيقول هوك: "إنه في أوقات معينة ومحددة تتم المحاسبة من قبل المحكومين الذين لديهم حق إعادة تفويض أو إلغاء السلطة المعطاه للحكومة."[2] وحتى بالنسبة للحرية فلا يمكن التخلي عنها حتى لو تواجد من يُسئ استخدامها وعن ذلك يقول جيوفاني سارتوري: "وليس معنى إساءة استخدام البعض للحرية أن نحكم على الحرية ذاتها بالسخف أو العبث أوالغموض."[3]

2– الرافضون للديمقراطية وحكم الأغلبية

هاجم البعض الديمقراطية لأنها تقوم أساسًا - حسب رأيهم - على ما أطلقوا عليه" طغيان الأغلبية" هذا المصطلح الذي رفضه هوك تمامًا مدافعًا عن حكم الأغلبية. وقبل العرض لرده عليهم تجدر الإشارة إلى آراء عدد من هؤلاء ومنهم اليكس دي توكفيل الذي يشير إلى أنه "من طبيعة الأغلبية أن تُرغم الفرد على الخضوع لها إذا لم يرغب في الخروج عن المجتمع وبذلك يصبح الرأي العام وهو رأي الأغلبية ذي

[1] Sidney Hook, Paradoxes of Freedom, p. 200.
[2] Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy**, p. 288.
[3] Giovanni Sartori, P. V.

صبغة ديكتاتورية تموت شخصية الفرد تحت لوائه." [1]

ويقول روبرت أ . دال إن توكفيل أشار إلى ذلك حيث قال: " إن جوهر الحكم الديمقراطي يتكون من السيادة المطلقة للأغلبية، إذ أنه ليس هناك شئ ما في الدول الديمقراطية يستطيع مقاومة هذه السيادة."[2]

ويعرض روبرت أ . دال إلى آراء توكفيل التي تفسر كيف أن حكم الأغلبية هو تعسف بالأقلية فيوضح أن توكفيل يعرض عدة احتمالات إحداها حكم الغوغاء أو الإرهاب، والذي سوف يزداد قوة لأن الرأي العام يقف وراء الغوغاء. ويشير الكاتب إلى خطرين آخرين لهما صلة بشكل أكثر مباشرة بموضوع المساواة إزاء الحرية في النظم الديمقراطية هما: خطر أن الأغلبية سوف تضطهد الأقليات من خلال عمليات قانونية تماما، وإحتمال أن تقيم المجتمعات الديمقراطية استبدادا يقوم على أساس قاعدة جماهيرية تقضي على كل الحريات في الوقت الذي تقدم فيه العون لاحتياجات الناس وتفوز بتأييدهم. [3]

وكما يذهب جيوفاني سارتوري إذا ما عُرقلت المعارضة فتكون بصدد طغيان الأغلبية بالمعنى الدستوري للمصطلح ولعل هذا ما أشار إليه جيفرسون Jefferson وماديسون Madison عندما تحدثا عن " الاستبداد المنتخب elective despotism " حيث إمكانية أن يصبح الفرع التشريعي من الحكومة مستبدا، فما أشار إليه جيفرسون وماديسون كان شكلا آخر لطغيان الأغلبية بالمعنى الدستوري: وتمثل افتراضهما في أنه إذا لم يتم دعم الكيان الانتخابي بالفصل بين السلطات،

---

[1] أنظر: إبراهيم أباظة وعبد العزيز الغنام ، **تاريخ الفكر السياسي**، (بيروت: دار النجاح، 1973) ص 282.

[2] روبرت أ .دال ، **مقدمة إلى الديمقراطية الاقتصادية**، ترجمة محمد مصطفى غنيم، الطبعة الأولى (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع،192) ص. 17

[3] نفس المرجع السابق ، ص. ص20 – 21.

فسيركز بين يديه سلطة لا محدودة، وبالتالي سلطة طاغية Tyrannical .[1]

ويعبر تد جيلين عن التشكك في حكم الأغلبية مستشهدا بأراء جيمس ماديسون الذي لُقب بـ" أبو الدستور"؛ فيعبر ماديسون في كتاباته عن وجهة نظر متشائمة عن الطبيعة الإنسانية التي شكلت معظم تفكيره السياسي . فيقول: " بالقدر الذي يعتبر فيه عقل الإنسان غير معصوم، وهو ليس في مأمن من الوقوع في الخطأ، فإن اختلاف الآراء وتعددها هو الذي سيتشكل . وطالما أن علاقة الاتصال بين عقل الإنسان وبين حبه لذاته متلازمة، فإن أراءه وعواطفه سيكون لها تأثير متبادل عكسيا على بعضها البعض، وستكون الأولى (أراؤه) موضوعا لما تمر به وتستشعره الثانية (مشاعره)... ومن هنا يترتب على ذلك انقسام للمجتمع داخل المصالح والأحزاب المختلفة. فالعلل الكامنة للتحزب والانحياز تنغمس في طبيعة الإنسان . ومن هنا كان التشكك في حكم الأغلبية."[2]

ومن عيوب الديمقراطية كما يقول دليل بيرنز " إن الديمقراطية تُعلي مقام العجز كما يقول إميل فاجية Emile Faguet لأن الأغلبية لا تختار إلا الشخص الذي تفهمه ولما كانت الأغلبية قليلة الكفاءة في ممارسة الشئون العامة. فإنها تفضل اختيار من هم على شاكلتها ليتولوا المناصب العامة، وأقصر طريق لديها للوصول إلى السلطة، حينما يكون الوصول إليها موقوفا على أصوات الأغلبية، الصفوات المسيطرة في أمريكا والاتحاد السوفيتي."[3] ويقول روبرت أ . دال: " إن حقوق كل شعب محصورة داخل حدود ما هوعدل والأغلبية إذا تحققت بشكل جماعي يمكن أن تعتبر كيانا، آراؤه ومصالحه في الأغلب تتعارض مع مصالح وآراء كيان آخر، يسمى أقلية، فإذا اعترفنا بأن إنسانا يمتلك سلطة مطلقة قد يسئ استخدام تلك السلطة بإيذاء خصومه، فلماذا لا

---

[1] Giovanni Sartori, p. 98

[2] See: Ted G. Jelene . pp. 11, 12.

[3] دليل بيرنز، **الديمقراطية**، ترجمة وتعليق محمد بدران (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، 1983) ص. 26.

تكون الأغلبية غير معرضه لمثل هذا النهج؟ إن خصوم التغييرات القانونية المهمة من إلغاء الرق إلى فريضة ضرائب الدخل والضمان الاجتماعي يشجبون التغييرات المقترحة بانتظام باعتبارها إساءات لاستعمال السلطة من جانب الأغلبية، أو أسوأ من ذلك طغيانا صارخا من الأغلبية، فهل لنا إذا أن نقول، إنه حيث يكون مصالح الأقلية متعارضة مع مصالح الأغلبية، فإن الأغلبية بالضرورة تُسيئ استخدامها لسلطتها لمجرد أنها تعمل لتأمين مصالحها بالتأكيد السماح للأغلبية بحماية مصالحها. وكما يقول توكفيل ذاته:" إن السلطة الأخلاقية للأغلبية مؤسسة على المبدأ بأن مصالح الأكثرية يجب تفضيلها على مصالح الأقلية . فإننا حتى إذا كنا نعتقد أن العملية الديمقراطية عادلة من الناحية الإجرائية، فإنك تستطيع أن تجزم بصورة معقولة أن قرارا اتُخذ بعملية ديمقراطية تماما قد يسفر أحيانا عنه ظلم ضخم."[1]

والجدير بالذكر أنه حتى جون ستوارت مل المدافع عن الديمقراطية اكتشف أيضا ما يمثله حكم الأغلبية من خطورة على الأقلية فيقول: " ولما كانت السلطة لا تمثل الإرادة العامة، وإنما تمثل إرادة الأكثرية ومن يقومون مقامها، فليس من البعيد أن يقم الضيم على الأقلية الخارجة على الإجماع، مما يحملنا على توقيه بتقييد سلطة الحاكم على الأفراد."[2]

ومن أشهر معارضي الديمقراطية ميشيلز وموسكا وباريتو[3] فيسعى كل منهم

---

[1] أنظر: روبرت أ .دال ، مرجع سابق ، ص .ص21 – 24.

[2] جون ستوارت مل ، **عن الحرية** ، ترجمة عبد الكريم أحمد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000) ص 25.

[3] يعتبر كل من ميشلز وموسكا وباريتو من أظهر من تبنوا صياغات ميكيافيللي السياسية .والفكرة الرئيسية التي تدور حولها هذه الصياغات أن البناء السياسي للمجتمع يمثل ثنائية بين الصفوة والجماهير ولذلك فإن وظيفة علم السياسة هي دراسة بناء الصفوة في المجتمع وتحليل علاقاتها بالجماهير ، باعتبارها الأقلية الحاكمة التي تفرض سيادتها . والصفوة تمارس حكمها على أساس القوة ، حتى وأن كانت غير ظاهرة ، كما تحاول أن تصطنع ايديولوجيات خاصة بها ، تحجب دوافعها الحقيقية المتمثلة في السعي وراء تحقيق المصلحة الخاصة ،

إلى القول باستحالة الديمقراطية وتكمن حجتهم الرئيسية – كما يذهب هوك – في أن كل حكم سياسي يتضمن تنظيمًا، وكل تنظيم سيقع عاجلًا أم آجلًا تحت سيطرة الصفوة، فتاريخ المجتمعات يشهد، على الرغم من تعاقب الأشكال السياسية المختلفة بأن الديمقراطية هي نظام سياسي يخفي كل من صراعات المصلحة بين الصفوة الحاكمة والمحكومين، و"يخفي " أن هذه الصراعات تحل دوما بشكل غير ديمقراطي من أجل مصلحة الصفوة.[1] ويشبه ميشيلز الحركات الديمقراطية في تاريخ المجتمعات بأنها تماثل موجات البحر، التي تظل تتصارع وتتلاطم حتى تستقر عند نقطة معينة، ثم تعاود الحركة من جديد، ومعنى ذلك أن الشعارات والمثل التي ترفعها هذه الحركات، تفقد نقاءهما الثوري في اللحظة التي تصبح فيها ذات وجود حقيقي ذلك أنه حينما يتولى ممثلوا الشعب حكم الدولة لا يجدون أمامهم طريقًا آخر لاستمرار حكمهم سوى الأوليجاركية.[2]

3- دفاع هوك عن حكم الأغلبية

رفض هوك ما جاء به منتقدي الديمقراطية، ووصفهم بأنهم " المفكرين

ومن ثم فهي تحاول أن تبرر سيطرتها بتأكيد الصالح العالم . وتعتمد درجة استغلال الجماهير على مدى الاتساق بين مصالح الصفوة والمصلحة العامة للمجتمع ككل . وقد يحدث صراع داخل الصفوة نتيجة تعدد مراكز القوة الذاتية ، وحينئذ تحاول أن تكسب تأييد الجماهير ، مما يترتب عليه ظهور نظام يقوم على ممارسة السلطة الجماعية ، لكن ذلك لا يحقق الديمقراطية الحقيقية القائمة على المشاركة الفعلية للجماهير في اتخاذ القرارات السياسية . وعندما ندرس الانقسام الداخلي للصفوة في ضوء التغير الاجتماعي نلاحظ انه لا توجد صفوة حاكمة تستطيع الاستمرار في السيادة طالما أن لديها نزوع نحوالارستقراطية يوازي الاتجاه نحوالديمقراطية الشكلية وذلك هوسبب ما يعرف بدورة الصفوةCirculation of Elite

أنظر :محمد علي محمد ، علي عبد المعطي ، **السياسية بين النظرية والتطبيق (** الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، 1984) ص. 439.

[1] See: Sidney Hook, **The Hero in History, A Study in Limitation and Possibility**, (New York: John Day Co., 1943), p. 163 .

[2] محمد علي محمد ، علي عبد المعطي ، **السياسة بين النظرية والتطبيق**، ص. 443.

الشموليين " وقال عنهم: " إن هؤلاء الذين وجهوا نقدهم إلى الحكومة الديمقراطية الحرة، فعلوا ذلك لأنهم اعتقدوا أن أغلبية البشرية أما أن تكون حمقاء جدًا أو فوضوية جدًا لدرجة أنه لا يمكن الثقة بها كحكومة ذاتية."[1]

وقال أيضًا: " إن حكم الأغلبية لا يطبق بين مجموعة من صغار السن أو داخل مؤسسة للمرضى العقليين، وإنما تطبق داخل مجتمع، أي ستطبق بين رجال ليس بين أطفال، أو مجرمين أو معتوهين ولكن بين رجال قادرين في الواقع على التعقل."[2]

ويصف سيدني هوك آراء موسكا وباريتوو ميشيلز بأنها تستند إلى:

1) الفشل في فهم طبيعة المُثل بما في ذلك المُثل السياسية.
2) إن هذا النقد غض الطرف عن حقيقة أن مشكلات السلطة السياسية محددة دائمًا، وأنهم يتيحون الاختيارات بين توجهات السلوك التي تقوي أو تضعف، تمد أو تقلص مُثل سياسية معينة.
3) وأخيرًا إنها تغض الطرف عن الاختلاف الهائل بين المجتمعات، فجميعهم يقعون تقريبًا في درجات متفاوتة للمثال المحدد للديمقراطية. والأهمية الخطيرة للمؤسسات في العملية اللانهائية لتحقيق المثل."[3]

فهوك يقول إن هناك فرقًا شاسعًا بين المُثل وتطبيقها، ويتهم هؤلاء بأنهم لم يفلحوا في فهم طبيعة المُثل، وأن المجتمعات تتفاوت عند تطبيقها لهذه المثل من الاقتراب أو الابتعاد عنها .

ثم يقول إنه نظرا لطبيعة الأشياء والناس، فلا يمكن للُمثل أن تتحقق تمامًا، فلا يوجد ما يسمى بالصحة المطلقة أو الحكمة المطلقة، أو الديمقراطية المطلقة، أ ورجل أمين بشكل مطلق أو رجل بدين بشكل مطلق، ولكننا يمكننا استخدام هذه المُثل بذكاء أي أن

[1] Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, p. 177.
[2] Sidney Hook, **Hero in History**, P.158.
[3] Ibid, p. 164.

نقوم بعقد المقارنة لإيضاح مدى القرب أو البعد عن هذه المثل، كأن نميز مثلا بين الأفراد بأن نقول إن هذا أكثر صحة، أو أكثر سمنة، ونفس الشئ يطبقه هوك على الدول، فلا تتواجد دولة ديمقراطية بشكل مطلق ولكن يمكننا القول إن هذه الدولة أكثر ديمقراطية أو أقل، وينتهي إلى القول إن" المثل التنظيمية " هي مبادئ للتنظيم ولإعادة التنظيم." [1] وهكذا يرد هوك على منتقدي الديمقراطية في أسلوب جدلي عميق واعٍ؛ بتأكيده أنه لا توجد ديمقراطية مطلقة وعدم وجود ديمقراطية مطلقة لا يعني التخلي عنها كلية.

ولكن ماذا عن المجتمعات التي تستند فيها السلطة إلى قبول معطى بحرية من قبل الجماهير؟ يؤكد هوك هنا أيضًا أنه لا يمكن أن تكون في مثل هذا المجتمع ديمقراطية كاملة حتى في المجتمع الذي يكون عدد أفراده قليلون بحيث يستطيعون أن يتقابلوا جميعا في مكان واحد بدون وجود سلطة نيابية، حتى بالنسبة لهؤلاء لا نستطيع التأكد من القبول والموافقة التي أعطوها للسلطة بأنها موافقة أعطيت بحرية ولم تكن في ظل عبودية الجهل أو بلاغة الألفاظ أو تأثير العاطفة. فضلًا عن أن ما يُتخَذ من قرارات– نظرًا لتقسيم العمل – سيقوم الأفراد بتنفيذه وليست الجماعة، فلا يوجد ضمان على أن تلك القرارات سيتم تنفيذها بنفس الروح التي تم إصدارها بها. ولكن هل يعني ذلك أن الديمقراطية مستحيلة التحقيق؟ يجيب هوك : ليس بأكثر من القول إن الإنسان لا يمكن أن يكون بصحة جيدة لأنه لا يتمتع بصحة مطلقة. أنه من المحتمل أن تقع العيوب والمشكلات التي تكون بحاجة إلى الإصلاح من خلال الأفعال والمؤسسات والضبط والكبح والقيود التي تحاول الاقتراب من مثل الديمقراطية وربما كانت هذه الاصلاحات غير كاملة أو قابلة للوقوع في الخطأ[2]، ولكن لا يعني ذلك رفضهم جميعًا وإنما السعي المستمر لتحسينهم – طالما كنا ديمقراطيين.

[1] Ibid, p. 165.

[2] Ibid.

ويسترشد هوك بكل من جيفرسون ولينكولن على إنهما كرسا تفكيرهما لصالح حكم الأغلبية، ويشير إلى أن لينكولن بالذات هو الذي أدرك ما لم يستطع إداركه النقاد، الذين خشوا من طغيان الأغلبية، فقد أدرك أن الخيار الوحيد لحكم الأغلبية هو الاستبداد Despotism، أو الفوضوية anarchy حيث استبداد الفرد وطغيانه أو الصفوة، أو طغيان واستبداد الغوغاء.[1] ومع أن جيفرسون ولينكولن – على سبيل المثال – قد أرتبطت أسمائهم وفلسفاتهم بالديمقراطية إلا أنهما كما يذهب هوك" لم يؤمن أي منهما أن الأغلبية هي بالضرورة صواب وعلى حق دائمًا، ولم يؤمنوا كذلك بالهذيان الذي قاله روسو عن الإرادة العامة."[2] ويبرهن كل ذلك كما يقول هوك على أن: "حكم الأغلبية ليس كافيًا لتحقيق الديمقراطية، ويبرهن في الوقت نفسه أنه ليس غير ضروري، ولا يبرهن على أن حقوقا معينة لا يمكن التنازل عنها وإنها مطلقة."[3]

ويعرض هوك لأقوال من يقولون إنه طالما أن الديمقراطيات لا تستطيع ضمان الحقوق المطلقة في كل الظروف، ولآن الحكومة الشمولية لا تحققهم بشكل عام وفي كل الأحوال، فإنه وبشكل مبدئي ليس هناك فرق بين نوعي الدولتين، ويعد ذلك تجاهلا تمييز يصفه هوك بأنه غاية في الأهمية. ففي الحكومات الديكتاتورية يعد اختزال وتقليص أي وثيقة حقوق أمرا مرتبا ونظاميا أكثر من أن يكون عرضيا، ويقوم على التعسف لأقلية صغيرة.[4] فالصراع بين الأغلبية والأقلية لا مفر من وقوع ولكن يجب أن تتيح الأغلبية الفرصة للأقلية كي تكون أغلبية على الرغم مما بينهم من صراع. وهنا يشير سيمور مارتن ليبست عما في المجتمع الديمقراطي نفسه من صراع ولكن داخل إطار الإجماع وهويفسره بقوله:" والديمقراطية المستقرة، وإن بدا ذلك مثيرًا للدهشة، تتطلب الصراع أو الأنقسام، بحيث يكون هنالك نضال دائم للوصول إلى مراكز الحكم

---

[1] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 253

[2] Ibid.

[3] Sidney Hook, **Hero in History**, p. 157.

[4] Ibid, pp. 12, 13.

وتكون هناك تحديات للأحزاب صاحبة السلطة، وتبدلات بين الأحزاب التي تتولى الحكم. لكن الصراع يجب أن يتم دائما ضمن إطار الإجماع أو الاتفاق العام بين المتنازعين، وإلا فلن تكون هناك ديمقراطية. ويعني الإجماع هنا وجود نظام سياسي يسمح بتبادل تسلم السلطة سلميًا أي على كل من الحزبين الحاكم والذي هوخارج الحكم أن يعترف بحقوق الحزب الآخر ودوره."[1]

ولكن كيف يمكن للأقلية أن تضمد جراحها أوتعدل أوضاعها في الدول الديمقراطية؟ يجيب هوك بالقول: "إذا كان لصوتها صدى يُسمعَ في ظل القواعد والشروط التي تتيح حقًا القبول المعطي بحرية، ربما لا تهتم الأغلبية بما تؤمن به الأقلية على أنه إدعاءات عادلة، ولذلك يوجد دائمًا الالتجاء إلى الثورة، ربما يكون لذلك اعتماد أخلاقي ولكنه يستلزم البعد عن نظرية القبول الديمقراطي، الذي تبعًا له لا يكون من حق الأقلية استخدام القوة لفرض مفهومها للحق، وللخير، ولقيمها على الأغلبية فربما يكونوا رجالًا خيرين، أو حتى قدسين، ولكن لا يمكن أن يطلق عليهم ديمقراطيين. ومع ذلك هناك إمكانية التصالح (المهادنة) أو إثارة المصالح المتصارعة، ولكي يتم تجنب الشر الأكبر للحرب الأهلية، فإننا نرضخ للشر الأقل لما يبدولنا حكم الأغلبية ...."[2]

ويشدد هوك على ضرورة تحري الأغلبية للصواب وأن لا تلغِ الفردية فيقول: "لا يمكن لديمقراطية أن تبقى وتحيا طالما كانت قرارات الأغلبية فيها حمقاء أواستهدفت تدمير الأقليات أوقهرها. إن الأغلبية تتكون من أفراد لا تُلغىَ اختلافاتهم أو تمحي لمجرد اتفاقهم وتوحدهم حول مسائل معينة[3]" . ففي ظل هذه الاختلافات ربما يجد

---

[1] سيمور مارتن ليبست ، ص. 6.

[2] Ibid, p. 12, 13.

[3] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, pp. 13, 14.

البعض أنفسهم ضمن الأقلية بصدد مسائل أخرى وذلك عندما تدور عملية التاريخ دورتها التالية.

ويؤكد هوك أن أسباب الظلم تتمحور في عاملين:

1- تآويل قواعد المساواة كما لوكانت تطبق فقط على الأفراد الذين في أوضاع متماثلة.

2- وعدم الإكتراث بتجارب الآخرين .

فتحقيق الديمقراطية لا يتحقق فقط من خلال وجود عقيدة تؤمن بقدرة الإنسان على التعلم، وليس فقط الالتزام باستمرار توصيل برامج التعليم العام للمواطنين، وإنما بتنمية الاتجاه الذي يقدر ويشجع الاختلافات بدلًا من أن يتسامح معها فقط. ليس هناك ديمقراطي ذكي ينكر إمكانية أن تدوس الأغلبية على الحقوق الفردية . ولكن إذا كانت حقوق الأقلية من الأفراد ليست في مأمن وهي في أيدي الأغلبية، فهل ستكون حقوق الأغلبية في أمان أكثر وهي في أيدي الأقلية؟ ومن الذي سيختار الأقلية، وكيف ستكون حقوق الأغلبية في آمان في مواجهة الأقلية؟ يطرح هوك إذن هذه التساؤلات، فهل تواجد حقوق مطلقة هوالضامن لحفظها ؟ يجبيب هوك بأن الحديث عن حقوق مطلقة لا يمكن التخلي عنها هوأمر ليس مجديا لآن في الواقع العملي حتى هؤلاء الذين يتحدثون عن مثل تلك الحقوق تجدهم غير مستعدين أوجادين في التأكيد على حق أي فرد أن يفتعل إدعاء ضد المجتمع بدون الأخذ في الاعتبار عواقب هذا الادعاء على الأخرين. وطالما أن هذا الإدعاء يمكن تقويضه أوتحديده نظرا لعواقبه، فإنه إذن ليس مطلقا. وحيث إن الأمر كذلك فإنه ينبغي تفسير كل الحقوق الطبيعية تبعًا لمعانيهم وحدود التطبيق، وهنا تتصاعد المشكلة مرة أخرى – كما يذهب هوك – من الذي سيحصل على السلطة المطلقة في تآويل الحقوق– الأغلبية أم الأقلية؟ إن إجابة الديمقراطي على مثل هذه الأسئلة تتضمن عدة مبادئ:

أولا : إن الحقيقة الأولى المتعلقة بالديمقراطية لا تتمثل في كون الأغلبية مؤثرة وإنما في

كونها وصلت إلى السلطة عبر عملية ديمقراطية، وتتجسد هذه العملية في مجموعة كاملة من الشروط تشرح وتفسر لماذا يكون تصويت الأغلبية ليس شرعيا في نظر الشخص الديمقراطي إذا تمت في جومن الرعب والتهديد، أو عندما تكون المعارضة الشرعية مستحيلة؛

ثانيا :حتى الأغلبية التي تشكلت من خلال عملية ديمقراطية ربما تكن مخطئة فيما تستحسنه أو تدينه .فصوت الناس ليس صوت الله او بالضرورة صوت العقل . فمعقولية العملية الديمقراطية لا يكمن في جزء محدد في التشريع وإنما في معقولانية العملية الديمقراطية أي معقولانية وتوازن المنهج الذي بواسطته تتوصل الأغلبية إلى القرارات. فجوهر العقيدة الديمقراطية يسمح عبر العملية التعليمية المتواصلة للرجال أن يصبحوا واعين وقادرين على اكتشاف – بواسطة البرهان والأخذ والعطاء في المناقشة الحرة - أفضل طريق لحل المشكلات الشائعة بشكل أقوى مما لوكان المناخ مناخ موناركية أو استبداد، ذلك الجوهر الذي وصفه لنكولن بأنه الخيار الوحيد أمام الحكم الديمقراطي للأغلبية؛

ثالثًا: ينطوي جزء من الإيمان في العملية الديمقراطية على أن الأخطاء المترتبة عنها يمكن تصحيحها من خلال تعميق وتوسيع وتطوير هذه العملية، فمن خلال تعليم الأغلبية ألا ترضى عن التشريع السفيه يمكن تحقيق عملية أفضل.

رابعًا: يترتب على ذلك أن عمليات التعلم في ظل الديمقراطية ينبغي النظر إليها وإدراكها كعملية تجلب الروح المتضمنة في الديمقراطية وفي اتصال مع عملياتها . لا تقوم فلسفة الديمقراطية على الاعتقاد في الطبيعة الخيرة للإنسان وإنما على قدرته على التعلم، ولا تقوم كذلك على حتمية التقدم الاجتماعي وإنما على الطاقات الكامنة في طبيعة وذكاء الإنسان . إن تاريخ أعرق دولتين ديمقراطيتين في العالم، بريطانيا العظمى والولايات المتحدة يلقي الضوء على أكبر رادع يمكن الاعتماد عليه لمواجهة ما أطلق عليه توكفيل " الاستبداد الشرعي والظلم المقدس" للأغلبيات، ليس في الاعتراض

المطلق دوما من قبل الأقلية وإنما تطوير وتنمية تقدير وتقييم الوظيفة البنائية لاختلاف الأقلية في عالم لا نستطيع أن نصل فيه إلى حقيقة مطلقة. فضلا عن حقيقة أن إعضاء أغلبية اليوم ربما يكونوا جزءا من أقلية الغد. ولهذا ربما تدرك الأغلبية أن وضعها في وضع كباح على ممارستها السلطة سيكون سابقة تقدر لها فيما بعد. وسجل الماضي يكشف أن الأقليات يعانون أكثر على يد الأقليات الغير ديمقراطية أكثر من معاناتهم على يد الأغلبيات الديمقراطية.[1]

ومع ذلك، وعلى الرغم من تحليله التفصيلي لتأييده لحكم الأغلبية إلا أن هوك في نهاية الأمر يستدرك فيوضح أن ذلك لا يعني الإيمان دوما بأن الأغلبية هي التي على صواب. فالعقل فيما يتعلق بالشئون الإنسانية يكون موضعا لترجيح المصالح، والمصالح تتباين مع بعضها البعض، فربما يكون عقل الأغلبية هوكارثة الأقلية.[2] وينتهي هوك إلى القول: " إن الديمقراطية صعبة، وتصبح أكثر صعوبة لأن معظم هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم ديمقراطيين هم شموليون مقنعون، إن الأخلاق لا تكمن في إدعاء الكفاح ولكن في الكفاح بالفعل."[3]

سادسًا: حقيقة الديمقراطية الأمريكية ونقد آراء هوك

1- الديمقراطية الأمريكية كما يراها سيدني هوك

جعل هوك من الديمقراطية الأمريكية مثالًا ونموذجًا يحتذى به فيقول: "إن ممارسة الحريات السياسية في الولايات المتحدة هو ما نعنيه ونقصده من قول الطريقة الأمريكية للحياة."[4] ويقول:" المجتمعات الديمقراطية هي " مجتمعات أوروبا الغربية وأمريكا وبعض الأماكن الآخرى من العالم، التي تتواجد فيها مؤسسات تقوم على

---

[1] Ibid, pp. 26 - 27
[2] Sidney Hook, **Hero in History**, P. 158
[3] Ibid, 167.

[4] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, P. 59.

الاختيار المعطى بحرية بشكل مباشر أو غير مباشر من قبل الأغلبية الراشدة من السكان."[1] ويقول أيضا: " إن تاريخ أعرق دولتين ديمقراطيتين في العالم، بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، يلقي الضوء على أكبر رادع يمكن الاعتماد عليه لمواجهة ما أطلق عليه توكفيل الاستبداد الشرعي والظلم المقدس للأغلبيات."[2]

فعندما يتحدث هوك عن الديمقراطية فهو يشير إلى النظم الغربية موضحًا أن للتقليد الثقافي الأنجلو –أمريكي ثلاثة حقائق على قدر كبير من الأهمية وهم: 1) إرساء مبدأ الموافقة المعطاه بحرية. 2) تنمية الاتجاه التجريبي والعلمي. 3) إدراك قيمة التنوع والتعددية . ويشير هوك إلى أن أهم اتجاه مميز للثقافة الغربية في هذه الاتجاهات هو ذلك المتعلق بتنمية الاتجاه الأمبريقي والتجريبي، فيقول: " تتضح حكمة هذا الاتجاه في حقيقة أنها حققت إجماع وموافقة على مؤسساتها السياسية الأساسية بعيدا عن ميتافيزيقيات أو لاهوت. فيتواجد في المجتمع الأنجلو –أمريكي أفراد وجماعات لهم أفكار متغايرة حول طبيعة الله، والعالم، وأصل الحياة ومصيرها . بيد أن جميعهم يقبلون قيم وميكانيزم الطريقة الديمقراطية للحياة حتى لو كانت تبريراتهم النظرية الخاصة بأفكارهم متعارضة مع بعضها البعض . وهذه حقيقة على قدر هائل من الأهمية يُلغَى فيها الإدعاء المتعجرف بأنه لا يستطيع أحد أن يكون ديمقراطيًا سديدًا وصاحب مبدأ إذا لم يتقبل بعض العقائد الميتافيزيقة واللاهوتية.[3] فكفالة حرية العقيدة يعده هوك واحد من أهم شروط الديمقراطية.

ويشير هوك إلى الملمح الثاني المميز للثقافة الغربية فيقول:" يعد تأسيس وإيجاد الموافقة المعطاه بحرية هو الحقيقة الثانية في ثقافة الشعوب المتحدثة بالإنجليزية . إن النقاد داخل وخارج ثقافتنا لا يناقشون مصداقية الموافقة المعطاه بحرية. ولكن يزدرون

[1] Ibid, p. 321.
[2] Sidney Hook, **Hero in History**, p. 27.
[3] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 8.

المدى الذي تسيطر به على مؤسساتنا السياسية والاجتماعية."[1]

ثم ينتقل هوك للحديث عن العنصر الثالث المميز للثقافة الانجلو أمريكية بأنه عنصر التنوع والتعددية ؛ فالتنوع في نماذج الخبرة يُحيي ويعيد إحياء روح الإنسان . فكل اكتشاف جديد هو انتصار للتغيير على التكرار.[2] ولكنه يشير إلى الخوف من التغيير فيوضح: إن هناك بعض المخاوف والكراهية للتغيير على أساس أنه سيُهدد بشكل ما وجودنا ويرد على ذلك: " إن هذه الشكوك باطلة، فمعظم الاختلافات متوافقة مع بعضها البعض . فالنمو نحو النضج يتفق ويتألف بقدر كبير مع تعلم كيفية تقييم الاختلافات، تعلم فهمها عندما لا نستطيع تقييمها بل وعلى الأقل تعلم كيفية العيش معها عندما لا نستطيع فهمها، ومهما نواجه تحديات ونجد اختلافات، فإن مهمة الذكاء تتمثل في أن يجد طريقا يمكن به تمييز الاختلافات."[3] فإن مهمة الذكاء تتمثل في أن يجد طريقا يمكن به تمييز الاختلافات التي بإمكانها إثراء وتدعيم حياتنا عن تلك التي من الممكن أن تدمرها.

2- نقد البعض للديمقراطية الأمريكية

إذن تحدث هوك عن الولايات المتحدة بأنها نموذج لتطبيق الديمقراطية، وهذا ما انتقده العديد من الفلاسفة الأمريكيين أنفسهم وغيرهم. فيُعرف نعوم تشومسكي في كتابه" ردع الديمقراطية " المجتمع الديمقراطي المدني بأنه : "هو ذلك الذي يستطيع فيه الناس إدارة أمورهم الذاتية بأنفسهم وبطريقة مفيدة ذات معنى. أما الديمقراطية الأمريكية أو بالمعنى العقائدي فهي تشير إلى: " النظام الذي تقوم فيه جماعة رجال الأعمال والصفوة التي تلتفت حولهم بصنع القرارات. وعلى العامة أن يكونوا فقط متفرجين على ما يجري ولا يكونوا مشاركين."[4] فالقرارات تصنع بمعزل عن المواطن ولو تصور

---

[1] Ibid, P. 11.

[2] Ibid, P. 14.

[3] Ibid.

[4] نعوم تشومسكي ، **ردع الديمقراطية** ، ترجمة فاضل جتكر (دمشق: دار الذعان للدراسات والنشر ،1992)

أنه يشارك؛ فمن يسيطر أصحاب المال والنفوذ.

ويقول أيضًا: " والسلطة في الولايات المتحدة ليست سرًا كبيرًا، فهي تكمن أساسًا في أيدي الناس الذين يحددون قرارات الاستثمار– أي ما الذي يتم انتاجه وما الذي يتم توزيعه – وهم يعينون الموظفين في الحكومة، وهم بشكل عام يختارون المخططين، ويضعون الشروط العامة للوضع التنظيمي. أكثر الأشياء التي يريدونها هو الشعب الخامل الهادئ المستريح وهناك العديد من الوسائل لتحقيق ذلك. فالسياسية مقررة تقريبا كلية من قبل الناس ذوي الجاه والمال الذين يملكون البلاد ويديرونها."[1]

ويشاركه في الرأي بعدم وجود ديمقراطية حقيقية في الولايات المتحدة الكاتب الأمريكي رايت ميلز C. Wright Mills فيقول : " لا يمكننا أن نفترض اليوم أنه في العهد الأخير يحكم الناس ويقودهم رأيهم وموافقتهم الخاصة. فمن ضمن وسائل القوى التي تسيطر وتسود الآن قوة تشكيل وتسيير موافقة الناس . تلك القوة التي لا نعرف لها حدود أو مدى."[2]

ويقول السناتور الأمريكي وليم فوالبرايت:" إن التهديد الحقيقي الذي يجابه مستقبل نظامنا الديمقراطي هو تهديد داخلي، فنحن على وشك أن نفقد نظامنا الديمقراطي بسبب إفراطنا في طباعة النقود، وازدياد حدة العجز والتضخم، وتشوه حياتنا الاقتصادية والسياسية، وهي أخطاء تفوق أي عدوان خارجي قد يشنه الروس . إن رغبتنا وعزمنا على التفوق عليهم في الانفاق العسكري يعد من شئون السياسة الخارجية بمعنى ما، إلا أن له في نفس الوقت تأثيرا مهلكا على اقتصادنا . إن دعمنا للدول الأخرى، وتدخلنا

ص 54.

[1] نعوم تشومسكي ، **ما الذي يريده العم سام حقا** ، ترجمة موسى برهوم (عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1993) ص.ص. 15 ،16.

[2] Irving Louis Harouitz, ed., **Power, Politics and People, The Collected essays of C. Wright Mills**, (New York: Oxford University Press, 1963) p.23

في شؤون البعض منها ... إلى جانب اتصافه بعدم الفاعلية، يقود إلى تدهور خطير في اقتصادنا."[1] ويقول: "إنني أعتقد أن أمريكا التي اؤمن بها، لا يمكن أن تستمر طويلا في هذا الجو الحربي . وكما كان الأمر عبر التاريخ، يبقى التهديد الأعظم مبعثه الحمقي في الداخل لا الأعداء في الخارج، وطريق العسكرة المستمر يقود حتما إلى التدهور المستمر والسقوط." [2]

وينتقد تشومسكي في كتابه "حقوق الإنسان وسائل الإعلام" فيرى أنها لا تنصت إلا لمتبعي النظام فيقول: " تطلب منى الصحافة والراديو والتليفزيون في كندا وأوروبا الغربية واليابان وأمريكا اللاتينية وأوستراليا، تماما كما تطلب من غيري ممن قد ساهموا في الكتابة والأعمال المعارضة لسياسة الدولة، أن أعلق على الشئون المعاصرة والمسائل السياسية لكن هذا لم يحصل قط تقريبا في الولايات المتحدة إذ ينحصر التعليق في الولايات المتحدة بالخبراء الاخصائيين الذين نادرًا ما ينحرفون عن نطاق أيديولوجي ضيق جدا."[3] ويشير هذا ضمنيا إلى سيطرة أصحاب النفوذ والمصالح على وسائل الإعلام فيوجهونها بما يخدم مصالحهم ونفوذهم.

ويقول أيضًا تشومسكي:" ونحن في المجتمع الحر لا نزج في السجون آولئك الذين يخرقون المحرمات الثقافية المتأصلة ولا نحرقهم في المحرقة، غير أنه من الضروري أن نصنفهم على إنهم راديكاليون خطرون لا يستأهلون أن يعدوا في عداد المشيخة الثقافية . وهذا رد فعل لائق . ذلك أن مجرد طرح المسألة المخيفة معناه إفساح المجال لإحتمال إصابة المؤسسات المسؤولة عن تلقين الشباب وغيرها من

---

[1] ج . وليم فوالبرايت ، **غطرسة القوة – ثمن الإمبراطورية** ، ترجمة لجنة التبادل التعليمي والثقافي بين الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية مصر العربية (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ،)ص. 215.

[2] نفس المصدر السابق ،ص. 318.

[3] نعوم تشومسكي ، **حقوق الإنسان والسياسة الخارجية الأمريكية** ، ترجمة عمر الأيوبي (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية، 1984) ص. 20

المؤسسات الدعاوية بالعدوي بأخطر نوع من أنواع الطاعون."[1]

وعمن يصنع القرار في أمريكا يقول تشومسكي:" وتكشف دراسة بعد أخرى أن المناصب الاستشارية ومناصب اتخاذ القرار المتعلقة بالشئون الدولية تتركز بشدة في أيدي ممثلي الشركات الرئيسية والبنوك ودور الاستثمار وبعض المؤسسات الحكومية التي تدعم مصالح الشركات والمثقفين التكنوقراطين ذوي الاتجاهات السياسية الذين يرعون مصالح أولئك الذين يملكون ويديرون المؤسسات الأساسية في المجتمع المحلي، والأمبراطوريات الخاصة التي تتحكم بمعظم جوانب معيشتنا مع تظاهر ضئيل بمسئوليتها أمام الشعب حتى دون الالتفات إلى السيطرة الديمقراطية". ويضيف: " في إطار الدولة–الأمة يقوم المسيطرون على مؤسسسات الاقتصاد المركزية، عموما بصياغة " الهدف القومي " الفعال في حين تناط مهمة تمويهه بالنخبة الفكرية."[2]

ويتفق مع تشومسكي في الرأي الفيلسوف الأمريكي رايت ميلز C. Wright Mills فيرى أن هناك ثلاث مستويات كبيرة للقوى في الولايات المتحدة وعلى قمتها وأعلاها سلطة صنع القرارات ذات العواقب القومية والدولية. أما سلطات الدين أوالتعليم أو العائلة وقد طغت عليها سلطات هذه المؤسسات الكبار الثلاث (السياسية والعسكرية والاقتصادية) وهي أيضا التي استفادت من التكنولوجيا وأصبحت الآن تقودها. وهذه القوى الثلاثة لا تتواجد بمعزل عن بعضها البعض فيكون النظام السياسي في جهة، والعسكري في جهة ثانية والاقتصادي في جهة ثالثة وإنما هناك اقتصاد سياسي يتصل ويرتبط بشكل وثيق مع النظام والقرار العسكري[3] . لقد أصبح مثل هذا الواقع حقيقة بنائية ونسقية وهو المفتاح لفهم الدوائر العليا في أمريكا اليوم وجميعهم معا يشكلون صفوة القوى في أمريكا Power of Elite .

---

[1] نفس المصدر السابق ، ص. 42

[2] نفس المصدر السابق، ص.ص. 21 –22.

[3] Irving Louis Harouitz, (editor): **Power, Politics, and People**, (The Collected Essays of C. Wright Mills) p. 27.

ويقول ميلز أيضًا: "اليوم ليس هناك يسار في الولايات المتحدة ؛ فالأنشطة السياسية العملية يحتكرها نظام حزبي ثنائي غير مسؤول، وتميل الأنشطة الثقافية إلى أن تكون قومية أو تجارية أومجرد أنشطة خاصة."[1] ويقول أيضا: " غالبا ما أرى المفكرين في السنوات الأخيرة وقد انطبقت عليهم مقولة فرويد" : إجهاض الليبرالية الأمريكية" أي أن ما تحمله أمريكا في القرن العشرين يخالف تماما مُثل القرن الثامن عشر."[2]

تعقيب هوك واستدراكه

لعل النقد الذي كثيرًا ما كان يوجه إلى الديمقراطية الأمريكية من الأمور التي جعلت هوك يستدرك في تقديره بأن المجتمع الأمريكي هو نموذج ومثال للديمقراطية، فيستدرك هوك ويتساءل: ما هو مقدار اكتمال الديمقراطية في الولايات المتحدة؟ ثم يجيب بأنها بعيدة تماما عن الكمال، فالآلية السياسية لتسجيل الموافقة في بعض الولايات خطأ، وفي البعض الآخر تقع تحت سيطرة أقلية من المستبدين."[3] ويقول أيضا بإنه إذا كانت أمريكا بلد الديمقراطية، فإنها لم تبلغ الكمال في تطبيقها : ويفسر ذلك بأن أمريكا وإن كانت دولة يحكمها القانون فالقائمون على تآويل القانون وتنفيذه هم أفراد عاديين غير معصومين. وهو يذكر هنا ما ذكره ذات مرة " القاضي ستون Justice" Stone قاضي المحكمة العليا حيث قال: " عندما يخضع فعل ما غير دستوري بواسطة الجهة التنفيذية أو التشريعية للرادع القضائي، فإن الكابح أو الرادع الوحيد المفروض على ممارستنا للسلطة هو إحساسنا الخاص بكوننا نحن الرادع."[4]

ويعلق هوك على قول القاضي"ستون Stone" بإن معظم الليبراليين يتجاهلون

---

[1] Ibid, p. 222.

[2] Ibid, 599.

[3] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 34.

[4]Ibid, p.24.

الحقيقة المتضمنة في جملة القاضي Stone بأن المحكمة العليا هي الصانعة العليا للقانونSupreme Law – Making ، فبوصفها جهة تفسير وتآويل القانون في البلد، ولسلطتها في إلغاء تشريع نواب الشعب فهي قيد مفروض على الديمقراطية أو ملمح غير ديمقراطي للحياة الأمريكية العامة، ممكن أن يغض الطرف في أي وقت عن المظاهر الديمقراطية."[1] وهو ما يعد اعترافا صريحا من قبل هوك بأن الديمقراطية تُنتهَك عندما تتداخل السلطات الثلاثة؛ فتعطي القضائية لنفسها حق التشريع، كما في هذه الحالة.

أما القاضي فرانكفورتر فجعل ما هو ضمنيًا في عبارات القاضي ستون Stone واضحا حيث يقول: " الرأي القضائي هو كبح متعمد مفروض على الديمقراطية عبر عضو في الحكومة غير خاضع للسيطرة الشعبية." [2]

ومازال هوك يدافع عن الديمقراطية الأمريكية فيذهب إلى أنه لا توجد مطلقات فيقول:" إننا ندرك تمامًا ما نعنيه عندما نقول إن مدرسة ما، أو أسرة ما أو مصنع ما، يتصرف بديمقراطية أكثر من مدرسة أخرى أو أسرة آخرى أو مصنع آخر . إننا نعني أن الأفراد يتم استشارتهم باستمرار، وتتم دعوتهم لإبداء الرأي ولهم سلطة توجيه السياسة."[3]

وينطبق ذلك حتى في الأنظمة الأشد صرامة مثل الجيش؛ فأحيانا تتواجد مواقف تأخذ فيها العمليات الديمقراطية شكلا غير لائقا كمثلما يحدث في الجيش، ولكن حتى هنا نعرف ما نقصده عند القول بأن جيش ما يعد أو يمكن أن يعد أكثر ديمقراطية من غيره.[4] . فيؤكد هوك أنه ليست هناك تنمية ديمقراطية كاملة في أي مكان في العالم، و(لكن) لن يمنع ذلك من توظيف المصطلح بذكاء والقيام بتقييم مقارن أكثر مما تمنعنا

[1] Ibid, p. 25
[2] Ibid.
[3] Ibid, P. 32.
[4] Ibid, P. 20.

حقيقة أنه لا يوجد شخص يعد" كاملا صحيًا من التحدث عن مفهوم" الصحة " المعتمد على النظرية والممارسة العلاجية . ولا يوجد شخص سمين على نحو مطلق، وإنما يمكننا بسهولة القول إذا ما كان شخص ما أسمن من غيره؛ فللمدى الذي يمكننا فيه معرفتنا من تنظيم المجتمعات الموجودة، في تسلسل أعلى أو أقل من حيث تطبيق الديمقراطية يكون تعريفنًا سديدًا."[1] ويقول هوك أخيرًا مدافعًا عن الديمقراطية الأمريكية "يبقى أخيرًا أن الديمقراطية الأمريكية، على كل ما فيها من نواقص تمتلك القدرة على التحرك صوب تحقيق وتنفيذ وعد المساواة والحرية."[2]

على الرغم من دفاع سيدني هوك عن الديمقراطية الأمريكية لكن لا يخفى على أحد أن شعارات الديقراطية والحرية التي تطلقها الولايات المتحدة وتدعي سعيها وتصميمها على تطبيقها في دول كثيرة في العالم وخاصة في منطقة الشرق الأوسط ما هي إلا شعارات زائفة. والتدخل في شئون الدول هو المقصد الأساسي من وراء هذه الدعاية التي تطلقها دوما واشنطن. فمن يجزم بأن العراق والذي دمرت بنيته التحيتة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها بحرب غير مبررة منذ مارس 2003 ينعم الآن في ديمقراطية أكثر من أن يكون في صراع غير خفي بين الشيعة والسنة والأكراد مما ينذر باشتعال حرب أهلية في أية لحظة؟! ومن قال أن أفغانستان الآن ينعم بديمقراطية بعد الحرب التي شنتها أيضا واشنطن منذ عام 2001. إن ما تسعى الولايات المتحدة إلى تغييره ليس أكثر من أشخاص لتضع في أماكنهم أشخاصًا أخرين أكثر ولاءًا للبيت الأبيض .. فأين هي الديمقراطية؟!

[1] Ibid, pp. 285, 286.
[2] Ibid, p. 34.

الفصل الثالث

الاشتراكية الديمقراطية عند سيدني هوك

"مثل جان بول سارتر في فرنسا وبرتراند رسل في بريطانيا، كان سيدني هوك في أمريكا، وباعتباره وريث رداء جون ديوي في الولايات المتحدة، فقد تحدث عن الظروف الواقعية للحياة المعاصرة وحاول بكل إصرار تطبيق الذكاء البرجماتي داخل كافة الشئون الواقعية الملموسة ... لقد أصبح هوك مثل سقراط، شخصية مثيرة للجدل."[1]

الفيلسوف الأمريكي بول كارتز

---

[1] جاء هذا التصريح للفيلسوف بول كارتز في مؤتمر عالمي عقد في الثاني والعشرين من أكتوبر عام 2002 احتفالا بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد سيدني هوك ، شارك فيه كبار الفلاسفة والكتاب من أمريكا ودول العالم تحت رعاية جامعة نيويورك ومجلس الإنسانية العلمانية Council for Secular Humanism ومجلس التحقق العلمي لادعاءات ما وراء الطبيعة Committee for the Scientific Investigation of Claims of the Paranormal . أنظر:
www.pragmatism.org/genealog/hook.htm
web.gc.cuny.edu/Humanities/sidneyhook.html

الفصل الثالث

الاشتراكية الديمقراطية عند سيدني هوك

كما آمن هوك بالديمقراطية ودافع عنها آمن كذلك بالاشتراكية ومزجها بالديمقراطية وعن ذلك يقول إرفينج كريستول Irving Kristol : " لقد آمن هوك بالاشتراكية وكان ديمقراطيا اشتراكيا."[1] ويقول أيضا ميلتون كونفيتز Milton Konvitz : " كما طبق هوك فلسفته البرجماتية داخل التنظيم الاجتماعي، رأى نفسه اشتراكيًا أو ديمقراطيًا."[2] بيد أن اشتراكيته كانت من الأمور التي وُجَه بسببها النقد إليه فرأى البعض أن كون هوك ديمقراطيًا اشتراكيًا يعد أمرًا محيرًا ؛ فيقول أنتوني جي فليو Antony G. Flew: " إن ما يحير هو أن هوك مازال يُعتبر اشتراكيًا ديمقراطيًا، أو حتى ديمقراطي اشتراكي، فلماذا، في عالم اليوم الممتلئ بالتجارب الكثيرة للاشتراكية العملية؛ العالم الذي أصبحت فيه دائما الاشتراكية الشمولية الكلية، في نطاق التطبيق، ديكتاتورية وطاغية وفُقدت الحرية في هذا العالم الذي تطبق فيه اشتراكية شمولية، لماذا ما يزال هوك اشتراكيا؟"[3] ويقول نيقولاس كابالدي:" Nicholas Capaldi: "من الواضح أن اشتراكية هوك من أكثر العناصر تناقضًا في فكره."[4] ثم يضيف: " ولكن ربما كانت هناك طريقة وحيدة لإزالة هذا التناقض وهي أن نتسآل : هل هوك اشتراكي ديمقراطي أم إنه ديمقراطي

---

[1] Irving Kristol, **Life with Sidney Hook: A memoir**, (in) Paul Kurtz (editor); **Sidney Hook: The philosopher of Democracy and Humanism** (New York: Prometheus Books, 1993) p. 29.

[2] Milton Konvitz, **Sidney Hook: Philosopher of the Moral critical Intelligence**, p. 14.

[3] Antony G. Flew, **the Socialist Obsession** (in) Paul Kurtz (editor); **Sidney Hook: The philosopher of Democracy and Humanism,** p. 35

[4] Nicholas Capaldi, **Sidney Hook: A Personal Portrait**, p.25.

Ibid.

اشتراكي؟ ثم يجيب: "أعتقد انه ديمقراطي اشتراكي."[1] لقد ذهب البعض إذن إلى أن هوك مزج بين الاشتراكية والديمقراطية، ولما كانت ديمقراطيته قد بنُيت على إيمانه بالبرجماتية فقد مزج إذن بين الاشتراكية والبرجماتية، فهل حقًا أوقع نفسه في التناقض كما ذهب منتقديه؟ ! ثم هل ثمة عناصر تتضمنها الاشتراكية الماركسية مما تجعلها تتوافق مع الديمقراطية التي قام عليها أساسًا فكر سيدني هوك؟ في الصفحات الآتية محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها.

أولًا: المزج بين البرجماتية والاشتراكية

1- مفهوم البرجماتية

لقد قامت فلسفة هوك أساسًا على البرجماتية pragmatism ، التي يعرفها جون آيه سميث John E. Smith بأنها: " اتصال الفكر بالنتائج العملية المترتبة عليه ...والتي يمكن تلخيصها في قاعدة "خدمة الفكر للفعل."[2] وقد ربط تشارلز بيرس[3] بين أن يكون لفكرة ما معنى وبين ما يترتب على هذه الفكرة من نتائج[4] والبرجماتية كما يشير يعقوب خام:" هي قبل كل شئ طريقة في الفلسفة ... طريق لبحث القضايا

---

[1] Ibid .

[2] John E. Smith, **the meaning of Pragmatism** (New York: Yale University Press, 1978) P.8.

[3] تشارلز بيرس (1839 – 1914) تخرج من جامعة هارفارد وتأثر بلفسفة " كانط "واهتم بالعالم التجريبي، هو أول من استعمل مصطلح البرجماتيزم في مجلة popular Science Monthly عام 1878 في مقالة تحت عنوان: " كيف نوضح أفكارنا " أنظر : زكريا ابراهيم ، **دراسات في الفلسفة المعاصرة** ، وأحمد أمين ، زكي نجيب محمود ، **قصة الفلسفة الحديثة** ، الجزء الأول.

[4] Robert N. Beck, **Perspectives in philosophy** (New York: Holt Rienhart and Wiston, 1975) P.130

الفلسفية.. قبل أن تكون نظرية فلسفية... هي وسيلة لمعالجة القضايا الفلسفية، هي نفسها قضية أو حل لبعض المشاكل الفلسفية."[1]

وقد تخللت البرجماتية فكر هوك – كما سيتضح من توجهاته الفلسفية والسياسية - بل حتى في تعريفه للأفكار وللمعرفة ذاتها إذ يقول: " لا يمكن للمعرفة أن تعتبر قوة، إذا لم تُحدث الأفكار تأثيرًا."[2] والفيلسوف البرجماتي، كما يعرفه د . زكريا إبراهيم هو ذلك الذي يقترب من الأشياء وينظر إليها عن كثب، بدلًا من أن يحلق في أجواء الفضاء.[3] وتوافقا مع توجهه البرجماتي يذهب بول كارتز Paul Kurtz إلى أن هوك بزغ في استخدام العقل، خصوصا في النواحي الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، ولم يستغرق في تجريد فلسفي مفرغ، أو برج عاجي أو في وجود منعزل، إنما كان يبحث دائمًا عن ربط الفكر بموضوع أساسي.[4] ويؤكد كارتز Kurtz إن هوك: "حاول أن يفسر فكر ماركس بإدخاله في مصطلحات برجماتية، فكان يسعى دائما إلى الحكم على الأفكار من خلال نتائجهم المؤثرة على السلوك الإنساني."[5]

2- مفهوم الاشتراكية

يرى البعض أن الاشتراكية تشير إلى مجموعة من المبادئ والحركات السياسية التي كان يهدف منها وضع المبادئ والنظريات موضع التنفيذ ... فالاشتراكية ليست إلا وليدة الفلسفة، والفلسفة بنفس القدر من نتائج الحضارة ولم يعد يقبل بوجود أي فارق حاسم بين الفلسفة وبين دورها في تاريخ الحضارة. فنحن بتعريفنا لمهمة الحضارة

---

[1] يعقوب خام ، **البرجماتيزم أومذهب الذرائع** (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،1936) ص.141-142.

[2] Sidney Hook, Revoultion**, Reform and Social Justice** (New York: New York University, 1975) p. 220.

[3] زكريا إبراهيم ، **دراسات في الفلسفة المعاصرة**، الطبعة الأولى (القاهرة :مكتبة مصر، 1968)

[4] Paul Kurtz (editor); **Sidney Hook: The philosopher of Democracy and Humanism**, p. X.

[5] Ibid, p.III.

وتحديدنا لخصائصها التي تميزها إنما ندرك تعريف الفلسفة نفسها فهي تكون نماذجًا يجري على نمطها التفكير ويسير بمقتضاها العمل وبهذا تتقدم الحضارة وبغير الفلسفة لا تتواجد حضارة. وهذه الحضارة تحتاج إلى العمل فينبغي توجيه العقل إلى العمل دون النظر إلى المبادئ والأوليات ويقبل على النتائج والغايات. عندئذ يصبح الفكر مرتبطا بالتحقق من منفعتها بالتجربة... وبذلك يكون قياس قيمة أية فلسفة هو في معرفة النتائج التي تقود إليها مثل تلك الفلسفة في مجرى أحداث وخبرة الحياة العادية، بحيث يمكن معرفة قدرتها على الإسهام في التصدي لمشكلات الحياة اليومية كذلك إمكاناتها في تحديد المصاعب الناجمة عن العمل فتجعل منها كلها عناصر مترابطة تقبل الحل.[1]

والاشتراكية بكلمات سي ايه ار كروسلاند C . A. R. Crosland هي:
"مجموعة من القيم ... التي يهدف الاشتراكيون إلى تطبيقها وتحقيقها داخل هيكل المجتمع."[2]

3- المزج بين البرجماتية والاشتراكية

لم يقف هوك عند حد المتبع دون أن يكون مبتدعًا فإيمان هوك بالماركسية لم يجعله يقف عند حدودها فحسب – وسيتضح ذلك عند الاشارة لاحقا كيف انه لم يعرض فقط لفلسفة ماركس وإنما تناولها بالنقد ايضًا. وكذلك في توجهه البرجماتي وتأثره بجون ديوي، فسيدني هوك على حد تعبير بول كارتز Paul Kurtz هو"الوريث الشرعي" لجون ديوي، وإذا كان ديوي كما يذهب نيقولاس كابلادي Nicolas Capaladi لم يهتم بالجانب العملي فإن هوك كان له دور في ذلك فيقول كابلادي: Capaladi

---

[1] وليم فرج حنا ، **البراجماتية صبغة أمريكية لفلسفة واقعية** (الإسكندرية :دار المعرفة الجامعية ، بدون تاريخ) ص.ص. 13-14.

[2] **Encyclopedia Britannica**, volume 16, p.965.

فمع أن البرجماتية أدركت الأهمية القصوى للبعد الاجتماعي، فإنه لا يمكن القول إن ديوي أصدر أي نظرية عملية عن العالم الاجتماعي . فقد كان أكثر الوقت يمكث في منزله كعالم سيكولوجي يركز على البعد الفردي والبعد العضوي... وهذا هو النقص الذي عالجه بعد نظر ماركس."[1] فقد انصب اهتمام ديوي على التعليم وعن ذلك يقول برتراند رسل: " يعتبر جون ديوي هوالممثل الرئيسي لهذه الحركة (البرجماتية) ... وربما كان تأثيره الأساسي في مجال التعليم، المجال الذي كان لديه الكثير كي يقوله فيه منذ أصبح استاذا للفلسفة في جامعة شيكاغوعام 1894."[2]

وهكذا فإنه إذا كان هناك افتراض شائع بأن الماركسية والبرجماتية" مثل الزيت والنار لا يمكن أن يختلطا..."[3] فإن ما يمكن تأكيده هو أن فلسفة هوك وتوجهاته لأكبر دليل على خطأ هذا الافتراض حيث: "استطاع هوك رؤية العلاقة بين الماركسية والبرجماتية على الأقل منذ 30 عاما قبل أن يتوصل إلى ذلك أي فرد آخر، إن الأكثر أهمية من ذلك هي الطريقة الجديدة التي مزج وفهم هوك بها البرجماتية والماركسية مقدما بذلك فلسفة ذات طبيعة ايديولوجية مختلطة تعالت على مصدريها."[4] ويرسم نيقولاس كابلادي Nicolas Capaldi ما يطلق عليه نقطة الانطلاق عند ديوي، ثم يضيف عندئذ إسهام ماركس فيشير إلى النقطة الأساسية في البرجماتية هي إن الفعل اكثر أهمية من الفكر؛ فالممارسة الكفء المؤثرة تسبق دوما النظرية وفي نفس الوقت تنبع النظرية من الفعل وتمهد له، إن الفشل في إقامة نظرية بناء على فعل سابق يؤدي إلى عقلانية عقيمة ونهج يوتوبي خطير، وتتمثل النقطة الثانية في أنه لا يمكن فهم الحركة (الفعل) من خلال نماذج آلية ولكن يجب فهم الحركة عضويا؛ فلا الأفكار أو

---

[1] Nicholas Capaladi; **Sidney Hook: A Personal Portrait** (in) , Paul Kurtz, Sidney Hook: Philosopher of Democracy and Humanism p.19

[2] Bertrand Russell, **The Wisdom of The West** (edited by Paul Foulkes) (New York : Fawcett World Library, 1966). Second Printing. p. 386.

[3] Christopher Phelps, **Young Sidney Hook, Marxist and Pragmatist**, p. XI.

[4] Nicholas Capaladi; **Sidney Hook: A Personal Portrait** (in) , Paul Kurtz, Sidney Hook: Philosopher of Democracy and Humanism. P. 18

الأفعال يمكن صبها في نماذج وإنما تنتج عن الاختلاط والتفاعل مع ما يحيطهما. وفي سياق هذه التبادلات والتفاعلات، تتغير كل من الأفكار والممارسات كيفيا، ومن هنا فإن تاريخ هذه التبادلات هام وقاطع بالمثل كمنطق نسقهم الوقتي. ويعرض "كابلدي" لخطورة العودة إلى أنساق؛ حيث أن العودة إلى النماذج الميكانيكية يلقي بالغموض على عملية الفكر، بما في ذلك إيجاد حل مناسب للمشكلة، ويؤدي إلى التعامل مع المحركات كاستجابات لعلل خارجية بدلا من اعتبارها موجودات مسؤولة قادرة على فعل الأشياء وهكذا تؤدي السياسيات العامة المستقاة ميكانيكيا / آليا إلى تحكم تكنولوجي بيروقراطي بدلا من أن تقود إلى التحرر.[1] ويشير كرستوفر فيليبس إلى أن هوك تأثر بقراءات جون ديوي ووجد أن هناك تشابه بين المنهج التاريخي الذي اتبعه ديوي في كتابه "التجديد في الفلسفة" Reconstruction in Philosophy والمادية التاريخية عند ماركس.[2] ومن منطلق فلسفته البرجماتية رأى هوك أن هناك منهجًا واحدًا يمكن الاعتماد عليه وهو المنهج التجريبي، ووصف فلسفته بأنها مذهب التجريبية، أو الطبيعة التجريبية أو الطبيعة البرجماتية وقد أكد هوك نفسه أن هذه الفلسفة البرجماتية في أوسع معانيها كفلسفة للحياة تؤمن بأن منطق وأخلاق المنهج العملي يمكن، ويجب، أن تطبق في الشئون الإنسانية."[3]

وعلى خلاف ما ذهب اليه من قبل نيقولاس كابلدي من أنه لم تكن لديوي ثمة توجهات اجتماعية حيث كان يمكث معظم الوقت داخل معمله، فإن بول ف بولر يذهب خلاف ذلك فيشير إلى أن تأثر هوك بديوي لم يقتصر على تشرب الفلسفة البرجماتية منه فحسب بل أن ديوي نفسه كانت له توجهاته الاشتراكية فيقول بول ف بولر في كتابه" الحرية والقدر في الفكر الأمريكي من أدواردز إلى ديوي" : " وكان ديوي يرى أنه من العسير على أي مجتمع يقوم على التمييز أن يحقق سموا مرتفعا واسعا من الفكر

[1] Ibid, pp.17-20.
[2] Christopher Phelps, p.27.
[3] Milton Konvitz, **Sidney Hook: Philosopher of the Moral critical Intelligence** P. 6.

إلا أن ديوي يريد بكل المواطنين أن يشاركوا في موارد الأمة الاقتصادية والتعليمية والعلمية والفنية. وكان يعتقد أن ديوي يؤمن بأن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا في ظل نظام اشتراكي بشكل ما ... ويؤمن بأنه إذا أمكن إدارة الموارد الاقتصادية للأمة تعاونيا، واشترك فيها الجميع فإنه سيكون هناك تحرير واسع للعقل الذي يستطيع بعد تحرره أن يكون له توجه ونشاط دائمان."[1] وفي الواقع لا يمكن أن نتجاهل ما لجون ديوي من باع في الفكر الاجتماعي عامة وليس الفكر الفلسفي فحسب؛ وتكفي أفكاره الإصلاحية والتجديدية في مجال التعليم والتربية دليلا والتي لا تأتي من فراغ أو من برج عاج وإنما من تفاعل مباشر مع المجتمع وقضاياه وطرح ما يسهم في علاج مشكلاته الملحة.

ويقرن هربرت شنيدر بين فلسفة ديوي الاجتماعية ومذهبه الأخلاقي فيما يتصل بـ "التحقيق الذاتي"، أوما يُطلق عليه" النزعة الفردية الجديدة " وهو الاعتقاد في أن العمل الجماعي والتجربة الجماهيرية ضروريتان لتزويد أي فرد" بحرية فعالة " وبفهم عملي لما تنطوي عليه مصالحه وحاجاته العملية . وأصبح" ديوي "إمام الاشتراكية الأمريكية وقديسها وحاميها."[2]

وكما تأثر هوك بفلسفة جون ديوي تأثر كذلك وبعمق باشتراكية ماركس وأشاد بها فيقول: "للماركسية تاريخها الحافل الذي يشهد لها بأنها كانت وحدها الاشتراكية العلمية. فقد كان الماركسيون يرغبون في أن يتجهوا علميا كي يؤسسوا حكمهم وأفعالهم على برهان يمكن التحقق منه حول طبيعة الإنسان وطبيعة العالم فلم تتواجد قط حركة شعبية ضاهت الماركسية في تقديرها الهائل للعمل كقوة وسلطة ثقافية وكأساس بنت عليه

---

[1] بول . ف . بولر ، **الحرية والقدر في الفكر الأمريكي من أدوردز الى ديوي** ، ترجمة اسماعيل كشميري ، ترجمة نور الدين الرازي (القاهرة :مكتبة الانجلوالمصرية ، بدون تاريخ) ص. 305.

[2] هربرت شنيدر ، **تاريخ الفلسفة الأمريكية** ، ترجمة محمد فتحي الشنيطي (القاهرة :مكتبة النهضة المصرية،1964) ص. 404.

فلسفتها في الحياة."[1] وفي هذا الصدد يقول كريستوفر فيليبس: "لقد أكد هوك على أنه ينبغي فهم الماركسية على إنها "اتحاد فعال للفلسفة والحياة، للفكر الذي نعتقده والعمل الذي نمارسه."[2] ويقول سيدني هوك في سبيل تأكيده ارتباط الماركسية بالواقع العملي: " لم تكن الماركسية مجرد مجموعة من الأفكار، وإنما تعبير ومرشد للحركة التاريخية، ويمكن اختبار مصداقيتها في الواقع التاريخي وما سلكته من ممارسات[3]؛ فالماركسية كنظرية وممارسة للاشتراكية الواقعية لم تكن منهجًا رئيسًا لقراءة التاريخ وإنما لصناعته. ويتفق هذا تماما مع أسس فكر هوك المشبع بالبرجماتية حيث قيمة الفكرة يتأتي من القدرة على تطبيقها العملي.

وفي هذا الصدد يفسر هوك الماركسية على نحو برجماتي فيقول:" إذا أخذ المرء أفكار ماركس بشكل حرفي حيث: التخلص من كل تعسف في العلاقات الإنسانية، التلاشي التام للدولة، لوجدها أفكارا يوتوبية، ولكن براجماتيا يمكن تفسيرها على إنها مثال ونموذج يسعى لاستبعاد التعسف والاستغلال في المجتمع الإنساني."[4] والتشابه بين ماركس وديوي من الأمور التي أشار إليها برتراند رسل في كتابه" الحرية والتنظيم " Freedom and Organization" حيث يقول: "تعد مادية ماركس مادية من نوع فريد متميز،.. فعندما يتحدث عن المفهوم المادي للتاريخ، فهو لا يؤكد مادية فلسفية، وإنما فقط العلية الاقتصادية للظاهرة الاجتماعية." ويستشهد راسل بما ذكره ماركس عن ماديته في كتابه" فيورباخ " الذي يشير فيه إلى النقص الخطير في كل المذاهب المادية السابقة- بما في ذلك مادية فيورباخ، فإذا كانت النقطة الأساسية للمادية القديمة تركزت في المجتمع البرجوازي، فإن النقطة الأساسية في المادية الجديدة تتمثل في المجتمع الإنساني الاشتراكي بأسره، فقد أصبحت المهمة الأساسية للفلاسفة

[1] Sidney Hook, **Revolution Reform and Social Justice**, p 107
[2] Christopher Phelps, p. 3
[3] Sidney Hook, **revolution reform and social justice**, p. 105
[4] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom** p. 416

–كما يرى ماركس - لا تتمثل فقط في تفسير العالم وإنما في تعديله". فيشير راسل إلى الجانب البرجماتي هنا في مادية ماركس . فيقول: "هذه الفلسفة أصبحت مألوفة في عالم الفلسفة من خلال ديوي تحت اسم البرجماتية. أوالذرائعية instrumentalism وسواء أدرك ديوي تشابهه مع ماركس.. فمما لا شك فيه أن أرائهم صوب الموقف الميتافيزيقي للموضوع هي أراء متماثلة بشكل كبير."[1]

وعن ذلك يقول أيضا زكريا ابراهيم متحدثًا عن فلسفة ديوي ونزعته البرجماتية من حيث ربطه الفكر بالعمل: "إن الآثار العملية هي المحك الأوحد لقياس قيمة " الأفكار " النظرية، وهذه العبارة قد حدت بالكثير من النقاد الى تقريب ديوي من ماركس بحجة أن إمام المادية الجدلية قد ذهب إلى أن الحق بمعنى واقعية الفكر وقوته، لا بد من أن يوضع موضع البرهنة في مضمار العمل أو التطبيق، ولعل هذا ما تواجد أيضًا عند ديوي."[2]

ثانيًا: تصور سيدني هوك للاشتراكية الديمقراطية

اتضح في الصفحات السابقة كيف أن هوك دافع عن الديمقراطية ومزج بين البرجماتية والاشتراكية فبالتالي لم تكن الدول الشيوعية الديكتاتورية هي المثال الجيد الذي يمكن أن يضربه هوك كنموذج للدول المطبقة للاشتراكية التي تعني في أبسط ما تعنيه عند هوك: " إنها نظام يمحو ويزيل استغلال الإنسان للإنسان."[3]

فالاشتراكية عند سيدني هوك بعيدة عن أية حتمية محددة كما يتهمها أنصار الرأسمالية - سيأتي الحديث عن اتهامات الرأسماليين للاشتراكية والعكس بالعكس لاحقا – وتصور هوك للنظام الاشتراكي لم يكن محددًا سلفًا وهو يقول عن ذلك: "ليست هناك

---

[1] Bertrand Russell, **Freedom and Organization** "1814 – 1914" (London: George Allen and Unwin Ltd, 1949) , p.222.

[2] زكريا إبراهيم ، **دراسات في الفلسفة المعاصرة**، ص ص 31 – 33

[3] Sidney Hook, **Revolution reform and Social Justice,** P. 167

ضرورة تاريخية لبناء الاشتراكية على نحو معين، وإلا لما كان من الممكن الحديث عن طرق مختلفة للاشتراكية."[1] وهو ينظر إلى هذه الطرق المتعددة لتحقيق الاشتراكية على أنها طرق متنوعة وفرص عديدة لتحقيق قدر من الحرية إن لم يكن تحريرًا كاملا.[2] ويشير هنا إلى قول ماوتس تونج Mao-Toce – Tung في حديثه عن إمكانية تحقيق الاشتراكية بأكثر من طريق حيث يقول ماوتس تونج: "الاشتراكية هي تلك الحديقة التي يمكن لأنواع مختلفة من النظريات أن تنمو فيها."[3]

الاقتصاد المخطط والديمقراطية

أكد هوك أن إيمانه بالتخطيط لا يفصله أبدًا عن الديمقراطية فيقول: "كديمقراطيين مهما كان التخطيط الدي نقوم به يجب أولا أن يكون تخطيطا لمجتمع حر يستطيع فيه كل مواطن أن يشارك في تحديد السياسة الجماعية. إن السياسات الواعية للتخطيط، الموجهة نحو تحرير الطاقات والابداعات، تستطيع حماية جوانب التحفظات في الحياة الشخصية التي تكون فيها كل شخصية حرة في صنع قرارتها الخاصة."[4]

ويفسر هوك ما يقصده عند الحديث عن الاقتصاد المخطط فيقول: " في الماضي كان التخطيط الاقتصادي للمجتمع ككل يتضح في نموذج" تخطيط المصنع" ... فكل عنصر وكل مجهود يتم إصداره وتنسيقه بخطة كلية تصدر من مكتب مركزي واحد."[5]

ولكن هل هذا هو نمط التخطيط الذي يؤمن به هوك؟ !بالطبع لا: "فالهدف من اقتصاد المصنع المخطط في في ظل وجود المشروع الحر هو في الأساس تحقيق الربح وإلى جانب ذلك يعد أي شئ آخر مجرد شئ عرضي، أما أهداف الاقتصاد

---

[1] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p.411
[2] Ibid, P.406.
[3] Ibid, p.406.
[4] Sidney Hook, **the Hero in History**, p.181
[5] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 344.

المخطط في ظل المجتمع الاشتراكي هو تحقيق الرخاء العام ، وتعد كل من تحقيق الكفاية الاجتماعية، وتقوية وتدعيم الحقوق هدفًا أساسيًا للاقتصاد المخطط."[1] وما يقصده هوك أنه في ظل الاقتصاد الحر ربما تتواجد احتكارات تكون مركزية القرار وهدفها الربح، في حين إنه في النظام الاشتراكي حتى لو تواجدت بعض المركزية فهدفها لن يكون احتكاريًا يستهدف الربح بقدر ما يكون تحقيق الرخاء الاجتماعي، فلم يعد التساؤل حول تطبيق أو عدم تطبيق التخطيط بقدر ما كان ينبغي أن يكون حول ما هو الاتجاه الذي يجب أن يسلكه هذا التخطيط.

فإيمان هوك بالاشتراكية لم يجعله ينادي بوجود اقتصاد مركزي بيروقراطي، ولم ينجرف كذلك إلى وجهة النظر الحتمية الساذجة القائلة إن الظروف الاقتصادية هي علة باقي كل شئون الحياة الاجتماعية.[2]

يؤكد هوك أهمية وجود الحرية السياسية حتى لو تدخلت الدولة وتواجد التخطيط، ولم يتقبل هوك هنا ادعاءات الدول الشمولية التي أدعت أن قبضتها الحديدية على زمام الأمور لا ينبغي الاعتراض عليه طالما توفر لقمة العيش لمواطنيها. فانتقدهم وأشار في هذا الصدد إلى إن مئات الالاف من الكوبيين الفارين من جزيرة الفردوس لكاسترو، والذين يعرضون أنفسهم للمخاطرة ينُظر إليهم، وفقا لتوجهات كاسترو الدعائية والتعليمية، بوصفهم مخطئين ومسيئوا التصرف. مثلهم في ذلك مثل فلول اللاجئين من الدول الشيوعية، إن قليل جدا هو ما تم اتخاذه لكشف سخف معادلة الحقوق السياسية والمدنية وفقا لإعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية للعمال، ذلك لأنه عند غياب الحقوق الأولى، فإن الحقوق الثانية لن تكون مضمونة التحقيق أوقات الأزمات ؛ ففي غياب الحريات السياسية، فحتى مجتمع العبيد

[1] Ibid, p. 345.

[2] Nicholas Capaldi, **Sidney Hook: Personal Portrait**, p. 25.

لن يمكنه توفير الأمن. سُيذكر دوما للاتحاد السوفيتي وجميع دول الطوق أن الاتحادات التجارية الحرة المستقلة غير متوافقة مع احتكار السلطة السياسية بواسطة الأقلية الشيوعية الديكتاتورية.[1]

أهمية وجود القطاع الخاص

لم يفصل هوك بين أن يحصل الانسان على حقوقه الاقتصادية، وبين أن يحصل على حقوقه السياسية. وتمسك بأهمية وجود التدخل الحكومي في الشئون الاقتصادية مدافعا عن النظم الاشتراكية مؤكدا إنه في تلك البلدان الاشتراكية التي لا تتواجد فيها ديمقراطية فإن الديمقراطية والحريات تم تدميرها قبل أن يصبح الاقتصاد اشتراكيا. ومع ذلك فإن هوك يستدرك متشككا في أن المسيطرين على الحكم في الدول الاشتراكية ربما يستخدمون من النظام الاشتراكي المُطبق ومن تدخل الدولة في الاقتصاد أداة للقمع كمثلما يحدث في النظام الشيوعي الذي يعرفه هوك بأنه: النظام الذي تمتلك فيه أدوات الإنتاج، والصناعات الضخمة، والتعدين، والطرق، والمرافق العامة ،... الخ بواسطة المجتمع وتدار من أجل الاستخدام العام بدلا من تواجد المنفعة الخاصة."[2]

ويوضح هوك لماذا تصبح هناك خطورة على الديمقراطية عندما تسيطر الدولة على كل وسائل الإنتاج بأنه عندما تكون الدولة أو المجتمع هي الموظفemployer ، فإن ذلك يعطيها سلطة هائلة على حياة المواطنين العاديين، ولكن الدولة ليست تجريدا abstraction، وإنما هي مجموعة من الأفراد سواء كان القائمون على الحكم فلاسفة أم سياسيين أم بيروقراطيين...الخ، فما الذي يمنعهم من أن يصبحوا ديكتاتوريين في المجتمع إذا ما تركزت كل السلطة السياسية والاقتصادية والتعليمية في أيديهم ؟

[1] Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, pp. 194, 195.
[2] Sidney Hook, **The Hero in History**, p. 177.

ويجيب: " لا شيء. طالما تواجد مثل هذا التركيز للسلطات، فأي مجموعة من الأفراد يمتلكون هذه السلطة سيكونوا في الواقع ديكتاتوريين؟[1]

ولأن جميع أنواع السلطة بحاجة الى فرملة [2]– على حد تعبير برتراند رسل. فما هي إذن الضمانات التي يؤكد هوك ضرورة وجودها حتى لا يتحول النظام الاشتراكي إلى نظام ديكتاتوري؟

يشير ميلتون كونفيتز Milton Konvitz إلى أن هوك استنتج من خبرته بالتاريخ المحيط به أن شيوعية الصناعات، معظم الصناعات يملك بداخله القدرة على تحويل الاقتصاد إلى أداة قوية للقمع الانساني، وما ينطوي عليه ذلك من فقدان للحرية السياسية، ومن هنا قال هوك: "وبناء على ذلك، ومن أجل صالح الحرية، يكون من الأكثر حكمة والأكثر أمنًا وضع قيود على الاشتراكية." ويفسر كونفيتز Konvitz كيف يتم تقييد الاشتراكية وتحديدها وذلك بالحفاظ على تواجد القطاع الخاص وتشجيعه ودعمه، وإيجاد بعض الصناعات المنُظمة، وتنمية الوسائل المُدعمة لتعدد مراكز السلطة الاقتصادية. ودعم الاتحادات العامة، وزيادة مشاركة العامل في عملية البناء الصناعي، وبالمثل إعلاء دوره، وتوصيل صوته إلى مكاتب مديري الاتحادات الاقتصادية الضخمة.[3] ويقول ويلي إيجلر في هذا الصدد: "أما نتيجة مشكلة الحرية والعدالة فهي الرقابة على القوة الاقتصادية، أي الرقابة على التحالفات الاقتصادية، والتوظيفات، والمنافسة، عن طريق تدخل المؤسسات العامة، وهي أيضا للتوظيف الكامل، ومشاركة العمال في الاقتصاد وفي إدارة المؤسسة وسن تشريعات العمل ووضع

---

[1] Ibid, pp. 177, 178.

[2] برتراند رسل ، **العالم كما آراه** ، ص. 61

[3] See: Milton Konvitz, **Sidney Hook:Philosopher of the Moral critical Intelligece**, p. 15

خطط السياسة الاجتماعية، وتوسيع مجال الدخول الى مؤسسات التعليم، الذي يُلغَي بفضله احتكار التعليم."[1]

يؤمن هوك بأهمية وجود القطاع الخاص والحق في الملكية التي يعرفها بأنها: "سلطة تنظيم وتصريف الاشياء."[2] ويعرفها أيضا في إشارة منه إلى ضرورة تجنب استخدامها استخداما تعسفيا من قبل القطاع الخاصم مؤكدا أن الملكية سلطة، وإدارة الملكيات الخاصة لا يجب أن تؤدي إلى استخدام متعسف للسلطة على البشر.[3] ولعل إيمانه بأهمية وجود القطاع الخاص وأهمية وجود الملكية يجعل فكره يختلف تماما عما يرسيه الشيوعيون الذين يطبقون أفكار ماركس على نحو حرفي فعلى سبيل المثال يربط تشيركاسوف كاشين بين مرحلة الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية بإلغاء الملكية الخاصة تماما فيقول: "ففي الفترة الانتقالية يجري تباعا القضاء على جميع أشكال الملكية الخاصة لوسائل الانتاج غير المكتسبة بالعمل وتتحول وسائل الإنتاج الأساسية إلى ملكية اجتماعية ويجري القضاء على جميع أشكال استغلال الإنسان للإنسان . وإقامة علاقات إنتاج اشتراكية جديدة."[4]

ومع تأكيد هوك أهمية وجود القطاع الخاص إلا إنه يستدرك متشككًا في القائمين على الحكم أنفسهم؛ حيث يرى أن حرية وجود القطاع الخاص أمر يكمن في أيدي القائمين على الحكم، فإذا كان هؤلاء الذين يحكمون الدولة لا يهتمون بحفظ الحريات التقليدية للديمقراطية، فإن المواطنين الذين يعملون في القطاعات الحرة لن يكون لهم ضمانات من الاضطهاد بقدر أكبر من هؤلاء الذين يعملون في القطاع العام.[5] فالسلطة غير المراقبة- على حد تعبير ويلي ايجلر– التي يتمتع بها مالكو وسائل الإنتاج لا

---

[1] ويلي ايجلر ، **قيم الاشتراكية الديمقراطية ومطلبها الأساسي** (بيروت: منشروات مكتبة فريدريتش ايبرت، بدون تاريخ) ص.22.

[2] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 430.

[3] Ibid, 290.

[4] تشير كاسوف كاشين، **ما هي الفترة الانتقالية**، ترجمة سليم توما(موسكو :دار التقدم، 1988) ص ص 4 -5.

[5] Sidney Hook, **Hero in History**, p. 179.

تتوافق فعلا مع نظام ديمقراطي ينبغي أن يهدف بالتحديد الى حماية حرية وكرامة الإنسان . ولكن قوة مالكي وسائل الانتاج ليست " غير محدودة "، فالنقابات وقد تمكنت من تأكيد كامل حقوقها تشكل عنصر توازن لا يسُتهان بقدره، وسياسة "التوظيف الكامل " قد ساعدت، إلى حد بعيد على توزيع جمهرة العاطلين عن العمل، وقد تم أيضا الاعتراف بمشاركة العمال في إدارة المؤسسات والأجهزة الاقتصادية القائمة على المستوى العالمي، من الناحية المبدئية، وطبقت جزئيًا علي الصعيد العملي، في قطاعي صناعة الفحم والفولاذ، كما ساعدت قوانين العمل والسياسات الاجتماعية على استبعاد الكثير من أسباب الضيم عن العمال الأكثر حرمانًا، فالجهد يتزايد أكثر فأكثر في سبيل تلبية رغبتهم في الإعداد والتدريب، كما تضاعفت طاقاتهم على الوصول إلى وظائف أوفر جزءًا، وكذلك امكاناتهم في المشاركة بنشاط في الحياة الثقافية. ومن جهة أخرى، فإن مراقبة التحالفات بين الشركات من شأنه أن يحول دون قيام تجمعات صناعية لا تبررها الضرورات الاقتصادية، وأصبح باستطاعة السلطات العامة، التي تشرف اليوم على إدارة أكثر من ثلث الإنتاج الاجتماعي، أن تتدخل بشكل نظامي في العمليات الاقتصادية عن طريق تعديل توزيع المداخيل، والتأثير على الاستثمارات الخاصة. وبالاضافة إلى ذلك فقد تمكن العلم من اكتشاف الوسائل والطرق التي تحول إلى حد بعيد دون نشوء الأزمات التي كانت تبدو حتمية في الماضي، مع نتائجها الرهيبة بالنسبة للعمال.[1]

ومع ذلك يمكن الحفاظ على الحقوق الاقتصادية للأفراد بأن يتم تضمين عدد من الحقوق الاقتصادية داخل وثيقة حقوق الإنسان مثل: أن يكون لكل مواطن حق التمتع الدائم بوظيفته، وبأن تتواجد الاتحادات التجارية، والجهات التعاوني والمحاكم،

[1] أنظر : ويلي أيجلر : **قيم الاشتراكية الديمقراطية** ، ص.ص. 20-21.

والصحافة، والكنائس، والمؤسسات الفعلية للتعليم العالي، وتكون جميعها منظمة في وضع مستقل دوما عن الدولة.[1]

ولكن ثمة فجوة ما بين التشريع والتطبيق وهذا ما يجعل هوك يستدرك مشيرًا إلى أنه حتى لو تم تدوين حقوق ما في الميثاق، فإن خروجها إلى طور التنفيذ الفعلي يعتمد علينا، فيقول: "فليس هناك ضمان آلي، ولعل هذا هو السبب في أن الحريات ليست في أمان أبدي وهنا يأتي دور وعينا وذكائنا."[2] فليس الشكل الخارجي للقانون هو المهم ولكن المهم الطريقة التي يتم تنفيذه بها. لا يعول كثيرا سيدني هوك على الإطار الخارجي للشكل القانوني فكبرجماتي يعول أكثر على التنفيذ الفعلي لهذه القوانين. ويشير كونفتيز Konvitz إلى أن هوك طالما أكد أهمية المُثل الأخلاقية للديمقراطية كطريقة للحياة، فرأى الاقتصاد على أنه وسيلة لتحقيق رفاهية الناس داخل المجتمع ومساعدتهم على الحفاظ على حرياتهم، فاشتراكية هوك هي نظام اقتصادي يعمل داخل نظام ديمقراطي. فهي اشتراكية ديمقراطية خالية ومتحررة من التحكم والصلف . فتنطوي اشتراكيته على اقتصاد مختلط وفي هذا الصدد يقول كونفيتز: "إن هوك لم يؤيد مشروعا حرا في ظل نظام اقتصادي غير منظم، ولم يكن أدم سميث أو كارل ماركس بملهميه، فما سيخدم الأمة بشكل أفضل هو وجود نظام اقتصادي سيحافظ على قيم الديمقراطية الأساسية، ويُعظّم فرص الفرد لتحقيق التطور الذاتي."[3]

[1] Sidney Hook, **Hero in History**, p. 180.
[2] Ibid, p. 180.
[3] Milton Konvitz, **Sidney Hook: Philosopher of the Moral critical Intelligence**, pp. 15,16.

سيدني هوك اشتراكي وليس شيوعيا!

تُعرّف الشيوعية بأنها :" هي الإلغاء التام للملكية الخاصة."[1] ويعرض جيوفاني سارتوري Giovanni Sartori لبعض التعريفات التي وضعت حول الشيوعية فيشير إلى تعريف وضعه" كار H. E. Carr " بأنها: "الاعتقاد بأن لبعض الجماعات أو الهيئات التنظيمية سواء كانت كنيسة أو حكومة أو حزب، لها ميزة ملكية الحقيقة."[2] ويقصد " كار Carr " من تعريفه هذا تأكيد أن الشمولية قديمة قدم العالم . بيد أن المؤلف يعترض على مثل هذا التعريف ويذهب إلى أنه مصطلح فضفاض وعام للدرجة التي لا يعني بها شئ على الإطلاق . ويرى أن هناك مُدخلا ثانيا يفترض وجود خمس خصال لكي نطلق على نظام ما أنه نظام شمولي أو نقرر وجود الشمولية: 1) وجود عقيدة" أيديولوجية "رسمية، 2) وجود حزب جماهيري واحد تحكمه الأوليجاركية، 3) احتكار الحكومة للجيش، 4) احتكار الحكومة لوسائل الاتصال الجماهيرية. 5) وجود نظام بوليس مرعب، وتدور النقطة الجوهرية في أن الشمولية تشير إلى حبس كل المجتمع بأسره داخل الدولة وفرض السيطرة السياسية الشاملة الكاملة على الحياة السياسية، وعندما قيل في إيطاليا : "يتمركز كل شئ في الدولة، فلا شئ خارج الدولة، ولا شئ ضدها. " فمثل هذه العبارة ليست تعبيرا لغويا فحسب، ولكن عندما توضع هذه العبارة موضع التنفيذ في الحياة العملية فسنجد أنفسنا في مواجهة تدخل مطلق في الخصوصية الإنسانية[3]." تدمير كل شئ مستقل وتلقائي أو متحرر؛ باختصار وجود حصن سياسي منيع هائل فيه صُغر المجتمع الجماهيري داخل الدولة، حيث تدمير ذلك الخط الفاصل بين الدولة والمجتمع والتنسيق الكامل للمجتمع.

ويعرفها هوك بأنها النظام الذي تمتلك فيه أدوات الإنتاج، والصناعات الضخمة، والتعدين، والطرق، والمنافع والأرباح بواسطة المجتمع وتدار من أجل الاستخدام العام

---

[1] Gavin kitching, **Karl Marx and the Philosophy of Praxis (Practice)**, p. 132.
[2] Giovanni Sartori, p. 146.
[3] Ibid, pp. 145, 146.

بدلا من المصلحة الخاصة.[1] فهو إذن النظام الذي ستُمحَى فيه الملكية الخاصة تماما، فكيف يخلط البعض بين اشتراكية هوك الديمقراطية والشيوعية ؟!

ولما كان هوك قد أكد أهمية وجود القطاع الخاص، وأكد أهمية تدخل الدولة في الاقتصاد ولكن بحدود، فإن ذلك يبعد عنه ما حاول البعض وصفه به من أنه شيوعي ولعل هذا الخلط وقع فيه أنتوني جي فلو Antony G. N. Flew الذي وضع عدة مراحل تاريخية أشار إلى أن فكر هوك مر بها .

ويذهب إلى أن المرحلة الأولى تتمثل في عام 1955 وتتضح في كتاب هوك "ماركس والماركسيون Marx and Marxist" والذي أكد فيه هوك أن الاشتراكية تتضمن الديمقراطية وكلاهما معا يمثل، تكرارًا لغويًا tautological expression ويصر هوك في كتابه على أن الرسالة الرئيسية لماركس يمكن أن توضع في عبارة واحدة تمثل الوضع الضروري والكافي لوجود مجتمع أناس أحرار ومتساويين في الملكية الجماعية والتنظيم الديمقراطي للوسائل الرئيسية للإنتاج. ثم يوضح فلو Flew أن هوك تراجع قليلا في مرحلة لاحقة وذلك في كتابه الثورة والإصلاح والعدالة الاجتماعية Revolution, Reform, and Social Justice عام 1975حيث ظل هوك يدرك أن الاشتراكية الكلية في غياب الأنظمة الديمقراطية عميقة الجذور، ربما أصبحت وسيلة لمزيد من الاستبداد المروع." فيقول فلو: " لقد كان هوك مستعدا للقول بإنه ليست هناك حالة ضرورية لتوقع تحقيق الوصول إلى المثالية في تطبيق الاشتراكية... إن الاقتصاد المختلط تحت الأشكال المتعددة للملكية... ربما حقق أفضل نتائج وبقدر أقل من المخاطر."[2]

---

[1] Sidney Hook, **Hero in History**, p. 177.

[2] Antony Flew, **socialist obsession**, (in) Paul Kurtz, ed**., Sidney Hook: Philosopher of Democracy and Humanism**, p. 40.

ثم يعرض فليو Flew للمرحلة الثالثة لتطور فكر هوك بأنها تتضح في عدد من المقالات التي وردت في كتابه الفلسفة والسياسة العامة Philosophy and Public Policyعام 1980، والتي انتحب فيها هوك على التطبيق الشمولي للاشتراكية حيث يقول: " لسوء الحظ، لقد تحققت الاشتراكية كلية وغالبا ... بتشييع أوتأميم كل وسائل الإنتاج والتوزيع والتبادل." [1]

عرض فليو Flew إذن لعدة مراحل فكرية رأى أن هوك مر بها، وهذه المراحل في الواقع ما هي إلا تصور من تصورات قائلها، وذلك لأسباب عدة **أولا :** كتاب هوك "ماركس والماركسيون"1955، يعد الكتاب بأكمله عرضا لفكر ماركس ثم تقييم هوك لهذا الفكر وعرض كيف انحرف أتباع ماركس عنه. تحدّث هوك عن التأميم الكلي لوسائل الإنتاج لم يكن يعبر فيه عن وجهه نظره هو بقدر ما كان يعبر عن فكر ماركس .

ثانيا : لم يؤمن هوك بالتأميم الكامل لوسائل الإنتاج، ولم يؤمن منذ بداية اتباعه الفكر الماركسي بفصل الاشتراكية عن الديمقراطية، فالأمر لم يكن بحاجة إلى مرور قرابة أكثر من نصف قرن منذ بداية إتباع هوك لفكر ماركس في أوائل العشرينات من القرن العشرين حتى الثمانينات من القرن نفسه كي يقرن هوك اشتراكيته بالديمقراطية. وكي يزيل هوك نفسه اللبس عن هذا الموضوع اضطلع بمهمة عرض الماركسية في الولايات المتحدة في وقت مبكر كي يثبت أن هناك سوء فهم لكتابات ماركس.

ثالثًا: هوك وماركس

مزج هوك بين الاشتراكية والبرجماتية واستخلص لنفسه تصورًا عن الاشتراكية الديمقراطية وحمل على عاتقه عرض الاشتراكية ومهمة الدفاع عن الماركسية ضد منتقديها فانصب دفاعه أساسًا حول تأكيد أن شتان ما بين الماركسية كما وضعها

[1] Ibid.

ماركس والتطبيق الخاطئ لها على يد متبعيها. فماذا فعل هوك لتحقيق ذلك؟ فيما يلي محاولة للإجابة عن ذلك:

1- ترجمة كتب ماركس ونشرها

في رد هوك على منتقديه – من أنه كيف جمع بين الاشتراكية والديمقراطية -حمل على عاتقه لواء الدفاع عن الاشتراكية، وكان أكثر ما أهتم به هو عرض وتفسير الفكر الماركس وقام بذلك في مرحلة مبكرة جدا من حياته الفكرية، وهذا ما يؤكده كريستوفر فيليبس Christopher Phelps إذ يشير إلى أن سيدني هوك يعد أول من عرض وشرح الفلسفة الماركسية في الولايات المتحدة، وجاء ذلك في بادئ الأمر في مقالتين شهيرتين له بجريدة الفلسفة Journal of philosophy[1]. ويشير" ارفينج كريستول " Irving Kristol إلى أن مؤلفات هوك عن الماركسية كانت مصدر الإلهام والوعي للكثيرين وخاصة كتابيه "نحو فهم كارل ماركس" Toward the understanding of Karl Marx 1933، و"من هيجل إلى ماركس[2]" From Hegel to Marx 1933، ويخبرنا كريستوفر فيليبس أن هوك حمل على عاتقه ترجمة الكتب الأصلية لماركس وأنجلز إلى اللغة الإنجليزية وواصل حديثه في المحاضرات داخل الجامعات والمعاهد، وكتابة المقالات في الدوريات السياسية والجرائد الفلسفية، وكذا داخل موسوعة المعارف للعلوم الاجتماعية من أجل نشر الفكر الماركسي . وفي شرحه وعرضه لفكر ماركس انتقد هوك تجاهل الفلاسفة الأمريكيين لأفكار مؤسس الشيوعية الحديثة.[3]

[1] Christopher Phelps, **young Sidney Hook**, p.35.
[2] Irving Kristol, **life with Sidney**, (in) Paul Kurtz, ed., **Sidney Hook: Philosopher of Democracy and Humanism**, p. 27.
[3] Christopher Phelps, pp. 35, 36.

فقد رأى أن مكانة وقدر ماركس لم يتضائلا إلا في المجتمعات الأنجلوسكسونية مقارنة بباقي بلدان العالم حيث سادت – على حد تعبير هوك: " إدانة وتجريم لماركس حتى من قبل أن يقرأو أعماله."[1]

2- إنحراف الخلف عن السلف

يرى سيدني هوك إنه في العديد من المواقف ليس الماضي الفعلي هو الذي يحدد الحاضر إلى حد بعيد إلا بالقدر الذي يتصور به الناس كيف كان هذا الماضي، وبالمثل مع ما قدمه المفكرون العظام من أفكار في الماضي، فان ما يؤثر في الحاضر ليس ما قاله أو ما كان يعنيه المفكر بالفعل بقدر ما هو الشكل الذي أوّل وفُسر به ما يقوله وما يعنيه، ومن بين عدد محدود من الشخصيات يصدُق وينطبق ذلك على ماركس أكثر مما ينطبق على غيره. فيؤكد هوك أن ماركس أكثر من غيره، أُوّلت وفُسَرت آراؤه حسب الحاجات والمصالح المعاصرة، ويخلص هوك إلى القول: "ويفسر هذا السبب صعوبة التأكد من المعتقدات الفعلية لشخص ما يدعي أنه ماركسي أكثر من التأكد من المعتقدات الفعلية لشخص ما يدعي أنه مسيحي."[2] فيشبه هوك الماركسية بالمسيحية من حيث الاختلاف الهائل بين ما جاء به السلف وما اتبعه الخلف فيقول: "إن الشيوعية .. تقارب المسيحية.. فكم من المبادئ والعناصر المتضاربة أُطلَق عليها مسيحية.. فتطور المسيحية هو بصفة عامة تاريخ لتغيرات راديكالية في كل من النظرية والتطبيق، بواسطة هؤلاء الذين يدعون أنهم لم يفعلوا شيئا أكثر من العودة إلى الجوهر الأصلي للعقيدة. "[3] ويقول أيضا: "كحركة تاريخية انتشرت الماركسية في الخمس العقود الأخيرة بشكل أسرع وأكبر مما انتشرت به المسيحية كحركة دينية في الخمس قرون الأولى لظهورها . لا يبدو لي أنه من المبالغة القول إن مُثل وممارسات المسيحية بعدما أصبحت دين الدولة للإمبراطورية الرومانية ابتعدت

---

[1] سيدني هوك ، **ماركس والماركسين** ، ص.15.

[2] نفس المصدر السابق ، ص. 16 .

[3] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom,** pp. 405, 406

تماما عن مُثل وممارسات المسيحية الأولى، مثلما حدث بالضبط لمُثل وممارسات الماركسية المتجسدة في روسيا والإمبراطورية الصينية اليوم في ابتعادها عن المُثل المقلدة لماركس واتباعه الأوائل."[1]

بل إن هوك يؤكد أنه كلما تعالت الأصوات المنادية بالعودة إلى الأصل أو الجوهر كتلك المنادية بـ"العودة الى المسيح "، فلا يعني ذلك أكثر من مزيد من الابتعاد عن المذهب الأصلي، بل أحيانا تأتي هذه الدعوات بإتجاهات معارضة تماما للإصلاح وينطبق نفس الشئ – حسب هوك -على الماركسية؛ فهي كأفكار يعلو شعار لينين بـ"العودة الى ماركس، " ولم تكن أبدا فلسفته ماركسية. ويستدل على الاختلافات القائمة بين أتباع العقيدة الواحدة على إنحرافهم، وهكذا يتصارع الشيوعي مع الشيوعي (تيتو – ستالين)، كمثلما ظهرت حروب في أوروبا كان المسيحي يحارب فيها المسيحي باسم المسيحية " الحقة ".[2]

وبنى هوك آراءه تلك بناء على تحليله للسياسة المتبعة في الاتحاد السوفيتي فما يحدده القادة السوفيت ويتّبعونه من أفكار وسياسيات جعلت هوك يشير إلى " أن ما كان يقصده ماركس ويعنيه عن الشيوعية جد مختلف وبعمق عن نظام الارهاب والاستبداد السياسي والثقافي والاقتصادي الذي يسود الاتحاد السوفيتي."[3] فتاريخ الاتحاد السوفيتي يتسم بخرق مطلق لكل التقاليد الديمقراطية للماركسية.[4]

فما يتواجد في الاتحاد السوفيتي– كما يرى هوك - ما هي إلا ديكتاتورية حديدية للحزب الشيوعي، ويذهب إلى أن القادة السوفيت يبررون فترة حكمهم السياسي بأنها أداة انتقالية حتى يتم تأسيس المجتمع اللاطبقي، ويعلق هوك على ذلك قائلا: " حسنًا !هم

---

[1] Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, p. VII.

[2] Sidney Hook**, Political Power and Personal Freedom**, Pp. 404, 405.

[3] Sidney Hook, **From Hegal to Marx,Studies in the intellectual Development of Karl Marx** (New york: John Day Co., 1936). P.2.

[4] سيدني هوك، **ماركس والماركسيون** ، ص.136.

الان يدّعون أن مجتعهم مجتمعا لا طبقيا، على أساس تعريفاتهم، ولكن ديكتاتوريتهم والمظاهر الأخرى لدولتهم الشمولية بدلا من أن تتلاشى وتنتهي، أصبحت أقوى من أي وقت مضى."[1] ويشير إلى أنه من أهم العوامل التي ترتبط بالمبادئ الماركسية الطريقة التي يتم بها تأويل وتطوير هذه المبادئ التقليدية، فمصطلح" ديكتاتورية البروليتاريا " –على سبيل المثال- لم يرد في أعمال ماركس إلا مرتين فقط.[2] ومع ذلك فقد ارتكزت سياسية لينين وستالين عليه بعد أن تم تأويله لتصبح" ديكتاتورية البروليتاريا" "ديكتاتورية الحزب الشيوعي " الحاكم والمسيطر على البروليتاريا وسائر الجماعات الاجتماعية الأخرى[3] . ويمثل ذلك عزوفا راديكاليا عن المعنى الذي قدمه ماركس في كتاباته لهذا المصطلح.

فلم يتصور ماركس حزبه باعتباره جيشا تأمريا منظما تحت الأرض أو كمجموعة تهدف لفرض الديكتاتورية على البروليتاريا، ولم يتصوره حتى باعتباره حزبًا سياسيًا خاصًا، فلقد كانت مهمته مبدئيا ممارسة القيادة التربوية.[4] فضلا عن أن البروليتاريا التي يتحدث لينين باسمها صراحة لا تشكل أغلبية الجماهير بل لا تشكل أغلبية العمال فهي تتشكل من أولئك الذين يؤيدون برنامج الحزب الشيوعي.[5] ويقول هوك أيضا في هذا الصدد "... لقد قال ماركس في المانيفستو الشيوعي Communist Manifesto إن الشيوعيين لا يجعلون من أنفسهم حزبا خاصا يعلوا فوق أحزاب الطبقات العاملة الأخرى.. فديكتاتورية البروليتاريا لا تبدو في كتابات ماركس للوهلة الاولى بأنها مفهوم سياسي وإنما مفهوم اجتماعي."[6]

---

[1] Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, pp. 179, 18

[2] ماركس والماركسيون ، ص. 52

[3] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, P. 411.

[4] أنظر سيدني هوك ، **ماركس والماركسيون** ، ص.50.

[5] نفس المصدر السابق ، ص.134.

[6] Sidney Hook**, Political Power and Personal Freedom**, P. 411.

ويضيف: "ومن الواضح أن ديكتاتورية البروليتاريا لا تعني شيئا أكثر من ديكتاتورية أقلية الحزب الشيوعي وهيمنتها على البروليتاريا، بمثل ما هي على كل الطبقات الأخرى."[1] ويتفق الفيلسوف الأمريكي نعوم تشومسكي مع هوك بصدد تحريف أتباع ماركس لفلسفته فالاشتراكية – كما يعرفها تشومسكي – هي " السيطرة على الإنتاج من قبل العمال أنفسهم، وليس من قبل المالكين والمديرين الذين يحكمونهم ويتحكمون في جميع القرارات سواء كانت في المؤسسات الرأسمالية أو في الدول المطلقة التي يحكمها حاكم واحد...الخ، وهكذا فان لفظة الاشتراكية لا تنطبق على الاتحاد السوفيتي أصلا."[2] ويضيف هوك أن هذه الدول التي يُشار إليها على إنها " دولة العمالworker state " ، ويُشار إلى الخط الإنتاجي على إنه " ملكية الدولة"، يتصل بها من الحقائق ما لا يمكن دحضه، فعندما قال لينين بوحشية في الاجتماع الثامن للحزب الشيوعي الروسي عام 1952 أنا الدولة we are the " state ، فكأنه يقول:" نحن ملاك الاقتصاد."[3] ووصل استعمال القهر من قبل الحكام الروس ضد المحكومين الى حد تحكم الحكام الشيوعيين بما لهم من سلطة مطلقة، في منع الفلاح أو العامل من دخول المزرعة أوالمصنع الذي هو مصدر رزق لهم، ومن أن يقرر ما سينفقه هؤلاء، وكيف، وما الذي سيتم توفيره.. الخ، وطالما كانت هذه السلطة غير مسؤولة عن هؤلاء الذين تؤثر قرارتها بشكل مصيري عليهم، فإن أدوات الإنتاج تخص بالتالي الحزب الشيوعي[4].

ويخلص سيدني هوك إلى وصف ماركس بأنه كان: " اشتراكيًا ديمقراطيًا إنسانيًا علمانيًا ومحاربًا من أجل الحرية الإنسانية تتلفظ كلماته وأفعاله بالتزامه بطريقة حياة

---

[1] سيدني هوك ، **ماركس والماكسيون** ، ص. 135

[2] أنظر : **نعوم تشومسكي ، حقوق الإنسان والسياسة الخارجية الأمريكية** ، ترجمة عمر الأيوبي (بيروت :مؤسسة الأبحاث العربية ،1984) ص. 108.

[3] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, Pp. 409, 410.

[4] Ibid, p. 409.

واستقلال نقدي مختلف ومتناقض تماما مع الحكم المطلق للحزب الواحد الديكتاتوري في الاتحاد السوفيتي... واذا كان موجودًا الآن بيننا ورأى الدول التي تطلق على نفسها مجتمعات " شيوعية " وديمقراطيات الشعوب ، لكان مما لا شك فيه أطلق على نفسه اسما آخرا مختلفا."[1] فماركس على حد تعبير هوك هو الابن الحقيقي لعصر النهضة والإصلاح والثورة الفرنسية . وإن كان هناك خطأ في فكره فهو وجود نوع من الفوضوية الفلسفية philosophical anarchism ؛ حيث إيمانه بأن التطور التاريخي للمجتمع المخطط سيصل به إلى اختفاء الدولة أو التعسف المنتظم في أي شكل . لقد كان هنا يوتوبيا مخطئا، بيد أنه لم يكن تحت سيطرة الأفكار المكيافيلية التي سيطرت على لينين وستالين والمتعلقة بسيطرة حزب الأقلية السياسية.[2]

رابعًا: تقييم هوك لإسهامات ماركس

لقد اتضح من العرض السابق كيف دافع هوك عن فلسفة ماركس مميزًا إياها عن التطبيق السيئ لها على يد أتباعه، ولكن على الرغم من إيمان هوك بالماركسية، إلا أنه لم يقف عند حدود فلسفة ماركس، بل تناولها على نحو نقدي موضوعي وقال هوك في هذا الصدد: " النقد الصارم هو الشئ الذي لن تصمد أمامه أفكار ماركس لأنها لم تُصغ بدقة."[3]

1- المادية التاريخية

يشرح هوك أولًا ما هو المقصود بالمادية التاريخية عند ماركس فيشير إلى أن ماركس كان يعني بالمفهوم المادي للتاريخ، النظرية التي تسعى لتفسير التاريخ بالقوانين التجريدية والتي يمكن التحقق من موضوعاتها ومحمولاتها من حيث المبدأ بملاحظة سلوك البشر والأشياء والقوانين التي تربط بينهم، ومنكرا ملائمة النظريات الفيزيائية

---

[1] Sidney Hook, **From Hegal to Marx**, p.2.

[2] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, pp. 348, 349.

[3] سيدني هوك ، **ماركس والماركسيون** ، ص. 55.

والعرقية والسيكولوجية، لقد أكد (ماركس) بوضوح أن البناء الاقتصادي للمجتمع وتغيراته هو المتغير المستقل Independent Variable والذي يعتبر كل المتغيرات الحضارية الأخرى دالةFunction ، فالبناء الاقتصادي للمجتمع هو الذي يحدد ويقرر حياة أي مجتمع عبر التاريخ فهو "الأساس " أو" القاعدة " كلما تغير يحمل مجمل حضارة المجتمع معه إن آجلًا أو عاجلًا . ففحوى الحتمية الاقتصادية عند ماركس تكمن في أنه لو تم عمل قائمة للأحداث البارزة في التاريخ الإنساني فستكتشف أية دراسة تجريبية أنه في معظم الأحوال، إن لم يكن في كلها إنه ينبغي أن ننسب الثقل الأكبر في تفسير الأحداث إلى ما كان يطلق عليه نمط الإنتاج الاقتصادي . فيؤكد ماركس أن كل شئ في المجتمع والتاريخ هو نتاج تطور العلاقات الانتاجية.[1]

يشير هوك أساسًا إلى أنه في العلم النظري لا توجد تعبيرات من قبيل العلل "الرئيسية " أو"الجوهرية "، أو الأكثر أهمية"، ولكن حيثما يعمل الإنسان أو يُعد للعمل، فإنه لا مفر من مثل هذه التعبيرات لأنها تشير إلى ما ينبغي تغييره وإلى أي درجة، أو ما الذي كان ينبغي أن يتغير، للحصول على نتيجة معينة، يقول هوك: "سيكون من العبث أن نتساءل ما هو السبب الرئيسي أو الأكثر أهمية لوظيفة وفعالية الجسم؟ أوليس مضحكا أن نسأل ما هو السبب الأساسي لمرض السل، أو سرطان الرئة، أو التدهور لدرجة الموت؟ وفي أي مرحلة تاريخية وفي أي وقت معين يتفاعل عدد لا نهائي من العوامل الاجتماعية مع بعضها البعض . وبتناولها معا فإنها تفسر من قبيل تحصيل الحاصل ما يحدث في النظام الاجتماعي ولكن بعض الأشياء ذات وزن أكثر من الأخرى في تفسير بعض النتائج الجزئية لنقص فعالية النظام ككل.[2]

ثم يعلق منتقدا المادية الاقتصادية عند مؤكدا أن ذلك سيصبح غير ذي معنى من الناحية البنائية Syntactically لأنه يجعل من المستحيل التمييز بين الاقتصاد وأي

---

[1] نفس المرجع السابق ، ص. 36

[2] نفس المرجع السابق ، ص .ص. 36 – 37.

شئ آخر. فلو أن حدوث الرمز (X) يعلل التغيير في الرمز(Y) ، فإن الناتج لا يمكن تفسيره كليا في حدوث الرمز(X) ، فربما تسببت أشعة الشمس في إنصهار قطعة من الشمع، ولكن ما لم تكن قطعة الشمع موجودة أينما وعندما بزغت أشعة الشمس، وبدون الصفات الذاتية المميزة للشمع، أو لو كانت مجرد حجر، فإن إنصهارها لم يكن ليحدث .وأي كان نمط الإنتاج الاقتصادي في الوقت الذي يوجد فيه، فإنه لا يستطيع أن يخلق أو يحدد كليا شكل وطابع التقاليد السابقة والتي يؤثر فيها سمات الناس أو الذين يتأثرون به، ولو أن تغييرات نمط الإنتاج تحدد التغير في قانون وسياسية وعلم، وفن ودين وفلسفة المرحلة، فإنها لا تخلق صيغ هذه الخبرات أو أشكالها. وربما كان لها في الواقع هذا التأثير العميق على التغيير في نمط الإنتاج الاقتصادي والبحث التجريبي فقط هو الذي سيخبرنا أيهما هو الذي يستهل وله الأولوية في عملية التغيير." [1]

وهكذا رفض هوك وجهة النظر القائلة بأن الظروف الاقتصادية هي علة باقي كل الشئون الاجتماعية، فيقول: "يجب أن نستنتج إنه في تاريخ العالم، ليس نموذج الإنتاج الاقتصادي وإنما نموذج القرار السياسي هو الذي على قدر هائل وفاصل من الأهمية."[2]

ويضيف: "تعتبر نظرية المادية التاريخية غير ملائمة في معظم صيغها المألوفة حتى بالنسبة للمرحلة الرأسمالية . فهي تبحث في تفسير كل التغيرات السياسية الهامة والتغيرات الثقافية في حدود تطور نمط الإنتاج الاقتصادي ... فضلا عن تجاهل النظرية لحقيقة أن الأساس الاقتصادي للمجتمع في أي عصر غالبا ما يتسق ويتوافق مع أكثر من شكل وصيغة سياسية، ولهذا فإن درجة ومستوى وجود الديمقراطية أوغيابها في أي قطر ربما يتم تفسيرها من خلال عدة عوامل مختلفة بالإضافة للنمط الإنتاجي

---

[1] نفس المصدر السابق ، ص .ص39.

[2] Sidney Hook**, From Hegal to Marx**, p. 9.

للمجتمع . وتعبر الاستعارات المجردة للنظرية مضللة ويمكن أن تستخدم ضدها حيث ينظر لنمط الإنتاج كقاعدة وأساس للمجتمع، ولكن الأساس لا يحدد كلية أي المبادئ التي ستبنى فوقه، وعدد الطوابق، وطابعها، وطرازها المعماري، ووظيفتها ودورها واستخدامها، والأساسيات والقواعد لا تتطور فهي تبنى بغرض وأحيانا تدمر لغرض ويمكن استبدالها عند الضرورة بدون التأثير على البناء الفوقي Super Structure, . كما أن الأساسات قد تحدد إمكانيات أي تشييد إضافي فغالبا ما يحدد نمط الإنتاج الإمكانات السياسية والثقافية، وقد يجعل وجوده تحقق بدائل سياسية معينة أمرا مستحيلا نسبيا، ولكن ليس بإمكانه منع الإنسان من محاولة تحقيق المستحيل التاريخي، ويمكن إرجاع سبب الكارثة الناجمة عن المحاولة إلى قرار محاولة الوصول للمستحيل بقدر ما هي بسبب العوائق والصعاب التي أدت إلى فشل هذه المحاولة، وتخلط المادية التاريخية في صيغتها القطعية الأرثوذكسية بين العلل القريبة والمباشرة والعلل المطلقة والنهائية وتتناسى أن العلم ليس معنيا بالبحث في العلل النهائية.

وتعترف عند الضرورة بوجود تأثير متبادل بين العوامل المختلفة وبين العلل الاقتصادية والمؤثرات السياسية والثقافية ولكنه يخفض هذا التأثير للحد الأدنى باعتباره عرضيا وثانويا. وفي معظم الأحوال فإن الشكل والقالب القبلي Prior وهونمط الإنتاج يؤكد عليه ليكون دائما المؤثر الحاسم في" التحليل النهائي "وحتى التطورات المستقلة والتي ليس لها أصلا أدنى علاقة أوصلة بنمط الإنتاج الاقتصادي كنظرية النسبية التي أدت إلى انطلاق الطاقة النووية ربما كان لها تأثير بعيد المدى على السياسية في عصرنا، وبالفعل لها تأثير على نمط الإنتاج الاقتصادي ذاته، أكثر من تأثير أي قانون داخلي لهذا النمط. لقد كانت القرارات السياسة قوة تأثير كبيرة على التطور الاقتصادي أقوى من تأثير نمط الإنتاج الاقتصادي على الشئون السياسية. قرارات مثل معاهدة فرساي Treaty of Versailles ، الاتفاق الجديد للسنوات الطوال في استرضاء ومحاربة هتلر، الفشل في مساندة النظام الديمقراطي الشرعي في أسبانيا، الحرب ضد

هتلر، استرضاء ستالين، تسريح الجيش الأمريكي في أوروبا، مشروع مارشال، وتورط الولايات المتحدة في كوريا وإعادة تسليح الغرب لمواجهة الزحف الشيوعي.[1]

2- التطور التاريخي

انتقد هوك فكرة التطور التاريخي عند ماركس وقال لوكان حقا كما أدعى ماركس أنه " لا يوجد ثمة نظام اجتماعي يزول قبل كل القوى الإنتاجية التي بالنسبة له كحجرة قد تطور بداخلها." أذن فمن الصعب أن نرى لماذا ينبغي أن يزول أي نظام اجتماعي، لم تدمره الحرب أوالكوارث الطبيعية، بينما يوجد أمامه عدد لا محدود من إمكانيات التوسع والامتداد فالعبودية لن تختفي حتى تصبح على الأقل ظاهرة عالمية، والرأسمالية قد تحتفظ باستمرارية وجودها من خلال المجالات الجديدة المفتوحة للحاجات التي تتطلب صناعات جديدة لإشباعها . ونظريا فإن الإبداع الإنساني قادر في ظل أي نظام على إيجاد الوسيلة تلوالأخرى لتطوير القوى الإنتاجية. وتاريخيا، ليس هناك أي دليل أيا كان على أن الرأسمالية كانت تمضي في مسار تطورها المألوف عندما تقلد الشيوعيون السلطة في روسيا في أكتوبر 1917، ولم يقدم ماركس من جانبه أية حالة مقنعة على تأكيده بأن الرأسمالية ينبغي أن تتبعها الاشتراكية وليس أي شكل آخر للنظام الاجتماعي، حيث توجد بدائل أخرى قد تجاهلها، مثل أحد الأشكال التي تحتفظ باستمرار الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج مع وجود توجيه واسع لعملياتها أوالاقتصاد المختلط لكلا القطاعين الخاص والعام للإنتاج فلقد ألقى ماركس هذين البديلين من مفاهيمه عن الاشتراكية والرأسمالية وهما أقرب وأكثر التصاقا بالواقع الحاضر والمعايش في بلدان كثيرة.[2]

---

[1] أنظر : سيدني هوك ، **ماركس والماركسيون** ، ص .ص58-60.

[2] نفس المصدر السابق ، ص.ص60-60

3- الصراع الطبقي

رغم أن مفاهيم الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي لم تكن محددة وواضحة لدى ماركس، فإنها قد استخدمت بطريقة رائعة لتنير بعض الفترات الحاسمة في التاريخ ومنذ عصر ماركس أصبحت هذه المفاهيم جزءاً من الأدوات العقلية لكل المؤرخين التجريبيين ولقد استخدم مصطلح " طبقة " لدى ماركس بمعان مختلفة تشتق كلها من بعضها البعض على نحودقيق فأحيانا يكون تعريفها الدور الذي تلعبه جماعة في الانتاج، وأحيانا أخرى النمط السائد لجماعة ما في الحياة، متضمنا الثقافة، والتقاليد وأحيانا مصدر الدخل أومستواه وفي بعض الأحيان تعني المهنة، فلوكان الأمر كما أعلن البيان الشيوعي أن كل التاريخ هو تاريخ الصراعات الطبقية فبالتأكيد لن يكون صحيحا أن الصراعات الطبقية كانت اقتصادية بأي معنى من المعاني السالفة الذكر.

بل وليس صحيحًا أن كل التاريخ هوفقط تاريخ الصراعات الطبقية بل هوبالمثل إن لم يكن أكثر تاريخ التعاون الطبقي فغالبًا ما يبقي العداء الطبقي مستترًا وكامنًا عندما تشترك قواتهما في مواجهة خطر مشترك أويتحدا في عمل مشترك من أجل منفعتهما المشتركة ويعتبر تواتر وحدة وشجب وإدانة الماركسيين للتعاون الطبقي Class collaboration أبلغ شهادة على وجود وانتشار هذا التعاون حتى في المواقع التي قد يتوقع المرء فيها صراعات وتصادما صريحا وعلنيا بين المصالح . وثبت أن قانون الصراع الطبقي ليس قانونا طالما له مثل هذه الاستثناءات العديدة أوله فعالية ومصداقية محددة .[1]

4- النظرية الاقتصادية

يرى هوك أن هناك صعوبات خاصة في النظرية الماركسية حول القيمة وفائض القيمة والتي لم تعد ملائمة بقدر كاف **أولا:** حيث يبدومتعسفا بدرجة كبيرة مفهوم

[1] نفس المصدر السابق ، ص.ص.61-63.

أن كل عمل بما فيه كل أنواع العمل الماهر يمكن اختصارها إلى عدد معين من قوة العمل المتجانس وحيث توجد هناك اختلافات مميزة ولا يمكن اختزالها بين أنواع معينة من العمل . وعلى سبيل المثال العمل البدني والتفكير التأملي والذي يمكنه استنباط أية نتيجة رياضية بدون أي عمل بدني على إطلاق فهما مختلفان عن بعضهما البعض كالفروق التي توجد بين الألوان والأصوات، وربما يكون لهم مقياس مشترك Common measureولكن ليس لهما مادة مشتركة Common substance

ثانيًا: لا يمكن تصديق فكرة أن استخدام الألات وكل وسائل توفير العمل لا تضيف للسلع أية قيمة ما عدا تلك ذات قوة العمل المستخدمة في إنتاجها.

ثالثًا: لوأن قوة العمل هي المصدر الوحيدة للفائدة، إذن فإن إنفاق مبالغ متساوية من رأس المال مع اختلاف النسب المنصرفة على الآلات... الخ، والعمل، سوف تظهر لوأن مستوى الاستثمار ومعدله ثابت في جميع الحالات، إن مستوى ومعدل الربح سيختلفان بالتالي مع تحقيق معدل أعلى من الربح عندما تكون نسبة تكاليف العمل أعلى بالنسبة لإجمالي المبالغ الإجمالية المخصصة . وهكذا، فلو أن هناك مبلغ مليون دولار قد خصص ووُظفَ منه900.000 تسعمائة ألف للألات والتجهيزات.. الخ، ومائة ألف للعمل، ومبلغ مماثل وُظفَ منه 100.000 مائة ألف للتجهيزات، وتسعمائة الف900.000 تسعمائة ألف للعمل، ولو أن قوة العمل تؤدى بنفس المستوى من الجهد . إذن وفقا لنظرية ماركس، فإن مستوى الربحية ومعدل الفائدة للمشروع الأول سيكون 10%، وللثاني90% ولكن في الواقع فإن مستوى ومعدل الفائدة متساويان تقريبا[1]. فقد حاول ماركس إذا تجنب هذا التناقض بتوسيع مفهوم العمل ليتضمن كل الكيانات الإنتاجية للمجتمع، ولقد برهن على أن إجمالي مبالغ أثمان كل السلع المنُتَجة في المجتمع مساوية لإجمالي مبالغ قيمة هذه السلع ويعتبر هذا مجرد تحصيل حاصل ولا يقدم شرحا البتة ما الذي يحدد سعر أية سلعة معينة بما فيه سعر قوة العمل وأيضا مصدر الربح.

[1] نفس المصدر السابق ، ص.ص63-64.

5- بُعد نظر ماركس

نقد هوك لماركس ووقوفه على الجوانب السلبية لديه لم يمنعه من الاستدراك والإشادة بعدد من المواقف الخاصة بماركس فيقول هوك: "**تتسم تنبؤات ماركس المتعلقة بتطور الإنتاج الرأسمالي بدرجة عالية** من النجاح فلقد استشرق وتنبأ أن رأس المال سينموفي وحدات أكبر فأكبر وسيحقق ممارسة احتكارية وأدرك التأثير الثوري للعلم على التكنولوجيا الصناعية، وتنبأ بنموالبروليتاريا وبدورات الازدهار والكساد الاقتصادي، وبالتوسع الإمبريالي وكان صائبا طالما أن الرأسماليين يسعون ويبحثون دائما عن تجدد فرص الربح[1] . بيد أن ماركس، من ناحية أخرى، قلّل وأبخس من قدر القوة المتجددة للرأسمالية لتجاوز أزماتها الدورية والتغلب عليها، وتنوع الأشكال التي تتخذها هذه الأزمات، ومن التأثير الاقتصادي للحركات النقابية العمالية، وإمكانية ممارسة ضغط العمال ودورهم من خلال اتساع نطاق الديمقراطية السياسية ليشمل توزيع الثروة والضمان الاجتماعي وظهور فاعلية القوة الشرائية للأجور وتحسين مستوى المعيشة والصحة

ويستدرك هوك في نقده لماركس فيشير إلى أنه ينبغي أن يكون واضحا لأي قارئ واعٍ أن ماركس يكتب مبدئيا كناقد للرأسمالية، كرجل ينقد بأفكار مشبوبة وحماسية ليزيل التفاوت الاجتماعي، والفقر والظلم الماثل في عصره . ولعل هوك محقا هنا فيما يذهب إليه؛ فها هو كارل ماركس يدافع عن حقوق العمال مستنكرا عدم المساواة في توزيع الأجور. فيشير في كتابه "مصادر الاشتراكية العلمية" إلى أن ما يحصل عليه العامل من أجر هو أمر محدد مسبقا من قبل الرأسمالي مثله (قوة عمل العمل) كمثل باقي

[1] سيدني هوك ، **ماركس والماركسيون**، ص.ص.64 ، 65.

المواد الخام الأخرى التي يأتي العامل لكي يصنعها ثم يحصل صاحب العمل على أرباح هائلة، فليس للعامل أية حصة من هذه الأرباح. [1]

وعن نقده لعدم تحقيق المساواة في النظام الرأسمالي يقول ماركس:" قد يكون المنزل كبيرا أو صغيرا، وما دامت المنازل المجاورة تعادله في الصغر، فإنه يلبي سائر مطالب السكن الاجتماعية . لكن فليرتفع قصر الى جانب المنزل الصغير، فإذا هو يتقلص من منزل صغير إلى كوخ، ويُبين المنزل الصغير الآن أن صاحبه ما كان يتطلب سوى مطالب قليلة جداً، أو ما كان يتطلب أية مطالب على الاطلاق، ومهما أمكن لهذا المنزل أن يسمو في سياق الحضارة، فإنه إذا ما كبر القصر المجاور له على نطاق مساوٍ أو أعظم أيضا، فسوف ينتاب لساكن المنزل الصغير نسبيا شعور بالضيق أكثر فأكثر، وسوف يحس أنه متكور ومحشور ضمن جدرانه الأربعة. إن زيادة ملموسه في الأجور تفترض نموا سريعا في الرأسمال المنتج، وهذا النمو السريع في الرأسمال المنتج يؤدي إلى نمو يعادله سرعة في الثروة، والترف، والحاجات الاجتماعية، والمسرات الاجتماعية . وهكذا فعلى الرغم من ارتفاع مسرات العامل، فإن ما منحته من الرضى الاجتماعي ينخفض بالقياس إلى مسرات الرأسمالي المتعاظمة، الممتنعة على العامل، وبالقياس إلى حالة تطور المجتمع على العموم، إن رغباتنا ومناهجنا تنبثق من المجتمع، وبالتالي فإننا نعيشها بواسطة المجتمع وليس بواسطة الأشياء التي تعمل على ارضائها، ولما كانت ذات طبيعة اجتماعية، فهي ذات طبيعة نسبية إذن."[2]

وعن حرصه على أن تتناسب زيادة الأجور مع الحالة والأوضاع الاجتماعية المحيطة يقول كارل ماركس: "لا تتحدد الأجور على العموم بمقدار البضائع التي يمكنني مقايضتها بها فحسب، بل هي تتضمن علاقات مختلفة، إن ما يتناوله العمال

---

[1] أنظر كارل ماركس ، فردريك أنجلز ، **مصادر الاشتراكية العلمية** (2) ترجمة د .فؤاد أيوب ، الطبعة الثانية (دمشق : دار دمشق للطباعة والنشر ،1964) ص.ص. 18 – 20.

[2] نفس المصدر السابق، ص.ص.33 ،34.

لقاء قوة عملهم هو، في المحل الأول، مبلغ محدد من المال، فهل تتحدد الأجور بهذا السعر النقدي وحده؟ في القرن التاسع عشر إزداد الذهب والفضة المتداولان في أوروبا بنتيجة اكتشاف مناجم في أميركا أغنى وأسهل استثماراً، وبالتالي فقد هبطت قيمة الذهب والفضة بالقياس إلى البضائع الأخرى، وكان العمال يتقاضون نفس المقدار من الفضة المسكوكة الذي كانوا يتناولونه من قبل لقاء قوة عملهم، لقد بقى سعر عملهم النقدي على حاله، ومع ذلك فإن أجورهم انخفضت، إذ كانوا يتناولون لقاء نفس الكمية من الفضة مقدارا أقل من البضائع الأخرى، وكان ذلك أحد الظروف التي زادت من نمو رأس المال وصعود البرجوازية في القرن السادس عشر." [1]

ويعطي ماركس مثالا أخر فيقول:" ولنأخذ حالة أخرى: إن وسائط المعيشة الأكثر ضرورة، كالحبوب واللحم والزبدة والجبن... الخ... قد ارتفعت أسعارها بصورة فائقة عام 1847 نتيجة سوء المواسم، فلنفترض أن العمال ظلوا يتقاضون نفس المبلغ من المال الذي كانوا يتقاضونه من قبل لقاء قوة عملهم، ألم تنخفض أجورهم ؟ بكل تأكيد، فقد كانوا يتلقون مقادير أقل من الخبز واللحم...الخ لقاء المال نفسه، ولم تنخفض أجورهم لأن قيمة الفضة قد أنخفضت، بل لأن قيمة وسائط المعيشة قد ارتفعت."[2]

يستشهد هوك بعبارة قالها ماركس في سياق دفاعه عن مصلحة العمال من حيث مواصفات العمل والتخصص... يقول ماركس: "يجب أن يكون عمل الإنسان ذو معنى بالنسبة له، وليس وسيلة لقضاء الوقت وتضيعة وإنما طريقة لتحقيق الإنجاز والإشباع ..." لقد رفض ماركس وعارض تقسيم العمل فقد ذهب إلى أن أي نوع من التخصصية professionalizationهي مأساة تدعو إلى الرثاء حيث تقيد طاقات النمو في

[1] نفس المصدر السابق ، ص. 35.

[2] نفس المصدر السابق ، ص.35.

نواحي عديدة كامنة لدى الإنسان تلك النواحي المتساوية شرعيا والجديرة بالتربية والتهذيب والتدعيم."[1]

فالتخصص يؤدي إلى مساوئ عدة أشار إليها ماركس كما يلي:

تحويل العامل إلى إنسان هش واهن، تحط من شأنه إلى مجرد لاحق للآلة، تدمر كل ما يتبقى في عمله من جاذبية وتحولها إلى كد مضنى مكروه، تنفره وتبعده عن أية طاقات عقلية موجه للعمل، وتحول عمره إلى وقت عمل وتجر زوجته إلى أحط عجلات عربة الرأسمالية.

ويعلق هوك على ذلك بأنه مهما كان ذلك يصدُق بالنسبة للأيام الأولى من الرأسمالية، فإنه اليوم كوصف للظروف الواقعية للعمل للأغلبية العظمى من العمال المرتزقين سيكون بعيدا عن الوضوح . فالتخصص الزائد excessive specialization للعمل هو نتيجة للمجتمع الصناعي أكثر مما يكون نتيجة للرأسمالية ففي ظل الصناعات المؤممة، سواء في الاقتصادات الرأسمالية أو الاشتراكية، ما زال الخط الجماعي له دوره وفاعليته.

وفي خضم عرض هوك لما كان يعنيه ماركس بالحرية الإنسانية والفردية ولكي يبرئه من الاتهامات التي وُجهَت إليه في هذا الصدد ولا سيما تلك التي نظرت إليه على اعتباره ينظر إلى الفرد وكأنه ورقة شجر تضيع وتتوه خصوصيتها في باقي الأوراق الأخرى، يستشهد بفقرة ذكرها في خضم نقده للتخصص على النحو الموجود في المجتمع الغربي الرأسمالي " بمجرد أن يتحقق تقسيم العمل ويصل الى حيز الوجود، يكون لكل إنسان نشاط محدد، ومجال ثابت ويُجبر كل إنسان عليه، وفيه لا يستطيع الفرار فهوصائد حيوانات، أوراعي، أوناقد ... يجب عليه أن يبقى على ما هو عليه

[1] Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, pp. 4, 5

داخل إطار مهنة إذا لم يرغب في أن يفقد وسيلته، بينما في المجتمع الشيوعي، حيث ليس لأحد مجال محدد للنشاط ولكن يمكن لكل مرء أن ينجز ويعمل في أي فرع يرغبه فإن المجتمع ينظم الإنتاج العام وهكذا يجعل من الممكن أن أقوم بعمل ما اليوم وآخر في الغد، أن تصطاد الحيوانات في الصباح، والسمك بعد الظهر وأن تربي الماشية مساءً، وتقوم بالعمل النقدي بعد العشاء طالما لدي العقل الذي بدونه لما قمت بدور الصائد ولا القناص ولا الراعي ولا الناقد.[1] ويعلق هوك بأنه يعرض لما قصده ماركس بالحرية الإنسانية والفردية بغض النظر عن صحة وجهة النظر هذه أم لا . وهذه الفقرة كافية لتحطم تماما وجهات نظر هؤلاء الذين نسبوا إلى ماركس القول بإنه على قناعة بأن الإنسان في مجتمعه المثالي هو مخلوق داخل خلية نحل أو كورقة شجرة لا يمكن تمييزها عن باقي الأوراق . إن إنسان ماركس له تفرد اليوناردو دافنشي، بإمكانه أن يحقق الإنجاز في أي فرع للمعرفة أو المهارة التي يرغبها، وأن يتحرك ويتحول يوميا من إنجاز إلى آخر. مثل هذا الإنسان لن يكون الإنسان الملائم لأي مجتمع شمولي.

ويُبدي هوك رأيه بالقول إن التحدث حرفيا بأن كل شخص سيصبح اليوناردو، والقول بإنه يمكن أن يكون رجل كل شئ هو أمر لا معقول، ويسير ذلك ضد فكر وبعد نظر جوته وتشارلز بيرس حيث التأكيد على أن سر الإنجاز العظيم يكمن في التحديد، وأنه عندما يحاول الشخص العادي أن يمد يده إلى شئ فانه لن يقدم أي شئ ذو أهمية أو أثر عظيم. ولكي يظهر هوك عدم التوافق عند ماركس في أرائه هذه يشير إلى أنه :أن تعمل جراح مخ في الصباح، وتنخرط في البحث النووي بعد الظهر، والكشف الجيني في المساء، وتعزف سيمفونية بعد العشاء. فطالما لدي العقل يمكنني به أن أصبح جراح مخ وعالم فيزياء وعالم أحياء وموسيقار بل حتى الإنسان الحر اليوناني الذي كان تلبي العبيد له كل احتياجاته الفيزيائية، لم تكن لديه هذه الدرجة من التحول

[1] **Sidney Hook, Marxism and Beyond**, pp. 4, 6.

والتقلب."[1] وتقترب وجهة نظر هوك من المعقولية إننا أردنا أو لم نرد فلدينا في آخر الأمر حدود من الصعب تجاوزها، ويستثنى من ذلك عدد ليس بكثير من العباقرة والذين برعوا قديما في علوم مختلفة كانت تشمل ضمن ما تشمله الطب والرياضيات والفلسفة وغيرهم.

يرى سيدني هوك أن أفكار ماركس أَثرَت الكتابة التاريخية، وجعلتها أكثر واقعية وهبطت بها إلى سطح الأرض، وطرحت القضايا ذات الاهتمام على بساط البحث حتى أن مؤرخا مسيحيا مثل البروفيسور بترفيلد Butter Field أظهر تقديرا للتأثير الإيجابي المفيد لمنهج ماركس على المعرفة والعلم التاريخي.

تقدم نظرية ماركس في التاريخ تفسيرا مقبولا ظاهريا في الغالب للطابع العام للمجتمع الصناعي في القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى، ولعملية تحديث الحضارة وإخضاعها للطابع التجاريCommercialization وأثر النتائج العديدة للعلم على المجتمع، وللصراعات السياسية الرئيسية لهذه الفترة، والتوسع الإمبريالي الأوروبي Imperialistic للسيطرة على العالم.

ونظريات ماركس هي في جزء منها صادقة وفي جزء أخر باطلة. فهناك الكثير في نظرياته مما يمكن دحضه وتفنيده ومناقشته ولكن راسل يذهب إلى أن هناك أربع نقاط في نظريته على قدر من الأهمية تبرهن أنه رجل عالٍ الذكاء **الأول:** التركيز على رأس المال، متحركا تدريجيا من المنافسة الحرة إلى الاحتكار، **الثاني:** الدافع الاقتصادي في السياسة **والثالث:** ضرورة غزو السلطة بواسطة هؤلاء الذين لا يملكون رأس المال . **والرابع:** ضرورة أن تمتلك الدولة كل وسائل الإنتاج .

[1] Ibid, pp. 6, 7.

ولهذه الأسس الأربعة يستحق ماركس أن يعتبر مؤسس الاشتراكية العلمية.[1]

خامسًا: الجدل ما بين الاشتراكيين والرأسماليين

1- نقد الاشتراكية من قبل الرأسماليين

تعرضت اشتراكية سيدني هوك لانتقادات حادة، وهجومًا عنيفًا من قبل أنصار التوجه الرأسمالي الذين ربطوا بين النظام الرأسمالي وبين الحرية السياسية من ناحية وربطوا بين الاشتراكية والاستبداد السياسي من ناحية أخرى، فيقول مارفين زيميرمان Marvin Zimmerman في هذا الصدد: "بالإضافة إلى خطر الشيوعيين، يوجد العديد من الأمثلة الأخرى التي تمثل تهديدًا للحرية وللصالح العام، مثل تلك المتمثلة في المناقشات التي تُفضل تدخل الدولة في الاقتصاد، إن الحر اقتصاديًا يميل أن يكون حرا سياسيًا، في حين أن المقيد اقتصاديًا يميل إلى أن يكون مقيدًا سياسيًا بالمثل، بل إن أي تهديد لحرية الفرد (اقتصاديًا) تعمق الخطورة التي تهدد باقي حرياته السياسية"[2]

هناك من الفلاسفة الرأسماليين من رادفوا بين الاشتراكية والعبودية مثل فردريك فون هايك Hayek في كتابه" الطريق إلى العبودية the Road to Serfdom " فيقول: " لقد تخلينا عن حقيقة إنه بدون الحرية في الشؤون الاقتصادية فإن الحرية الشخصية والسياسية لم تتواجد أبدا في الماضي . وعلى الرغم من تحذير كبار المفكرين السياسيين العظام للقرن التاسع عشر من أن الاشتراكية تعني العبودية، فقد مضينا بخطى ثابتة نحو اتجاه الاشتراكية والآن نرى شكلا جديدا للعبودية يظهر أمام أعيننا، لقد تناسينا تماما التحذير."[3]

---

[1] Bertrand Russell, **Freedom and Organization**, pp. 30,31.

[2] Marvin Zimmerman: **Hooked on Freedom and Science**, p. 79.

[3] F. A. Hayek, **The Road to Serfdom**, (abridged edition) (London, George Routledge Sons Ltd., 1946) p. 16.

ويتهم هايك الاشتراكيين بأنهم حتميون فيقول: "إذا ما كنا سنبني عالما أفضل يجب أن تكون لدينا شجاعة صنع بداية جديدة وليس هؤلاء الذين يؤمنون بالاتجاهات الحتمية هم الذين لديهم هذه الشجاعة، وبالطبع ليس هؤلاء الذين يعظون بنظام جديد، الذي ليس إلا معارضة لاتجاهات السنوات الأربعين الماضية، وهؤلاء الذين يعتقدون بأنه لا يوجد شئ أفضل من تقليد هتلر."[1]

ويستشهد هايك بآراء عدد من الفلاسفة والمفكرين سواء الذين أيدوا الاشتراكية، أو الذين أسسوها، مثل: آراء القديس سانت سيمون Saint Simon الذي يعد من مؤيدي الاقتصاد المخطط، والذي توقع أن هؤلاء الذين لن يطيعوا ويسلموا بتخطيطه المقترح "سيعاملوا معاملة الماشية " ويستشهد بـ دي توكفيل الذي رأى أن الديمقراطية في صراع مع الاشتراكية فقال عام 1848: " إذا كانت الديمقراطية تزيد من مجال الحرية الفردية، فالاشتراكية هي التي تقيد هذا المجال، وبينما تضفي الديمقراطية قيمة على الإنسان فإن الاشتراكية تجرد الإنسان من هذه القيمة . إن كل من الديمقراطية والاشتراكية لا يوجد بينهما أي عامل مشترك سوى كلمة واحدة هي: المساواة، ولكن لاحظ الفرق فبينما تنشد الديمقراطية المساواة في الحرية، تنشد الاشتراكية المساواة في العبودية."[2]

من الواضح أن هايك لم يضع حدا فاصلا بين الفكر الاشتراكي نفسه وبين التطبيق في الدول الشيوعية، فيشير إلى الدول التي تطبق الفكر الاشتراكي على إنها نظم شمولية تستند جميعا وبلا استثناء إلى نوع من البحث عن اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة. وقد ربط بين محاولة تحقيق هذه المدينة الفاضلة وبين فكرة تنظيم المجتمع، أو ما يطلق عليه النظم الاجتماعية، فهناك بين العقل والغريزة منطقة هامة تخضع لمؤثرات) التطور الاجتماعي (نتيجة لاحتياجات الجماعة وخبرتها الطويلة)، فأهم النظم الاجتماعية المعروفة لم تنشأ نتيجة تصور عقلي محض كما لم تكن استجابة غريزية

[1] Ibid, p. 93.
[2] Ibid, p. 20.

للحاجات الأولية للأفراد، وإنما نشأت– في الغالب - نتيجة للخبرة التاريخية المتراكمة والتي أثبتت نجاحها وفاعليتها، بل إن العقل ذاته لا ينبغي أن يؤخذ كمعطاء بقدر ما هو نتيجة للتطور الثقافي والحضاري، ومن هنا تتضح أهمية دور التطور وتراكم الخبرات والتجارب في نشأة النظم الاجتماعية.[1]

ويعد " أنتوني جي فليو Antony G. Flew "من المفكرين الأمريكيين الذين أيدوا هايك وانتقدوا اشتراكية سيدني هوك، ويستشهد فليو Flew بعبارات لهايك تؤكد إيمانه بوجود اقتصاد حر وربط ذلك بالحرية السياسية فيقول هايك في كتابه "الطريق إلى العبودية" : "إننا نؤكد انه في ظل اقتصاد حر سوف تكون الحرية السياسية ممكنة، بيد أنه في ظل اقتصاد تتحكم فيه الدولة فسوف تكون الحرية السياسية مستحيلة."[2] وهذا ما ذهب إليه أيضا زيميرمان Zimmerman إذ يؤيد فردريك فون هايك بإقران الاشتراكية بالديكتاتورية، إذا ما أُوّلت – حسب تصورهما – كنظام تمارس فيه الحكومة سيطرة مميزة واضحة على الاقتصاد، فحينئذ ستصبح الاشتراكية" الطريق إلى العبودية " فيربط زيميرمان Zimmerman بين الحرية الاقتصادية والحرية السياسية فيقول: "إن تأييد الحرية الاقتصادية لا يعد دعوة من أجل الفوضوية، بل أنه تأييد للحرية الاقتصادية السياسية المتضمنة في وثيقة الحقوق Bill of Rights."[3]

2– نقد الرأسمالية من قبل الاشتراكيين

وفي المقابل وجه الاشتراكيون نقدا لاذعا إلى الرأسمالية؛ **فقد انتقد هوك الرأسمالية ووجد أن بها اتجاهات نحو الشيوعية،** بل إن براعة هوك الجدلية جعلته

---

[1] أنظر: ف . ف . هايك ، **الغرور القاتل :أخطاء الاشتراكية** ، ترجمة محمد مصطفى غنيم (القاهرة :دار الشروع ،1993) الطبعة الثانية ص.8 .

[2] Antony G, N. Flew , **the socialist obsession**, p. 38

[3] Marvin Zimmerman, **Hooked on Freedom and Science** , p. 80

يؤكد على أن الحتمية كمثلما تواجدت عند الشيوعية وتضمنتها الماركسية الأرثوذكسية حيث الإيمان بالمادية التاريخية، فان الحتمية تتواجد أيضا عند أصحاب الفكر المنتقد للاشتراكية. كيف؟! بإيمانهم بأن النظم الاشتراكية لا بد وأن تؤدي إلى ديكتاتورية . فيقول: "من خلال تجول نظري بدا وكأن النظرية الماركسية الارثوذكسية للمادية الجدلية قد أصبح لها مشايعون وسط مجموعة صغيرة أكاديمية ذات روابط وثيقة ومتسقة من المعارضين للاشتراكية، الذين استنتجوا بثقة أن الاقتصاد الاشتراكي المخطط أو أي نوع من الاقتصاد المخطط سيؤدي حتما إلى فقدان الديمقراطية وظهور الشمولية[1]، وتبعا لهذا الرأي فإن نمط الإنتاج الاقتصادي هو الذي يقرر بمفرده ويحدد النظام السياسي للمجتمع، على الأقل في المجتمع الاشتراكي.

ويدحض هوك مزاعم هؤلاء بالتأكيد على أن التنبؤ بأن تنامي التوجه الاقتصادي المسؤول والتخطيط سيقود بالتأكيد إلى تآكل الحرية السياسية هو تنبؤ واستنتاج مشكوك فيه منطقيا وتاريخيا لأنه من الناحية المنطقية يتجاهل تعدد أشكال الإدارة والرقابة السياسية التي تتسق مع أي نظام اقتصادي معروف، ومن الناحية التاريخية لم يعطِ وزنا كافيا لحقيقة أنه في البلدان التي سار فيها التخطيط جنبا إلى جنب مع الديكتاتورية، كانت الديمقراطية قد تحطمت قبل أن يتم إدخال الاقتصاد المخطط وليس كنتيجة لإدخاله وتطبيقه.[2] وهكذا يرد هوك على منتقدي الديمقراطية الاشتراكية لديه على نحو جدلي بارع يدحض الأسس التي قام عليه نقدهم.

لقد رفض فردريك فون هايك كل أشكال الحتمية.[3] ورفض ما أطلق عليه "الهندسة الاجتماعية "؛ أي أن يتم وضع تصور معين لابد وأن يقع.[4] ومع ذلك أي

---

[1] سيدني هوك : **ماركس والماركسيون** ، ص ص. 202 ، 203.

[2] نفس المصدر السابق ، ص.203.

[3] See: Hayek, **the road to serfdom**, p.27.28 .

[4] انظر هايك : **الغرور القاتل وأخطاء الاشتراكيين** : ص . 8 .

ومع رفضه لكل أشكال الحتمية، فقد كان هو نفسه حتميا عندما تصور أن تطبيق التخطيط، أو كما رادفه هو بالاحتكار من قبل الدولة، لا بد وأن يؤدي إلى الديكتاتورية !فالديمقراطية والتخطيط لا يجتمعان كما أكد هايك.

وكذلك في نقد هايك لما عرض في جريدةEconomist، والتي تضرب مثالا بفرنسا على إنها دولة ديمقراطية ولم يفسد التخطيط حقوق الإنسان أو يجور عليه، فيقول هايك: "إنه ربما كان ذلك صحيحا وقت الحرب حيث ضرورة فرض قيود حتى على حرية النقد الصريح، ولكن وجهة النظر السابقة لن تقود إلا إلى دولة شمولية."[1] ويتضح هنا أنه يخالف حقيقة من أهم حقائق الواقع ألا وهي أن التجربة الاشتراكية في فرنسا لم تلغِ أوتقضِ على الحياة الديمقراطية الفرنسية .

وفي المقابل يرى هوك أن الرأسمالية هي التي تحمل بداخلها الاحتكار ولا تقدر على تأمين الحريات والحقوق فيشير إلى أن الاتجاه نحو الشيوعية في الاقتصاديات الرأسمالية يأتي نتيجة للطلب الدائم والمتجدد دوما على الربح، الذي يُعد أساسا لهذا النظام، ويترتب على السعي من أجل الربح التراكمي الهائل والضخم لرأس المال الذي يزيد القوى الإنتاجية للمجتمع . ولكن وبسبب التفاوت الهائل في الدخل بين الطبقات المختلفة المرتبطة بعملية الإنتاج، تقل القوة الشرائية للكميات الهائلة من البضائع الاستهلاكية، ويصبح التفاوت هائلا وينتج عن ذلك تضييق مجال الاستثمار القادر على تحقيق الربح ومن ثم ظهور البطالة بشكل هائل . وهنا تتدخل الدولة أكثر وأكثر كشريك في الصناعة وأحيانا كمُنتج مستقل في محاولة منها لجعل الإنتاج يستمر، ولاستمالة استثمارات جديدة ولإزالة العبء المتزايد والأخطار السياسية الناجمة عن البطالة[2]. فالاقتصاد الرأسمالي لا يستطيع تأمين الأرباح وتحقيق وتوفير مستوى معيشة

[1] Hayek: **the road to serfdom**, p. 45.
[2] Sidney Hook, **The Hero in History, A Study in Limitation and Possibility** , p. 178.

يتناسب مع الإمكانيات التكنولوجية الهائلة المصاحبة للصناعة الحديثة ومن ثم يُغرق نفسه دوريا في أزمات.

ويتفق مع هوك في الرأي الفيلسوف الأمريكي ميلز Mills كما يعرض ارفينج لويس هورويت (Irving Louis Horouitz (editor فيقول: "إن الحرية التي يحميها اليوم المشروع الخاص هي في المقام الأول حرية المستثمرين في البيع وصنع الربح؛ فالرأسمالية- كما يرى المؤلف - تحقق الربح لأصحاب رأس المال المستقلين وليس للعمال (وهم الذين يمثلون القطاع العريض من المجتمع) على غيرهم . ومن ثم لا يتحقق أي توزيع عادل للملكيات أو للثروة . فيرى المؤلف أن تلك الظروف التي كانت تحيط بالمشروع الخاص وتجعله يؤدي إلى الحرية والاستقلال في مجالات أخرى عديدة ولا سيما المجالات السياسية، مثل هذه الظروف ضاعت وانتهت . تلك الظروف التي شكلت الديمقراطية الكلاسيكية في عهد جيفرسون.[1] ويقول أيضا ميلز: "إن المشروع الحر اليوم يعني الحرية لعدد قليل محدود في التحكم في المجال الاقتصادي . بل يعني اعتماد جماهير العمال تماما على هذا العدد المحدود."[2] وعن مساوئ الرأسمالية يشير إلى أن من يسيطر على الاقتصاد من رجال الأعمال هونفسه من يوجه قرارات الحكومة ويسيطر عليها، وطالما أن السياسة والاقتصاد يتصلان فإن " كل شخص على علم من أنه يجب علينا أن نتحدث عما هو سياسي واقتصادي في نفس واحد، عن الاقتصادي السياسي [3] Political economy ويعني ذلك بعبارة أخرى أن مجال الاقتصاد والحكومة أصبحا شيئا واحدا."

وفي نقد الرأسمالية يقول إيلين ميكسينس وود Ellen Meiksins Wood : "تنطوي الرأسمالية على استغلال طبقي، ليس هذا فحسب بل أنها تمتد إلى ما هو أكثر

[1] See: Irving Louis Harouitz (editor), **Power, Politics, and people**, The Collected Essays of C. Wright Mills, P. 180.
[2] Ibid, p. 181

[3] Irving Louis Harouitz (editor), p. 185 .

بكثير من مجرد نظام الظلم الطبقي؛ إنها العملية الشمولية الأكثر قسوة وغلظة في تسليطها لتشكيل حياتنا في كل جانب ومظهر، وفي كل مكان. فمن ضمن أمور عدة، وبغض النظر عن السلطة والقوى المباشرة التي تُخضع بها ثروة الرأسمالي الحياة الاقتصادية والسياسية، فهي تخضع كل الحياة الاجتماعية للمتطلبات المجردة للسوق، تخطط وتوجه كل شئ العمل، وقت الراحة، الموارد، نماذج الإنتاج والاستهلاك، وتقسيم الوقت."[1]

ويرى ويلي ايجلر أن الاقتصاد الحر لا يؤمّن، بحد ذاته، توزيعا عادلا للمداخيل والثروات ولذلك كان من الضروري وضع سياسة واعية للمداخيل والثروات . فالمداخيل والثروات توزع بشكل غير عادل. وليس ذلك نتيجة التدمير الجماعي للثروات، أو نتيجة الأزمات، والحروب أو التضخم المالي وحسب، بل هو أيضا، وبصورة رئيسية، نتيجة خطأ السياسة الاقتصادية والضرائيبية التي تشجع نمو المداخيل والثروات في عدد ضئيل من الأيدي، وهي السياسة التي أهملت حتى الآن أولئك الذين كانوا محرومين من الثروة.[2]

ويقول إيلين ميكسينز وود Ellen Meiksins Wood : "إن انهيار الشيوعية وأفولها ليس هو اللحظة الحاسمة والنهائية لعصرنا الحالي...فهناك أمور عدة تحدث للرأسمالية أيضا ... فالحلول المحيطة بالرأسمالية، على تنوعها وتعددها، تناقضية وانهزامية على نحو ذاتي . فقد وسع السوق المرن من مرونته وتنافسيته بتقويض أسسه الأصيلة، إن

[1] Ellen Meiksins Wood, **Democracy against Capitalism** (Great Britain, Cambridge university Press, 1996).p.263.

[2] ويلي ايجلر ، **قيم الاشتراكية الديمقراطية ومطلبها الأساسي** ، ص46 ، 47 .

الدرس الذي تعلمناه هو أن القول بوجود رأسمالية إنسانية ما هو إلا قول أكثر يوتوبية من كل أمال الاشتراكية."[1]

ويطرح هوك عددا من النقاط التي تعد عوامل تشابه بين الرأسمالية والشيوعية ؛ فيرى أن الإيمان والاعتقاد في اقتصاد السوق الحر ليس نفسه الاعتقاد في مجتمع حر، فعلى العكس، من الواضح أنه في انجلترا والبلاد الاسكندنافية لا يقود ولا يستلزم الاعتقاد في مجتمع حر، الاعتقاد في اقتصاد حر . ففي الاقتصاديات، كما هو الحال في كل مجالات سلوك الإنسان، تعتبر القرارات الأساسية قرارات أخلاقية – علنية كانت أوسرية، حكيمة أوغبية."[2] فرجل الأعمال إذن لا يهتم كثيرا بالمناداة بحرية الصحافة أو حرية الكلام، وكأنه يترك مهمة ذلك إلى المثقفين وأساتذة الجامعات والقادة، وكل ما يركز عليه هو المشروع الحر .

ويحدد هوك النقاط التي يتشابه فيها رجل الأعمال الرأسمالي مع نظيره الشيوعي بأننا إذا كنا سنحكم على رجل الأعمال لا بما يقوله وإنما بما يفعله أو يخفق في فعله، فانه ستترأى لنا مقدمة عامة يشترك فيها الرأسمالي مع - عدوه اللدود نظريا ومذهبيا - الشيوعي السلفي Orthodox communist ، فعلى الرغم من اختلافهما حول ما يشكل الأسس الاقتصادية للمجتمع وحول مفهومهما للحرية الاقتصادية، فإن كلاهما يعتقد بأنه بمجرد أن يؤسس النظام الاقتصادي ويتشكل فأن الحريات الثقافية والسياسية ستتواجد من تلقاء نفسها وكلاهما تمسك بنوع من الذاتية التاريخية historical automatism ."[3] ويتفق برتراند رسل مع هوك في هذا الصدد فعن السمات المشتركة بين الشيوعية والرأسمالية يقول: " (هناك) سمات كثيرة، وأرى هذا نتيجة لا مناص منها لنفوذ التكنولوجيا الحديثة فالتقنية الحديثة تحتم قيام تنظيمات واسعة مركزية، وتثمر

---

[1] Ellen Meiksins Wood, **Democracy against Capitalism**, pp.292,293.

[2] Ibid, p.60.

[3] Sidney Hook, **political power and personal freedom**, pp. 60, 61.

نمطا معينا من المديرين . ويصدق هذا على البلاد الشيوعية والرأسمالية على السواء متى كانت الصناعة بها متقدمة."[1] بل إن الدول الشيوعية– كما يرى هوك - تُطبَق فيها عدد من مبادئ الرأسمالية الفظة مثل: "الاختلافات الهائلة في مستويات الدخول، الاعتماد على مراكز استراتيجية للمشروع الخاص ليس فقط في الزراعة وإنما في الصناعة أيضًا (مثل الصين)، والاتجاه نحو اللامركزية الاقتصادية."[2] وفي الوقت الذي لا تطبق فيه الدول الاشتراكية اشتراكية ماركس كما يذهب هوك، فإن هناك ثمة دول كبرى كالولايات المتحدة تطبق ما جاء به ماركس وانجلز، وهذا ما يشير إليه فردريك مارتن ستيرن، فيوضح ستيرن أن الولايات المتحدة عرفت نعمة المجتمع بلا طبقات فيقول: "الأمريكيون يحبون أن يحققوا السعادة والرفاهية لأفراد الأمة جميعا، بل إنهم يتفقون مع الرسالة العظمى التي نادى بها كارل ماركس ورآها الوسيلة لإنقاذ المحرومين الأذلاء المهضومين: وهي مجتمع بلا طبقات، هم هنا يسمونها حرية ومساواة."[3]

والاتفاق هنا مع ما ذكره سواء هوك أو أو ستيرن أمر غير مؤكد؛ فمن قال إن المجتمع الأمريكي مجتمع بلا طبقات؟ ما هي براهين ذلك ودلائله؟ هذا ما لم يقدم أحد منهما ردا عليه وإن كان ستيرن يستدرك موضحا ما على نحوعام بأن مجتمعا ما يعد مجتمع بلا طبقات عندما لا تكون هناك فوارق حاسمة تفصل بين طبقة وأخرى، وحيث يمكن تمكين كل فرد من أن يعلو ويرتقي تبعا لملكاته ونشاطه وكفاءته وأن لا تتواجد طبقة خاصة لها من الامتيازات مما يجعلها تسود الشعب وتسن القوانين وتنظم العدالة حسب أهوائها..[4] ثم يضيف: " إن التجربة الأمريكية أثبتت لكل من يريد أن يعلم أن الغرض من مجتمع بلا طبقات وهو الكرامة والفلاح للجميع، لن يمكن تحقيقه بدون

---

[1] برتراند رسل ، **العالم كما أراه** ، ص .34 .

[2] Sidney Hook, **Political Power and Pwersonal Freedom**, p. 10.

[3] أنظر : فردريك مارتن ستيرن ، **مجتمع بلا طبقات** ، ص .ص. 10 ، 11.

[4] نفس المصدر السابق ، ص.12 .

وجود رأس المال، فالاثنان لا يتعارضان – كما يظن البعض خطأ – بل هما يأتلفان ويكمل أحدهما الأخر."[1]

إذن يستشهد ستيرن بالولايات المتحدة على أنها الدولة الرأسمالية التي يتحقق فيها المساواة والحرية ويرى أنها الأقرب إلى مبادئ ماركس . وفي المقابل يستشهد هوك أيضا بالولايات المتحدة كدولة تتدخل في الشؤون الاقتصادية دون أن يؤدي ذلك إلي إيجاد نوع من الشمولية أومحو الحقوق والحريات ويقول في هذا الصدد ميلتون كونفيتز Milton Konvitz:" إن التنظيم والتحكم في الاقتصاد في الولايات المتحدة لم يؤدِ الى تقليص الحريات السياسية أو الثقافية، فبينما يصوب الشعب في دولة الرفاهية لإخراج الحزب السياسي الحاكم من السلطة، فإنه لا توجد دول شيوعية واحدة سمحت لشعبها أن يؤسس الديمقراطية."[2] ويؤيده في الرأي هنا انطوني دي كرسبني إذ يقول : "إن الليبرالية الأمريكية المعاصرة ما هي إلا ليبرالية الدولة لا ليبرالية المجتمع ذلك أنها ترمي إلى إرساء تدخل الحكومة الديمقراطية من أجل التقدم الاجتماعي وعدالة التوزيع..."[3] ربما يكون حقا من الممكن الإطاحة بحكومة منتخبة ديمقراطيا لو تم إدانتها من قبل ممثلي الشعب في الولايات المتحدة؛ ولكن لا أحد يعلم تحديدا لمصلحة مَن مِن أصحاب المال والنفوذ والسيطرة تم حشد الآراء والإحاطة بمثل هذه الحكومة وعلى رأسها رئيس الدولة. فليس كل ما يظهر وكأنه نابع من ممثلي الشعب هو بالفعل كذلك بقدر ما هي الظروف التي في ظلها تحدث وحدثت الإدانة!

---

[1] نفس المصدر السابق ، ص.13 .

[2] Milton Konvitz, **Sidney Hook: Philosopher of the Moral - Critical intelligence**, p. 14.

[3] أنطوني كرسبني ، وآخر ، **أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة** ، ترجمة نصار عبد الله (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،1988) ص.37.

من الملاحظة المبدئية لما وجهه الاشتراكيون من نقد الى الرأسمالية من ناحية، وما وجه الرأسماليون من نقد إلى الاشتراكية من ناحية أخرى ، يبدو لأول وهلة وكأن هناك اختلاف هائل بين كلا الطرفين؛ ولكن بالدراسة المتأنية لتوجهات كل منهما يتضح غير ذلك تماما حيث تتواجد عدد من العناصر المشتركة، والتي يمكن القول عنها إنها عناصر أساسية في فكر كليهما وسيتضح ذلك فيما يلي:

3- ما بين اشتراكية هوك ورأسمالية هايك من عناصر مشتركة

يتواجد ثمة اتصال وخطوط مشتركة بين فكر هوك وفكر هايك، فهايك نفسه -الذي طالما انتقد الاشتراكيين – أكد أهمية تدخل الدولة في إدارة الاقتصاد لتخطيط الحاجات الأساسية، فيقول هايك: "إن أهم ما يميز الإنسان هو القدرة على التخطيط والإعداد للمستقبل، بل إن نظم السوق نفسها تحتاج إلى تدخل من الدولة بناء على تخطيط الحاجات الأساسية التي يعجز السوق عن توفيرها وبذلك يصبح التخطيط وتدخل الدولة هو الآخر مكملا للسوق وليس بديلا عنه."[1] ويؤكد هذه الحقيقة أنطوني دي كرسبني حيث يقول:" ... يتعين علينا هنا أن نُسجل أن هايك لا يعترض على قيام الحكومة بتوفير المهارات والفرص فهذا في رأيه أمر مرغوب."[2]

والتأكيد على أهمية دور الدولة هو ما أكد عليه من قبل هوك – في عرض تصوره للاشتراكية-، ويتفق الفيلسوفان في استدراكهما من إنهما لا يؤيدان اتساع دور الدولة فتصبح هي المحتكر، أوشأن تتجمع في يدها كل السلطات فيقول هايك: " فمثل تلك السلطة سيكون لها القوة المطلقة في تقرير ما ستهبه وتمنحه لنا، وبأي شروط، وبأي كيفية، فهي لن تحدد فقط الخدمات والمرافق التي ستكون متاحة لنا، وإنما ستكون

[1] هايك ، **الغرور القاتل: أخطاء الاشتراكية** ، ص. 9 .
[2] أنطوني دي كرسبني وأخر، **أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة** ، ص.37 .

قادرة على توجيه التوزيع بين المناطق والجماعات وستكون قادرة– إذا ما أرادت -على التمييز بين الأشخاص لأي درجة تريدها."[1]

ويعرض هايك لأمرين يؤكد بهما أن توسع الدولة في التخطيط المركزي يبعدها، بالضرورة عن فكرة دولة القانون لتصبح دولة أوامر، فتتناقض مع اعتبارات الديمقراطية وهما كما يلي:

1) إنه إذا كان من السهل أن يتحقق الاتفاق العام حول عدد قليل من الأمور الأساسية في تدخل الدولة، فإنه يصعب تحقيق مثل هذا الاتفاق العام كلما أمتد نشاط الدولة إلى ميادين جديدة تؤدي بالضرورة إلى ظهور أراء ومصالح متعارضة، ولذلك فإن مزيدا من التوسع في التخطيط المركزي يعني الدخول في ميادين جديدة يقتضي فيها الاتفاق العام وتتزايد الآراء والمصالح المتعارضة.

2) أما الاعتبار الثاني الذي يعرضه هايك ليدلل على تعارض التخطيط المركزي مع الديمقراطية فإنه يرجع إلى أن التوسع في مدى التخطيط المركزي يتطلب مزيدا من الاعتماد على الفنيين، الأخصائيين، ومن الطبيعي أن لا تتوقف اختيارات وخيارات هؤلاء على الاعتبارات الفنية وحدها؛ بل تتوقف أيضا على تفضيلاتهم الشخصية وهي لا تتفق بالضرورة مع رغبات الأغلبية.[2]

وقد رأى هوك أن هناك ثمة تشابه بين الاشتراكية والرأسمالية عند التطبيق الفعلي للرأسمالية فيذهب إلى أنه من الصعب رسم حد فاصل عند مجال التطبيق والممارسة بين الاشتراكية والرأسمالية ولعل ذلك نتج كنتيجة": للتطورات الاقتصادية الحديثة : فالتزايد الدائم في تدخل الدول الغنية في الغرب في الشئون الاقتصادية وتواجد التخطيط في العديد من قطاعات الاقتصاد، والضرائب المتزايدة والتي تصل إلى

[1] F. V. Hayek: **the road to serfdom**, p. 48.

[2] انظر هايك ، **الغرور القاتل** ، ص. ص. 9 ، 10.

ما بعد 90% في مستويات معينة في الولايات المتحدة وتحويل الملكية في إدارة الصناعات الضخمة، ونموتزايد سلطة الاتحادات التجارية الحرة، ووضع حد أدنى للأجور، في الصناعة ووجود التأمينات ... كلها أمور تشير إلى الدرجة التي يمكن فيها القول إن الصورة الكلاسيكية للرأسمالية كما رسمها أدم سميث قد زالت وانتهت."[1]

وهكذا فإن هناك ثمة عناصر مشتركة بين الرأسمالية وبين الاشتراكية، وعلى وجه التحديد بين فكر هوك وفكر هايك الذي وصف الطريق إلى الاشتراكية بأنه طريق إلى العبودية، ولكنه هونفسه - كما اتضح من العرض السابق - أكد أهمية تدخل الدولة في إدارة الاقتصاد مع توخي الحذر من زيادة سلطاتها، وهوما أكد عليه هوك، حيث تأكيده ضرورة وجود ضمانات تحد من سطوة الدولة . وتمثلت أهم هذه الضمانات في تشجيع المشروع الخاص وحق الملكية.

سادسًا: جدل هوك – استمان

بين سيدني هوك وماكس استمان دار جدل رائع حاول فيه كل طرف تأكيد موقفه ودحض آراء الآخر . وقد عرض هوك لأرائه وآراء استمان بحياد وموضوعية في كتابه "السلطة السياسية والحرية الشخصية" Political Power and Personal Freedomعلى الرغم من أنه كان هوالآخر تلميذا لجون ديوي وكان ماركسيا مؤمنا بالفلسفة الماركسية، إلا أن ماكس استمان انقلب على الفلسفة الماركسية والماركسيين خاصة بعدما تولى ستالين الحكم في الاتحاد السوفيتي. وكتب هوك عن ذلك مشيرا إلى من هجروا الفكر الاشتراكي فقال :" لقد تعرضت الاشتراكية لبعض الانتكاسات، مما جعل بعض الذين كانوا يؤمنون بها يهجرونها . لقد انخدع هؤلاء بالتطبيق الخاطئ لها في بعض الدول الديكتاتورية.[2]

---

[1] Sidney Hook, **political power and personal freedom**, 410.

[2] Ibid, p.339.

وفي كتابه " ماركس، لينين وعلم الثورة " ذهب استمان إلى أن الفلسفة الجدلية هي أساس التعصب وهي المسؤولة عن اتجاه ونظرة الماركسيين إلى السياسية كما لوكانت دينا . وعرض استمان وجهة نظره هذه في الجريدة التي أسسها وهي New Masses فرد عليه هوك بعنف في جريدة أخرى هي Open Court بأن الماركسية ليست عقيدة صلفة أومتعصبة، وإنما تظهر في الأساس كحكم كبير للممارسة بالمعنى الديوي للفظ ويعتبر صدقها أوكذبها مسألة تجريبية. وعاب هوك على استمان سوء فهمه بما يقصده ماركس بلفظة " أيديولوجي "، وخلطه بين النظرية الاجتماعية وعلم النفس .يقول هوك: " تأخذ المادية التاريخية نقطة الانطلاق من الوجود الموضوعي من الصراع الاقتصادي الطبقي. ولصالح الصراع تستخدم الأفكار والمذاهب كأدوات "ذرائع " للوصول بالموضوع إلى غايته بنجاح . والكفاءة المتوقعة لهذه الافكار في زيادة المصالح الطبقية تفسر قبولها وفائدتها وليس بالضرورة نشأتها ومصدرها هوالذي يفسر قبولها. فليس هناك عامل اجتماعي يمكنه أن يفسر كليا ميكانيكية الخلق الإنساني، ولكن يمكن للعوامل الاجتماعية أن تفسر لماذا بمجرد أن ترى هذه الأفكار النور تلقى القبول." [1] هذا هوما ذهب اليه هوك في رده على ماكس استيمان في مقالة له في Open Court بعنوان" ماركس وفرويد : الزيت والماء "، ردا على مقالة استمان " ماركس سبق فرويد "، بل وأكد هوك أن الماركسية تحولت وأصبحت نظرية ذاتية النقد، تفسر قبولها على أساس مبادئها... وذهب إلى أن المادية التاريخية عند ماركس والطبيعية التجريبية عند ديوي متماثلتان عمليا." [2]

يعقب ماكس استمان على مقولة سيدني هوك بصدد توجه بعض الفلاسفة الاشتراكيين سابقا إلى اقتصاد السوق الحر لاعتبارهم أن الاقتصاد المخطط من الممكن أن يصبح أداة للاضطهاد، فيقول استمان: إن ما أورده هوك هنا بحاجة إلى برهان مقنع

---

[1] Ibid.

[2] Ibid, pp.38,39.

بأن الاقتصاد المخطط لن يستخدم كأداة للاضطهاد."[1] فهوك – كما يرى استمان -يدافع عن حقه المنطقي في" الاعتقاد "في الاشتراكية الديمقراطية أكثر مما يعلن عن ولاءه لمجهود عملي لتحقيق ذلك - أي أن تضمن الاشتراكية تحقيق الديمقراطية."[2]

يقول هوك مؤيدا الاشتراكية الديمقرطية حيث يرى إنها أفضل الخيارات: "إن قضية الاشتراكية الديمقراطية، كما هذبتها أخطاء الماضي وأخطار الحاضر، هي الأقوى من أي خيار آخر." ويقول أيضا: "هناك أحداث ومواقف تاريخية تجعل من هجر الديمقراطيين الحقيقيين للاقتصاد المخطط أمرا متعجلا قليلا."[3]

ويعلق استمان قائلا: متعجلا ! ربما. ولكن متأخرا جدا من الناحية العملية . فمأساتهم(يقصد الاشتراكيين) ليست فقط في أن الاشتراكية الديمقراطية مستحيلة، ولكن في أن التمسك بهذه الأقوال اليوتوبية سيصرف طاقات أفضل رجال هذا العصر عن القتال الحقيقي من أجل الحرية. [4]

ويعتقد هوك بأن الرأسمالية لم تعد هي الخيار الأمثل فيعطي مثالا لتأكيد ذلك فيعلن أن" الرأسمالية في أي من أشكالها المعروفة اختفت عمليا من معظم أوروبا ولذلك فإن الحرمان والحاجة لهائلين لدرجة أنه لا وقت يسمح للتراكم الرأسمالي كي يلعب دورته، فيجب لذلك كما يرى هوك إعادة توجيه الأشكال التنظيمية والأجهزة الاقتصادية القائمة بواسطة التنظيم الديمقراطي كي يسير ويتقدم الانتاج." [5]

---

[1] Sidney Hook, **political power and personal freedom**, p. 349.

[2] Max Eastman, **Socialism and Freedom: A criticism of Sidney Hook**, (in) Sidney Hook, political power and personal freedom, p.350

[3] Sidney Hook, **political power and personal freedom**. 390,340.

[4] Max Eastman, **Socialism and Freedom: A criticism of Sidney Hook**, pp.350.

[5] Hook, Sidney Hook, , p. 339.

ويعقب استمان: " إن هذه الاشكال التنظيمية والأجهزة الاقتصادية هي أشكال وأدوات شمولية اصطنعهم وأبدعهم عصابات النازي والفاشية كي تتحقق على يد دولة الحزب السياسي الواحد . وبالمثل نشأ الشيوعيون وجُندوا لينفذوا ذلك بنفس الطريقة . فكيف ستجهزهم السلطة السياسية الديمقراطية و"تعيد اتجاههم"؟ إن مصطلح التحكم السياسي الديمقراطي هوفكرة غامضة والفكرة الغامضة لا يمكن " أن تعيد توجيه أي شئ فلوكان سيدني هوك يقول: "الشعب " بدلا من " التحكم السياسي الديمقراطي " كان سيبدأ في تلمس المشكلة ووضعها في مكانها الملموس . من الشرعي أن تسأل البرجماتي ماذا ينوي فعله . إن الشئ الرئيسي الذي يفعله الاشتراكيون الديمقراطيون الآن هو التأرجح oscillating ؛ إنهم يتأرجحون بين الشيوعيين الشموليين والديمقراطيين الذين يؤمنون بالمشروع الحر، ينتمون الى المعسكر والمعسكر المقابل، وسياسيا تجدهم مفلسين ... إن الصراع من أجل تقدم اقتصادي الطبع، وبرنامجهم المشتق من الشيوعية، هوسياسي خالص . إنهم يريدون ديمقراطية، ولكن يرفضون الدفاع عن الشكل الاقتصادي الذي به تتأسس جذور الديمقراطية، ويريدون الحرية الإنسانية ولكن يرفضون الحرب والكفاح من أجل البيع والشراء الحر والمشروع الحر، الذي لا يعد فقط جزءا ضئيلا من الحرية الإنسانية وإنما الأساس الدي ترتكز إليه . إن المستقبل السياسي الكامل لأوروبا، وربما للجنس البشري، يندرج في السؤال ماذا سنفعل فيما يتعلق بالصناعات ؟ فاذا كنت تؤمن بالمنافسة الحرة وبالدولة الحرة آلية التنظيم القائمة على الديناميكية إذن فإنك سوف تعهد بتلك الصناعات إلى أصحاب الملكية الخاصة بمدى يتفق مع التنظيم الذي تقوم به الدولة مما سيخلق عدة قوى أخرى في مواجهة سلطة الدولة الوحيدة . ولكن إذا كنت تؤمن بالاشتراكية الديمقراطية، فلن يكون لديك إلا سلطة الدولة . فليس لديك خيار وإنما فقط زيادة هذه السلطة بالتعهد إليها بالمزيد والمزيد من الصناعات، وليس أمامك أي خيار سوى المشاركة في هذه السلطة المتزايدة مع الشيوعيين وهذا هومعنى الديمقراطية، فاذا كنت ستقوم بالتنظيم باستبعاد الشيوعيين، فان تنظيمك ليس تنظيما ديمقراطيا، وإذا سمحت لهم، فعاجلا ستكون

السلطة شمولية ... واذا ما دخلت الدولة في مجال العمل والتجارة، فهناك مبرر آخر يفسر كيف أن الشيوعيين سيسيطرون ويستولون على السلطة: التي أعدوا العدة لها، فهم جميعا مستعدون ومحددون بنظام صارم يترأسه ديكتاتور ويسلكون مسلك الفرد ... ثم يدخل هذا الفرد في مجال الأعمال .. وتصبح فكرة إدارة الاقتصاد الكلي للدولة بواسطة عملية ديمقراطية، أوبواسطة عملية يطلق عليها " نيابية "مجرد فكرة خيالية فانتازيا على طول المدى. [1]

ويستشهد استمان بأراء عدد من مؤيدي المشروع الحر فيقول:" لقد كان توماس جيفرسون على حق عندما قال: إن الحكومة التي ترغب في أن تكون ديمقراطية لا يجب أن توسع من حدود ملكيتها وسيطرتها . ولقد كان موسكا على حق (وكذلك) أرسطوعندما قال: فقط عندما تتوازن القوى الاجتماعية المعارضة يمكن للحرية أوللعمالة أن تزدهر . وكان هايك على حق عندما قال: "ليست هناك إمكانية أخرى غير إما يسير النظام ويحكمه نظام لا شخصي أوأن توجهه إرادة قلة من الأفراد، وهؤلاء الذين لديهم الاستعداد لتدمير النظام الأول هم هؤلاء الذين يساعدون في خلق النظام الثاني.[2]

ويشير استمان الى أن هوك ذكر من قبل أن " الرأسماليين " لا يمكن الاعتماد عليهم في الدفاع عن الحرية السياسية في مواجهة نظام الأرهاب، وهذا في الواقع صحيح – كما يذهب استمان ويضيف ولا حتى العمال يستطيعون فعل ذلك، أي إنه ولا حتى العمال يمكن الاعتماد عليهم في الدفاع عن الحرية السياسية في مواجهة نظام الارهاب . فالكفاح ضد الشمولية ليس فقط كفاح بين طبقتين، ولكن كان على خطأ عندما قال: " إن المهتدين الجدد لنظام المشروع الحر ... يبالغون في قوة الولاء الرأسمالي للديمقراطية..." ويوضح استمان بأنه ليس " الرأسماليين " وإنما الاقتصاد

---

[1] Max Eastman, **Socialism and Freedom: A criticism of Sidney Hook,**(in) Sidney Hook, political power and personal freedom, pp. 351,352.

[2] Ibid, p.354.

الرأسمالي ذلك الذي نعول ونقيم عليه أمالنا، ويقول: " نحن لا نعول عليه أيضا أونستند إليه كي يضمن لنا الحرية السياسية إنما نؤكد إنه في ظل الاقتصاد الحر فإن الحرية السياسية تصبح ممكنة في الوقت الذي تصبح فيه مستحيلة في ظل الاقتصاد الذي تحكمه الدولة . ويضيف استمان: "إن القوى الاجتماعية التي نعول عليها للدفاع عن الحرية السياسية كثيرة ومتنوعة فهي ليست محددة تماما : الفلاحين، الاتحادات التجارية "المحافظة "، والاتحادات التعاونية، رجال الأعمال المستقلين، تلك الفئات التي تمتلك الذكاء السياسي وتحب الأمانة اكثر من حبها للسلطة، وعلى الجانب الأخر يوجد العلماء والفنانيين إلى جانب الفلاسفة."[1]

فيشير استمان الى أن الأغلبية في كل فئة من هذه الفئات سوف تدافع عن الحرية السياسية طالما تفهمت ما تتعرض له من خطر، ولكن إذا كان فهمهم عميق فلن يدافعوا فقط عن الحرية السياسية فحسب بل والاقتصادية أيضا، والملكية الخاصة في وسائل الانتاج، والمنافسة الأصلية ؛ فهناك اتصال وترابط قوي بين الحريتين، بحيث أنه إما أن ينهض الاثنان معا أوسيخفقان معا . وهذه هي قضيتنا، وهذا ما تعلمناه من" التجربة المرعبة لألمانيا وروسيا".

ويزيد ماكس استمان موقفه وضوحا بتأكيد إنه ليس ضد الملكية العامة للعديد من المرافق فيقول:" نحن لسنا ضد الملكية العامة لأي مشروع. فالطرق ومكتب البريد والمدارس، والميادين العامة القومية لن يحلم أي شخص بأن تتحول ملكيته الى ملكية خاصة فمعظم المجتمعات بها مرافق خاصة تديرها الدولة دون أي ضرر بالديمقراطية ولكن أن نستدل من ذلك النجاح أن يتم التخلي عن نظام المشروع الخاص وأن يدار

[1] Ibid.p. 354, 355.

الاقتصاد كله، أومعظمه، بواسطة الدولة بنجاح على غرار النجاح الآخر، فهذا استدلال طائش متعجل، وأعتقد أنه قفزة مهلكة." [1]

لقد قال هوك:" إن التساؤل: هل يمكن للاقتصاد المخطط أن يصبح ديمقراطيا، هوتساؤل امبريقي وسؤال لا يمكن تأسيسه بالتعريفات وحدها، ولكنه يسمح بإجابة تأتي بمصطلحات وتعبيرات البرهان التاريخي... فالدليل التايخي يظهر أن الدول التي تتواجد فيها أنظمة شمولية : كألمانيا وروروسيا – فإن الاقتصاد المخطط لم يسبق قتل الديمقراطية السياسية - فالبلشيفيك والنازيين .. دمروا أولا الديمقراطية السياسية ثم نظموا الاقتصادات الجماعية."[2]

ويعلق استمان قائلا:"... حتى في المنطق المجرد، فإن حقيقة أن البلشفيك قتلوا الديمقراطية السياسية قبل تأسيس الاشتراكية الشمولية لا يضيف شيئا إلى إمكانية واحتمالية نجاح الاشتراكية الديمقراطية . إنها فقط تعيد تحريك عائق إلى الاعتقاد باحتمال نجاحها، فما يحتاجه هوك لحجته، كما اقترح هونفسه، مجتمعًا ديمقراطيًا سياسيا ارتبط بالتخطيط الاشتراكي بدرجة تتساوى مع البلدان الشمولية .وهذا ما لم يستطع أن يجده، ولكنه يعتقد أنه وجد مثالا تقريبيا لحالة الاقتصاد في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في فترات الحروب حيث ازدياد الملكية في مثل هذه الفترات، أعتقد أنه من الخطورة الاستشهاد بالتخطيط الذي تطبقه الدولة في وقت الحرب كي يكون مرجعا في وقت السلم، إنه تنوع تباين الإرادات الإنسانية التي تجبر اقتصاد الدولة المخطط أن يكون تعسفيا، تميل الحرب إلى توحيد إرادات الناس وتثير تعسفا مطلقا غير ضروري، ولقد كان اتحاد الإرادات متحققا في أمريكا في الحرب التي امتدت من 1917 إلى

---

[1] Max Eastman, **Socialism and Freedom: A criticism of Sidney Hook**,(in) Sidney Hook, political power and personal freedom, p.354, p.355.

[2] Ibid , pp. 342 ,343.

1918. وفي تلك الفترة كانت الدولة منغمسة بالفعل في صراع داخلي، حالة هيستريا أصابت المجتمع كتلك التي تصيب الأفراد .أوأن أقول أن تقييد الحريات الدستورية في وقت الحرب تختلف تمامًا... وسأذكر سيدني هوك بكيف أختفت تماما مجمل الحقوق الدستورية للمواطنين الأمريكيين من أصل ياباني في هذه الحرب، وما زلت أتمنى أن نكون قد تعلمنا القليل من الحرب السابقة، فأنني أود الاعتقاد في ذلك ولكنني لست واثقا تماما من ذلك كي نقامر بمصير الحريات المدنية في ظل إدارة مختلفة في حرب عالمية ثالثة فهل تثق أنت؟ أوأي شخص أخر؟ وهكذا يقيم هوك على هذا التغيير الهش في الرأي العام الأمان بنظام اجتماعي جديد وثوري يدوم عبر العصور"[1] ومما قاله هوك أيضا وعقب استمان عليه: "يتمثل هدف الاقتصاد المخطط للمجتمع الاشتراكي في تحقيق الرخاء العام وينطوي الرخاء العام على عنصرين أساسيين هما الكفاية الاجتماعية social efficiency ، وتقوية تلك الحقوق المتعلقة بالشخصية والمرتبطة بُمثل الديمقراطية." ويعلق استمان: " باسم كارل ماركس أود أن أسال سيدني هوك كيف يمكن أن يكون للاقتصاد المخطط هدف ؟ الأهداف للكائنات الحية فقط . وبالمثل أية طبقة أونوع من الكائنات التي يضع فيها ثقته عندما يقول في الاقتصاد المخطط "الاشتراكي " في مواجهة وضد الاقتصاد الخاص بالروس والألمان، سيكون الهدف "الرخاء العام" ؟ أليس ذلك أمراً موجوداً فقط في تصوره أكثر من أن يكون أمرا ممكن الحدوث؟ "ويشير استمان إلى قول لأرسطوجاء فيه " كل شخص يفكر أساسا فيما يخصه، وقلما فكر في الصالح العام، وهويفكر فيه فقط عندما تعم عليه منافع هذا الصالح العام كفرد في المجتمع، وكان هذا هوتعليق أرسطوعلى أراء أفلاطون عن "منطق " الملكية الجماعية، ويكمن التعليق على أساس حقيقة أن المصالح الفردية تختلف وتتصارع، وكنتيجة لذلك تتصارع أراء الفرد حول ماهية الرخاء العام، فكما أطلق هايك مصطلحات مثل " الرخاء العامpublic welfare "، المصلحة العامة

[1] Ibid, pp.456, 457.

... common goodالخ فجميعها ليس لها معنى محدد تماما يكفي لتحديد سياق معين للعمل." إنهم يفيدون فقط في " إخفاء عدم وجود اتفاق حول أهداف محددة ". ثم يقول استمان: " إن رخاء الناس، مثل سعادة الانسان، تعتمد على أشياء عديدة وكثيرة جدا يمكن أن تتاح في أمور جد مختلفة. ولايمكن التعبير عنها كهدف واحد مفرد، ولكن كتدرج من الأهدافhierarchy of ends ، كمعدل واضح من القيم تتضح فيه كل حاجة لكل إنسان . أما أن نواجه كل أنشطتنا تبعا لخطة واحدة مفردة تفترض مسبقا أن كل حاجة من احتياجاتنا ستاخد دورها وتصطف في نظام القيم الدي يجب ان يكتمل بشكل كافي كي يكون من الممكن تقرير أي اتجاه من الاتجاهات المختلفة هوذلك الذي يقرره المخطط . ويفترض دلك مسبقا وباختصار، وجود لائحة أخلاقية كاملة تتوزع فيها كل القيم الإنسانية المختلفة حسب مكانها المستحق.[1]

ويشير استمان إلى أن هوك تخلى عن الاعتقاد في المهمة التاريخية للبروليتاريا والتي جعلت ماركس يقرأ النمط الاشتراكي كنتيجة حتمية للصراع القائم بين القوى الاشتراكية ويبدوا أنه تخلى أيضا عن كل فكر متعلق بين القوى الاجتماعية، وبافتراض انه يود أن يخبرنا أن العصبة gang الشمولية هي القوى الوحيدة التي يمكنها أن تأخد بزمام الاقتصاد القومي وتنظمه وتضع له الخطط ...[2] إن هوك يبني أراءه على التعليم أي على قدرة " الإنسان " على التعلم بالتجربة."

ويعرض استمان لأراء هايك في كتابه " الطريق الى العبودية " فيوضح إذا وظفت الآلية اللاشخصية اللامحددة للسوق، فلا بد وأن يتواجد بيع وشراء حر، حرية في دخول كافة أنواع التجارة، وحركة حرة للأسعار، ولن يتواجد مركز محدد توجهه كارزمية مركزية الاتجاه . لا يمكن لهذه الشروط أن تتحقق ولا يمكن للسوق أن يمارس علمه ودوره كمرشد للإنتاج إلا في وجود حرية، ويمكن أن يرتبط التخطيط والمنافسة

[1] Max eastman, **Socialism and Freedom: A criticism of Sidney Hook**,(in) Sidney Hook, political power and personal freedom p.258.
[2] Ibid, p.358

فقط بواسطة التخطيط من أجل المنافسة، وليس التخطيط ضد المنافسة، ويشير استمان أيضا إلى أن السلطة التي تتحكم في نصف الاقتصاد بشكل مباش(كما في ألمانيا) هي نفسها التي تتحكم فيه كليا بشكل غير مباشر، ثم يذكرنا أن التحكم في الاقتصاد هوتحكم في الوسائل المؤدية إلى كل الغايات.[1]

ويعقب استمان على قول هوك بأنه " إذا ما ضاعت الديمقراطية في المجتمع المخطط فإن فقدها لن يكون حتمية اقتصادية، وإنما إخفاق أخلاقي، حيث إخفاق الإنسان في استخدام ذكائه لتحرير الإمكانات العظيمة للكم الهائل للحرية في الاقتصاد المخطط." فيقول إن هوك هنا يبني أمله على قدرة الانسان على التعلم، ليس هذا فحسب وإنما على شخصيته الأخلاقية، إن هذا الكلام، هوكلام رجل يود أن يقول إن الاشتراكية ستفشل وستفشل لأنها ليست ملائمة للطبيعة الإنسانية . وأنني لا أعتقد أن الصفة " أخلاقي "أوعكسها يمكن التنبأ بها بشكل له معنى كقرينة " لإنسان " أوما ينجح أويخفق "الانسان" في تحقيقه .فالكلمة تشتق معناها من التميزات والفروق التي نضعها بين الناس وأفعالهم . فأن تقول إذا فشلت الاشتراكية الديمقراطية سيكون اخفاقا وفشلا أخلاقيا، هوقول معادل ومساوي تماما للقول بإنها ستفشل لأسباب سيكولوجية لقد قلت ذات مرة أن الاشتراكية ستفشل، وقد فشلت بسبب حجم وتعقيد المشكلة الإدارية، والاتجاهات والمسار الأساسي في الطبيعة الإنسانية " فرفض قولي هذا نقادي الاشتراكيين بالملاحظة أن الطبيعة الإنسانية متنوعة لدرجة يصعب بها السماح بأي استشهاد في الصراع مع وجهات نظرهم، وأتساؤل عما يمكنهم قوله لهايك، الذي برهن على أن الاشتراكية يجب أن تفشل بسبب تعقدات المشكلة الادارية وتنوع المسارات والاتجاهات الإنسانية. [2]

---

[1] Ibid, p.359

[2] Sidney Hook, **political power and personal freedom**, P.362 .

"الاشتراكية بدون يوتوبيا"

الرد على نقد استمان

Socialism without utopia: a rejoinder to Eastman

لقد قال هوك من قبل: "إن وضع الاشتراكية كما تظهرها أخطاء الماضي وأخطار المستقبل لهي أقوى من أي خيار آخر "ولكن قال إستمان" بأنها ليست النموذج الذي بناء عليه يزيل الإنسان أسس مجتمع كي يؤسس مجتمعا آخرا جديدا." ويتساءل هوك: ولكن لماذا؟ إن الأكثر أهمية من الاعتقاد الذي يؤمن به إنسان هوما هي الطريقة تلك التي يؤمن بها هذا الإنسان، فيمكن لأية حماقة اوفنتازيا أن تشمل وتكتنف الاعتقاد، وحتى لوكان صحيحا سيظل عقيدة صلفة إذا لم يقام على ضوء ما حوله من خيارات والدليل السديد عليهم ووجهة نظري كانت أن هؤلاء، مثل، إستمان، الذين يضيقون الاختيار ما بين فوضوية رأسمالية" دعه يمر دعه يسير ,laissez faire laissez passerمن ناحية، والحتمية الصارخة لشمولية هتلر وستالين من ناحية أخرى، لم يقيموا بشكل جيد خيار الاشتراكية الديمقراطية . ويصر هوك على أن خيار الاشتراكية الديمقراطية هوأفضل الخيارات ويتضح ذلك– كما يذهب هوك -من خلال ضعف وعدم اتساق ما يقدمه استمان نفسه من بديل ثم يشرع هوك في شرح ذلك فيشير إلى أن هؤلاء الذين يساندون الرأسمالية وكأنها الحارس الوحيد للديمقراطية يغضون الطرف عن أمرين أساسيين وهما:

أولا: إن نموالاقتصاد الرأسمالي يتطلب توسط الدولة وتدخلها أكثر وأكثر في العمل ومساندة المحتكرين واتحاد المنتجين، أي ستزداد مساحة تحكم الدولة.

ثانيا: حقيقة أن الإرهاب السياسي سيصبح منظما في ظل المشروع الحر، وستصبح، كما يظهر التاريخ الحديث، الجماعات الرأسمالية المسيطرة أكثر اهتماما بالملكية وبالمركز الاجتماعي وبالسلطة أكثر من الاهتمام بالمحافظة على الديمقراطية . فإن

تعول عليهم كي يدافعوا عن الديمقراطية لهوأمر غير واقعي بل مثله كمثل أن تتوقع من القوى الكبرى أن تنحوا مسلكا ديمقراطيا للدفاع عن حقوق الأمم الصغرى !! ويعلق هوك على رفض استمان لهاتين النقطتين بأن إستمان تجاهل الأولى أما الثانية فأعترف إنها صحيحة ولكن أضاف: "إنها ليست الرأسمالية وإنما الاقتصاد الرأسمالي الذي نبني عليه أمالنا." ولكن لماذا أنكر الاقتصاد الرأسمالي أمالنا الديمقراطية في ألمانيا واليابان وإيطاليا؟ ولماذا يتبع اتجاه الاقتصاد الرأسمالي في كل أمة كبيرة نفس النموذج العام؟

...ولكن هل يفترض ذلك بأنك لا تسند أمالك على "الرأسماليين" وإنما على الرأسمالية...؟! لا تمثل المؤسسات الاجتماعية قوى منعزلة عن الناس . هم بمثابة صلات وعلاقات بين الناس .فهم كعلاقات اجتماعية موضوعية، يحددون السلوك الإنساني وهم ذاتهم يتأثرون بالمثل والتفضيلات الإنسانية التي تتضح في الجانب السلوكي . فسواء كانت رأسمالية أواشتراكية، فإن وجود أوغياب الديمقراطية السياسية لا يعتمد فقط على الاقتصاد وإنما على التقاليد والموروثات الاجتماعية والتاريخية وعلى ذكاء وشجاعة الإنسان . إن الجماعات الأخرى، بخلاف الرأسماليين، التي سردها إستمان كقوى يمكن ادراجها في تلك القوى التي تكافح من أجل الحرية السياسية، يمكن أن نجدها أيضا في المجتمع المخطط .إن التأكيد على أن شئ ما مستحيل تاريخيا يستلزم الافتراض أن نقيضه لهوأمر حتمي تاريخيا . وعلى وجه التحديد، أن تقول إن الديمقراطية في ظل المجتمع المخطط مستحيلة، بغض النظر عما إذا كان الناس يؤمنون بها ام لا .هوأن تؤكد على أنه من الحتمي أن يتم الأخفاق في تحقيق الاشتراكية .ويعلق هوك على ذلك بأنه عكس للأوضاع مثير للسخرية !فيشير هوك إلى أنه طالما أكد إستمان ولسنوات إن ماركس عالم وقد أكد على حتمية الاشتراكية، ومعنى أن تؤمن في الحتميات التاريخية هوأن تستبدل التفكير العلمي بالعقيدة المتيافيزيقية والدينية. فهويتفق مع إستمان حول السمة الميتافيزيقية للاعتقاد في الحتمية التاريخية ولكنه يستنكر أن ماركس آمن بوجهة النظر هذه . فإذا كان من الغموض القول إنه من الحتمية ان تتحقق الاشتراكية، فهل يعد أقل غموضا من ذلك القول" بأنه من الحتمية

أن تخفق وتفشل الاشتراكية في التحقيق؟ ثم يشير هوك إلى وجهة نظره قائلا :"في ظل الاقتصاد المخطط ربما تعد الحرية السياسية صعبة ولكنها ممكنة، وتصبح اكثر صعوبة عندما يصبح الاقتصاد مخطط كلية مقارنة بإذا ما كان أقل تخطيطا، وهكذا يوجد نوعين من الاقتصاد المخطط . وكلاهما كافيين بالنسبة للشيوعية الكاملة، وأفضل مجال مؤسس للديمقراطية إذا كانت هناك إرادة لتحقيق الديمقراطية.[1] ثم يزيد هوك موقفه وضوحا كما يلي:

- ❖ الحرية في ظل المجتمع المخطط كلية صعبة ولكنها ليست مستحيلة وأخطارها الكامنة على الديمقراطية كثيرة، ومن الأفضل كما تقتضي الحكمة نبذ التخطيط الكلي كنموذج للاصلاح الاجتماعي.
- ❖ إن أمور مثل التوظيف الكامل، والاستخدام الكافي للموارد الطبيعية، والمستوى اللائق للمعيشة لكل السكان والتساوي في الفرص والتي تعد المسلمة الأخلاقية للديمقراطية، لهي كلها أمور أكثر صعوبة في التحقيق في ظل نظام المشروع الحر منه في المجتمع المخطط كلية . لقد خلفت العواقب المتلاحقة للأخفاقات الدورية للمشروع الحر خلفت الحاجة والفاقة، وفقدان الأمان النفسي والاجتماعي الذي عرض الحفاظ على الديمقراطية السياسية للخطر أيضا. إن أفضل خيار متاح لنا اليوم هوالاقتصاد المخطط جزئيا، الذي تترك فيه مساحات بأكملها للمشروع الحركي يخططها ويديرها، والذي فيه تختبر كل خطوة نحوتحقيق الاشتراكية بواسطة نتائجها المحتملة على الحياة الديمقراطية للمجتمع .

وهكذا يتجاهل استمان – كما يرى هوك - ولا يأخد في الاعتبار هذا الخيار الثالث. وينتقد هوك الانتقال الفجائي في موقف إستمان فهوالذي كان يؤكد على أن الاقتصاد إما أن يكون مخططا مركزيا تديره يد واحدة، أويكون اقتصادا حرا حيث حرية انتقال السلع والبضائع حرية البيع والشراء، حركة صرف حرة ... الخ . أنتقل من ذلك

[1] See:Sidney Hook, **political power and personal freedom**, P.365 .

إلى القول بإنه ليس ضد الملكية العامة لبعض المشروعات: الطرق مكاتب البريد، المدارس، الحدائق العامة - فلا يحلم أحد بتحول مثل هذه الأنشطة إلى المشروع والسيطرة الخاصة. وينتقد هوك هنا استمان متساءلا: هل لإستمان الحق في وضع حدود وإطار للاشتراكية بأن تقتصر فقط على ما يذكره ؟ فقد كان إستمان يسترشد بفكر هايك كمرشد له وها هوينصرف عنه.[1]

وعودة إلى موقف إستمان الأصلي المتأثر فيها بهايك يتساءل هوك: "هل يمكننا العودة إلى نظام الاقتصاد الحر ؛ ليس إلى النظام المثالي الذي كان دوما خيالا اقتصاديا، وإنما الى الموقف التاريخي للرأسمالية المبكرة قبل أن تبدأ الدولة في التدخل باتساع في العميلة الاقتصادية؟ أعتقد أن مثل هذه العودة ليست مستحيلة نظريا وان كانت تنطوي على العديد من الاستحالات التي لا يمكن تحقيقها عمليا، بل والأكثر صعوبة هوالعودة إلى الحالة الاقتصادية لأيام آدم سميث أوتوماس جيفرسون إذا ما قورنت بتحقيق الديمقراطية في مجتمع مخطط، ومن أحد أسباب ذلك أن الرأسماليين أنفسهم لا يؤمنون في نظام السوق الحر كمنهج يضمن الديمقراطية السياسية أويخدم المجتمع فهم فقط يقبلونه طالما كان قادرا على تمكينهم من تحقيق الربح.

وبالتالي فإن كل صاحب مشروع يقبل المشروع الحر كنظام للأخرين وليس لنفسه إذا كان لديه مبرر للخوف من أنه سيفقد أمواله عبر السوق الحر، أوسيحصل على ربح قليل أوأقل من ذلك الذي سيحصل عليه إذا وحد جهوده مع منافسيه على النفقة العامة . وينتقد هوك المشروع الخاص بأنه عجز وأخفق في استخدام الموارد الطبيعية والبشرية بشكل يحقق الكفاية، فهو نظام مبدد اجتماعيا ونظام يخفق في توظيف التكنولوجيا .ويشير هوك إلى أنه مازال مختلفا مع إستمان حول ذلك ويؤكد أنه يمكن أن يؤسس وجهة نظره على أساس عملي: لقد قال هوك إن العبودية الصناعية ظهرت في المانيا وروسيا بعد ما تدمرت الديمقراطية، ولكن خالف إستمان ذلك بالتأكيد

[1] Ibid, 363.

على أن هذا التعاقب الزمنى لا أهمية له وأن المجتمع المخطط سيدمر بطبيعته الصرفة الديمقراطية . ولكن يذهب هوك إلى أن إستمان أخفق في أن يظهر أن وجهة نظره هذه صحيحة وبشكل ضروري حتى بالنسبة للمجتمع المخطط كلية، فلقد أخفق بالتأكيد في تأسيس وعرض وتطبيق وجهة نظره بالنسبة للنمط المعدل للشمولية الذي اقترحته كأساس اقتصادي للتخطيط الديمقراطي، ذلك النمط الذي أشار هوك الى وجوده الفعلي والذي يستند الى عوامل غير اقتصادية (متميزة ولكنها غير منفصلة عن العوامل الاقتصادية) والتي عليها تقوم إمكانية تحقيق هدا النمط، وكان يرتبط بهذا النمط اوبهذا السياق التأثير الفعال للشكل الحالي للاقتصاد المخطط وقت الحرب ودرجة الديمقراطية السياسية في مقابل الاقتصاد الغير مخطط للحرب العالمية الأولى وإرهابها السياسي والثقافي . ويشير هوك إلى أن استمان لم يعارض هذه الحقيقة، ولم ينكر أن الإدراك والوعي بشرور الماضي تضفي بعض الاختلاف على الحاضر.

يعود هوك إلى الحديث عن عواقب عدم التخطيط فيقول: " يترتب على الاقتصاد غير المخطط، انعدام الأمن والحاجة والجوع تلك الأمور التي تزيد من حدة صراع المصلحة وتصل به إلى نقطة مدمرة محطمة، على الجانب الآخر يستطيع المجتمع المخطط إنتاج بضائع وخدمات كافية لمحوشرور البطالة والفقر. وهذا ما لم ينكره إستمان أن الديمقراطية والتخطيط تسهل حل الأنواع العديدة للصراع الاقتصادي بتوسيعها لمنطقة المصلحة العامة وتوفيرها للآلية التي تحقق التصالح السلمي للصراعات الاقتصادية التي لن تكون شائعة ابدا فاذا كان الناس لا يهتمون كثيرا بالحفاظ على الديمقراطية في اقتصاد الوفرة والفائض فلماذا يتوقع إستمان منهم أن يهتموا كثيرا بالحفاظ عليها في اقتصاد الحاجة والعوز – خاصة في اعترافه بانه لا يعول على الاقتصاد الرأسمالي كضمان الحرية السياسية؟

لقد اشار هوك في خضم حديثه عن كيفية سير المتجتمع الاشتركي المخطط إلى أن هدفه هوتحقيق" الرفاهية العامة "، فذهب إستمان هنا الى أن هوك يغوص في

اليوتوبية فالرخاء العام والمصلحة العامة والخير العام كما يذهب استمان هي مجردات خاوية المعنى، وقد ذهب هايك العظيم – على حد تعبير هوك – إلى أن هذه المصطلحات ليس لها معنى محدد بشكل كافي لتحديد سياق معين من العمل والفعل." فهم يخدمون فقط في إخفاء نقص وجود اتفاق حول غايات محددة."[1]

ويعقب هوك بأن هذا أمر غريب بالمرة، فإذا كانت مصطلحات مثل الرفاهية الاجتماعية والصالح العام ليس لها معنى محدد، فما الذي كان يقصده ويعنيه ماكس استمان من عبارته التي اقترح فيها أنه بدلا من جعل الاقتصاد اشتراكيا كلية اوجزئيا ينبغي أن نزيد " طاقاتنا العقلية " عند أي فحص لأي اقتراح للتوجه نحوالاشتركية، وذلك كي نكون واثقين من سيحقق المصلحة العامة وسيجعل الاقتصاد الخاص يعمل بشكل أفضل وسيحميه من الاحتكارات.

وهكذا يدحض هوك رأي إستمان بالاسترشاد بكلمات قالها ماكس إستمان نفسه وذكر فيها المصطلح الذي عاب استمان على هوك استعماله ويفسر هوك ذلك بأن إستمان عندما ذكر ذلك كان قد رجع إلى أرائه هوبعيدا عن تأثير هايك . ويشير هوك إلى أن هذه المصطلحات على الرغم من أنه يشار اليها احيانا على أنها ليست لها معنى محدد، أوأنها تستخدم كرموز صعبة التعريف، لكنها يمكن أن تشير إلى معنى محدد . والحقيقة أوالصواب يكمن – كما يرى هوك – في أنه " لايمكن لأحد يقترح للمجتمع أي اقتراح معقول أومقبول يمكن أن يتجنب مصطلحات مثل" الرخاء العام"، أو"المصالح العامة"، أوما يماثلهم من مصطلحات، وإذا كان إستمان ذكر أن هوك بذكره هذه المصطلحات ابتعد عن ماركس، فإن هوك يشير هنا إلى أن إستمان مخطئ .فقد اعتمدت قوة إعلان ماركس لانتهاء شرور الرأسمالية على افتراضه بأن الاشتراكية هي شكل أفضل للتنظيم من اجل تحقيق المصالح العامة للمجتمع وحقا حمل ماركس

[1] See: Sidney Hook, **political power and personal freedom**,pp. 368-371

ذكر الصالح العامة بعيدا، حيث انه في المجتمع اللاطبقي كما افترض لن يكون هناك صراعات للمصالح، فالدولة ستفقد وظائفها القمعية وتصبح مجرد آلية ادارية لتحقيق الرخاء العام.

وينتصر هوك للاشتراكية الديمقراطية أو الديمقراطية الاشتراكية والتي أرسى بها منهجًا جمع فيه بين كل من برجماتية ديوي واشتراكية ماركس وتوجهه نفسه الديمقراطية، والواقع أن النظم الأقرب إلى الاعتدال حقا هوالنظام الديمقراطي الاشتراكي الذي لا يحول فيه الاقتصاد المخطط دون حماية الحقوق والحريات بل يحافظ عليهما بما يكفله من عدالة توزيع وفرص متكافئة للجميع فضلا عن كبح جماح الرأسمالية الطاغية وتهذيبها. وسيصبح النظام الاشتراكي خطرًا عندما تغفل مراكز القوى المتعددة عن أدوارها وتترك كل زمام الأمور تحت سيطرة الدولة؛ أي عندما تتكاسل النقابات والاتحادات العمالية والإعلام ووسائله عن القيام بأدوارهم المنوط إليهم القيام بها ناهيك عن عدم الفصل بين السلطات الثلاثة من تشريعية وتنفيذية وقضائية، إذا تملك الاشتراكية الديمقراطية بداخلها عوامل نجاحها، كما تمتلك في الوقت نفسه عوامل اخفاقها!

الفصل الرابع
مفهوم الأخلاق العلمانية عند سيدني هوك

"من الأفضل أن تبقى ثعلبًا على قيد الحياة من أن تموت أسدًا... نعم صحيح بالنسبة للثعالب وليس الرجال؛ فالرجال الذين يملكون الشجاعة الأخلاقية للحرب بذكاء من أجل الحرية لديهم أفضل المقومات لتجنب مصير كل من الثعالب التي على قيد الحياة والأسود الميتة، إن البقاء المحض ليس هو المرادف لحياة كريمة للإنسان. إن أسوأ ما نعرفه عن شخص ما في وقت من الأوقات إنه ما زال على قيد الحياة، إن هؤلاء الذين يقولون إن الحياة قيمة بأي ثمن قد كتبوا بالفعل على أضرحتهم شعار الخزي والعار فلن تتواجد قيمة ولا شخص لا يمكنهم أن يخونوه ويخدعوه من أجل الحفاظ على بقائهم، إن استخدام فنون الذكاء من أجل_الحرية الإنسانية هي الرسالة التي يجب أن يحملها الإنسان على عاتقه مدى حياته."[1]

سيدني هوك

[1] Milton Konvitz, **Sidney Hook: Philosopher of the Moral – Critical Intelligence**,(in) Paul Kurtz (editor), **Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism** (New York: Prometheus Books, 1989). P. 5.

الفصل الرابع

*مفهوم الأخلاق العلمانية عند سيدني هوك

كما دافع سيدني هوك عن الفلسفة الماركسية وحمل لواء الاشتراكية الديمقراطية فإنه حمل أيضا على عاتقه مهمة الدفاع عن الإنسانية *العلمانية* ***Secular Humanism*** عن ذلك يقول بول كارتز –أحد رواد الإنسانية العلمانية في الولايات المتحدة: " مما لا شك فيه يعد سيدني هوك أكبر الفلاسفة العلمانيين الإنسانيين البارزين في أمريكا اليوم، وهومن أهم الذين حملوا لواء الدفاع عن الإنسانية العلمانية ضد مهاجميها ولا سيما هؤلاء الأصوليون المتدينون."[1]

أولًا: تحديد المفاهيم

يتكون مصطلح الإنسانية العلمانية من لفظين هما: الإنسانية Humanism، والعلمانية Secularism وفيما يأتي تعريف لكل منهما:

1- مفهوم الإنسانية

في تعريف هوك للإنسانية مزج بينها وبين ما أطلق عليه الأخلاق الذاتية فيعرفها بأنها: " هي تلك الرؤية التي تؤكد أن الأخلاق ذاتية ومنفصلة ومستقلة عن الاعتقاد الديني"[2] والإنساني الأخلاقي هوذلك الفرد الذي يعتمد على فنون الذكاء لكي يدافع ويعظم ويعلي من مساحات الحرية الإنسانية في العالم، ربما يختلف الإنسانيون

---

* تعترض الباحثة مسبقا على كل ما يتعارض في هذا الفصل ومقام الألوهية وما له من تنزيه مطلق، وما للرسالات السماوية من سمو وعصمة.

[1] Paul Kurtz (editor), **Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism**, P. 157.

[2] Ibid, p. 158.

الأخلاقيون عن بعضهم البعض، بيد أنهم يحترمون هؤلاء الذين يختلفون معهم فهم ليسوا متعصبين لقيم محددة. لقد عرفوا أن الخير يتصارع مع الخير والحق يتصارع مع الحق وفي بعض الوقت يتصارع الخير مع الحق . وفي وسط تلك الصراعات يتمسكون بالقيمة الوحيدة التي تحكم الموقف ... إنها الذكاء الإنساني. "[1]

ويظهر من هذا التعريف كيف أن هوك يُعلي من قيمة العقل وقيمة الذكاء الإنساني. وتتضح نزعته البرجماتية في الحكم في المواقف المختلفة بتحكيم الذكاء. ويبدوهنا من إعلائه من قيمة العقل والذكاء الإنساني كأنه يقول إن الإنسان ليس بحاجة إلى أكثر من ذلك أوإلى ما هوأعلى من ذلك لكي يشق طريقه في الحياة. ويتضح أيضا كيف أنه أكد أن الأخلاق مستقلة عن أي مصدر ديني. ويبدوهنا تأثر هوك بماركس الذي كان يُعلي من شأن الإنسان وقدراته[2]؛ فيرى هوك أن ماركس كان لديه اعتقاد جارف بسمومكانة الإنسان، ويتمثل ذلك في نضال المرء لقهر قدره وعدم خضوعه لمعتقدات الكنيسة وطغيان الدولة، والعمل الغشوم للمؤسسات والقوانين الاقتصادية، أوقرارات الأحزاب السياسية.

لقد نظر هوك إذن إلى الأخلاق على إنها ذاتية، وليست بحاجة إلى أي مصادر تتعالى عن الطبيعة كيُ تشتَق منها فيقول: " لقد أكدت أن الأخلاق morality هي بالأساس اجتماعية. وكل فعل يتصل بدائرة الارتباط الإنساني الذي يشكل الثقافة –في ظل عمليات متواصلة من الأفعال وردود الأفعال الواعية في الزمان التي تشكل التاريخ الإنساني– وكيف وخصال أي فعل أخلاقي – إلزاما كان أوواجبا – يعتمد فيما يعتمد عليه على أثاره على المجتمع الذي ترعرعنا فيه."[3]

---

[1] Ibid, p. 163

[2] سيدني هوك ، **ماركس والماركسيون** ، ص. 25 .

[3] Sidney Hook: **Paradoxes of Freedom**, p. 16

ويشير كارتز إلى أن أهم ما يميز الأخلاق الإنسانية إنها ترتكز على تطور الإرادة الفردية الواثقة بالنفس لقبول مسئولية مصيرها ومقدرة وقوة حريتها واستقلالها.[1]

تتواجد عدة تعريفات للإنسانية وتتفق مع ما ذهب إليه هوك فتعرفها جوليا ميتشل Julia Mitchell بأنها "تمجيد ووعد ؛ تمجيد لهيبة وعظمة العقل الإنساني، ووعد بإيجاد نوع مُرضي من الحياة جدير بالاهتمام.2 ويعرفها روبرت اينجرسو Robert Ingerso على إنها ثالوث العلم "العقل والتجربة والملاحظة"؛ فالإنسانية هي فلسفة عقلية شكّلها العلم، وبث الفن فيها الروح وحركتها العاطفة. وتؤكد الإنسانية على كرامة الكائن الإنساني وتعظّم من الحرية الفردية المتلازمة مع المسئولية الاجتماعية. 3 وتدعم زيادة قدر الديمقراطية التي تفعّل مشاركة الجميع، وزيادة اتساع المجتمع المفتوح المدافع عن الحقوق الإنسانية والعدالة الاجتماعية، وهي تتحرر من كل ما يعلوالطبيعة، وترى الكائنات البشرية جزءاً من الطبيعة، وتؤمن بأن للقيم منبعها من الخبرة والثقافة الإنسانية . وهكذا تستخلص الإنسانية أهداف الحياة من احتياج ورغبة الإنسان أكثر من أن تشتقها من مجردات أيديولوجية، أولاهوتية، وتؤكد أن الإنسان عليه وحده أن يتحمل مصيره.

ومن أفضل ما ذُكر عن الإنسانية– على حد تعبير جون أيه سميث John . E . Smith –، ما جاء في كتاب الإنسانية الطبيعية *Naturalistic Humanism* :–

---

[1] Paul Kurtz. (editor), **Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism** p. 167.

[2] Julia Mitchell Corbett, **Religion In America**, (New Jersy: Prentice Hall Inc, 2000) pp. 120,121.

[3] Ibid, p.121.

أولًا : تؤمن الإنسانية في الكونية الطبيعية naturalistic cosmology، في الاتجاه نحوالكون الذي يستبعد كل الأشكال التي تعلوالطبيعة، على اعتبار أن الطبيعة هي كل الوجود وخلاصته .[1]

ويعلق سميث Smith على التعريف الأول بأنه جاء على نحوسلبي فيعرف الإنسانية باعتبارها " نقيض لكل ما هومتعالي عن الطبيعة ."

ثانيًا: تستند الإنسانية على الحقائق التي يبرهنها العلم، وعلى الاعتقاد بأن الإنسان هوالمُنتَج الثوري لهذه الطبيعة العظيمة الذي يعد جزءا منها وإنه وحدّة غير منفصلة عن الجسد والشخصية، وليس له بقاء فردي أوخلود بعد الموت."

ويأتي هذا التعريف –كما يرى سميث– على نحوسلبي هوالآخر حيث يعرف الإنسانية بأنها ضد الخلود أوالبقاء.

ثالثًا : تعتقد الإنسانية بأن التفكير الإنساني هوأمر طبيعي محض كالكلام أوالتنفس، فهويتصل على نحوغير متجزء بوظائف المخ . وهذه الأفكار، بعيدا عن تواجدها مستقلة على نحومنفصل، تظهر ويكون لها وجود حقيقي عندما تتداخل في عملية عضوية معقدة مع بيئتها ونشاطها العقلي.

رابعا : تؤمن الإنسانية بأن البشر لديهم من القوى والاستعداد ما يمكنهم من حل أية مشاكل في طريق نجاحهم، استنادا وبشكل جوهري إلى العقل والمنهج العلمي.

وهكذا يفترض هذا التعريف الإيمان الأساسي للمذهب الإنساني بقدرة العلم والفلسفة على حل المشكلات التي تواجهها الكائنات البشرية في العالم.

خامسًا: تؤمن الإنسانية، على عكس أي شكل من أشكال الحتمية أوالقدرية، بأن الكائنات البشرية لديها حرية حقيقية على الخلق الإبداعي في إطار حدود معقولة، وأنهم هم سادة وموجهي مصائرهم .

---

[1] John E. Smith, **Quasi – Religions (Humanism, Marxism and Nationalism**) (London : The Macmillan Press Ltd, 1994) .p.16.

سادسًا : تؤمن الإنسانية في الأخلاق التي هي أساس كل القيم الإنسانية في هذه الحياة، وتعلن عن ولائها للحرية وللسعادة وللتقدم الاقتصادي، والثقافي، والأخلاقي، لكل البشر بغض الطرف عن الوطن أوالجنس أوالدين[1].

فتؤكد الإنسانية إذا أن الأخلاق ليست بحاجة إلى دين أوأساس ديني لتبني منحى خُلقي في الحياة.

سابعًا : تؤمن الإنسانية بالإمكانية الواسعة الهائلة في تطور وتقدم الفن والوعي بالجمال، ولذلك قد تنظر إلى التجربة الجمالية كحقيقة مسيطرة وهامة في حياة الإنسان.

ثامنًا : تؤمن الإنسانية بمنهج يكون من شأنه تأسيس عالم تملؤه الديمقراطية ويعمه السلام على أساس نظام متعاون ومتقدم.[2]

2-مفهوم العلمانية

لما كانت الإنسانية ترفض كل ما هومتعالي عن الطبيعة وكل مصدر علوي للأخلاق فإنها بذلك قد انفصلت تماما عن الأديان وهذا ما أكده اتباعها وذلك بإقرانهم لفظة الإنسانية بلفظة العلمانية في مصطلح واحد. ونظرا لآن مؤلفات سيدني هوك – التي تيسر الإطلاع عليها– لم تحتوعلى تعريف واضح للعلمانية ففيما يلي عدد من التعريفات:

يرى مراد وهبه أن أصل مصطلح "العلمانية" secularism واحد في اللغة العربية، كما في اللغة الأجنبية فيقول: "ففي ظل اللغة العربية لفظ "علمانية" مشتق من "علم" (بفتح العين وسكون اللام) أي العالم وفي اللغة الأجنبية مشتق من اللفظ اللاتيني saeculum أي العالم . والفارق بين اللفظيين اللاتينيين أن لفظ saeculum ينطوي على الزمان، أما لفظ mundus فينطوي على المكان وهولهذا يعني باللاتينية لفظ cosmos أي الكون أوالجمال والنظام. فلفظ saeculum يعني إذن أن العالم متزمن

[1] John E. Smith, **Quasi-Religion**. Pp. 15-17.
[2] Ibid. p. 18.

بالزمان، أي أن له تاريخا، ولفظ mundus فهويعني أن التغير حادث في العالم، وليس حادثا للعالم. وبالتالي فالعالم ثابت وليس له تاريخ، وبهذا المعنى فإن لفظ saeculum ترجمة للفظ اليوناني oeon ومعناها العصر أوالفترة الزمنية.... وفي العصر الوسيط ... أصبح لفظ علماني محصورا في معنى ضيق، إذا أطلق على الكاهن الديني الذي يتحمل مسؤولية إدارة ايبارشية، ... ثم اتسع استخدام اللفظ عندما استقل الإمبراطور عن بابا روما وتجسد الانفصال بين ما هوروحاني وما هوعلماني في مؤسسات وانتقلت بعض المسؤوليات من السلطة الكنسية إلى السلطة السياسية. وسمى هذا الانتقال بالعلمانية."[1]

ولم يقف الفكر العلماني عند حد الثورة العلمية التي أحدثها كوبرنيكس عام 1543، عندما أصدر كتابه "في الحركات السماوية" والذي لم يعد فيه الإنسان مركز الكون، ولم يعد الكون يدور على الإنسان، وإنحاز إلى آراء كوبرنيكس جاليليو في كتابه: " حول أهم يقين في العالم" عام 1632، وكانا بذلك يخالفان الفكر التقليدي الذي تدعمه الكنيسة ويقول بمركزية الأرض، لم يقف الفكر العلماني إذن عند حد الثورة العلمية هذه بل تجاوزه ليشمل الثورة الدينية التي سميت بـ"الإصلاح الديني".[2] والذي يعني "الفحص الحر للإنجيل"، أي تأويل النص الديني من غير معونة من سلطة دينية، ولوثر هورائد هذا الاتجاه.

وقد انعكس تأثير العلمانية على اللاهوت المسيحي، فإذا بأواخر الخمسينات من القرن العشرين تبزغ حركة لاهوتية جديدة تسمى بـ "اللاهوت العلماني" ومن روادها توماس اليتزر ووليم هاملتون.... وبزوغ هذا اللاهوت العلماني مردود إلى سببين: إلى الثورة العلمية والتكنولوجية، وإلى رفض تقبل أي عناصر خفية في الوجود الإنساني

---

[1] مراد وهبه ، **ملاك الحقيقة المطلقة** (القاهرة: دار القباء، 1994). ص . ص . 23 ، 24 .

[2] نفس المصدر السابق ، ص. 25

على النحو الذي تتقبله المسيحية التقليدية. وفي عام 1966 نشر توماس اليتزر مع وليم هاملتون كتابًا بعنوان اللاهوت الراديكالي وموت "الله" وعنوان الكتاب قد يوحي كما يذهب مراد وهبه، بأن الله قد مات فعلا، ولكن المقصود هوأن الله قد مات في زماننا، وفي تاريخنا، وفي وجودنا، وفي رأيهما أن هذا هوما تصوره نيتشه* في القرن التاسع عشر عندما أعلن في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" أن الله قد مات. بيد أن التيزر قد ذهب إلى أبعد من ذلك فتصور أن المفهوم التقليدي عن الله من حيث أنه منفصل عن الكون هو مفهوم مؤقت، وأنه مجرد إسقاط للاغتراب الذي يعاني منه الإنسان وقد آن الأوان لتجاوز هذا الاغتراب. أما هاملتون فيرى أن موت الله ليس حدثا لحظيا، وإنما هوحادث تاريخي ثقافي حدث في أوروبا وأمريكا في القرنين الأخيرين . وكبديل عن هذا الموت يوصي هاملتون بقول "العالم العلماني" على أنه خير من الوجهة العقلية والأخلاقية فيدعوإلى إصلاح الفكر وتطهيره من الصيغ المسيحية التقليدية، والإصلاح ممكن مع نضج الإنسان، إذ عندئذ لن يطلب من الله شيئا يمكن للعالم أن يحققه." وهناك تعريف آخر للعلمانية حيث يعرفها كوكس في كتابه: "جدل حول المدينة العلمانية" 1966 بأنها تعني:" انتقال المسئولية من السلطة الكنسية إلى السلطة السياسية، ثم هي عملية تاريخية يتحرر فيها المجتمع من القبضة الدينية والرؤية الميتافيزيقية."

---

* فريدريك نيتشه ولد في ساكسوني في 15 من مايوعام 1844 في ألمانيا . وتوفي عام 1900: التحق بجامعة "بون" ثم التحق بجامعة "ليبزج" وتأثر بفلسفة شوبنهور وعين في عام 1869 وهوفي الرابعة والعشرين من عمره أستاذا للفلسفة الكلاسيكية في جامعية باسيل Basel وتألق في منصبه الأكاديمي عندما أصدر مؤلفه :" The Birth of Tragedy out of the spirit of Music. ومن مؤلفاته أيضا: Untimely Meditations ، و Human , All Too Human. أنظر: David Owen, Nietzsche, Politics & Modernity London: SAGE Publications Ltd, 1995)p. 8.

ويذهب عالم الاجتماع بيتر برجر إلى أن الدولة الصناعية الحديثة قد أحدثت تغييرات دينية في المجتمعات غير الغربية، وإنها قد أسهمت في نشر العلمانية، أما عالم الاجتماع الإنجليزي "بريان ولسن" فيرى أن انهيار السلطة التقليدية والمعتقدات الدينية مردود إلى الهيمنة الاستعمارية ."

ويخلص المؤلف إلى ثلاث سمات يمكن وضعها للعلمانية:

1) نفي القداسة أي استبعادها من تحديد العالم الاجتماعي.
2) انفصال المؤسسات الدينية عن المؤسسات العلمانية.
3) وتحول المعرفة الدينية إلى المجال العلماني.[1]

وتأكيدا على عدم اتصال الإنسانية العلمانية بأية دين من الأديان، وبأن الأخلاق ليست بحاجة إلى أي أساس ديني ؛ يذهب آيه سميث *E. Smith* إلى القول إنه يمكن فهم الإنسانية:" كإنسانية علمية، أوكإنسانية مادية أوكإنسانية ديمقراطية، اعتمادا على ما سيؤكد عليه الإنسان ويرغبه، وبغض النظر عن أي اسم سيطلق عليها فالإنسانية هي وجهة النظر القائلة بأن الإنسان ليس لديه إلا حياة واحدة يحياها ومن هنا ينبغي عليه صنعها عبر العمل الخلاق وتحقيق السعادة وهذه السعادة الإنسانية هي تبريرها الأساسي ولا تتطلب أية عقوبة أوثواب من قبل أي مصادر علوانية؛ لأنه وعلى أية حال فإن ما هو علواني والذي يفهم عادة على شكل آلهة الفردوس الأبدي، لا وجود له."[2]

وترى جوليا ميتشيل أن الإنسانية " تحاول ... تعديل الدين ... والتخلص من المؤسسات الدينية والتحرر من الأساطير والعقائد والصلوات والطقوس المرتبطة باعتقادات علوية متعالية."3 .والإنسانية كذلك – من وجهة نظر البعض – هي فلسفة

---

[1] نفس المصدر السابق ، ص. ص 25 – 28.

[2] Lamont: **Naturalistic Humanism** (in) E. Smith.,**Quasi Religions**, p. 22.

[3] Julia Mitchel, **Religion in America**, p. 123.

أورؤية للحياة تقوم على المذهب الطبيعي naturalism حيث الاعتقاد بأن الكون أوالطبيعة هي فقط ما له وجود أوحقيقة. وتتعلق الإنسانية بالنسبة لمعظم الإنسانيين، بالوظائف النفسية والاجتماعية للدين، ولكن بدون الاعتقاد في آلهة أومخلوقات علوية أومعجزات أوحياة بعد الموت، أو ما هو فوق الطبيعة."[1] ويضيف جون أيه سميث :"تنص القضية الأساسية في الإنسانية على أن الطبيعة ذاتها تتشكل من الإجمالي الكلي للحقيقة، فليس هناك ما هوورائها لا الله ولا الخلود."[2]

ويبدوأن كارتز كان ينأى بالإنسانية العلمانية عن الجدل إذا ما كانت "الإنسانية العلمانية" في حد ذاتها دين أم إنها إلحادية فقد ذهب من قبل إلى أنها تعبير عن مثل إنسانية عالمية . وفصلها عن الدين، ويرى أنه من الباطل ما يذهب إليه النقاد المتدينون من أن الإنسانية العلمانية تعبر عن الإلحاد atheistic. ولا يتهم هذا الإدعاء بأنه باطل فقط بل وإنما لا أخلاقي أيضا، فهم على حد تعبيره يعزون كل العيوب الأخلاقية للحياة المعاصرة إلى الإنسانية العلمانية."[3]

ثانيًا: مظاهر الإنسانية العلمانية

أراد سيدني هوك أن يميز الإنسانية العلمانية التي يدعوإليها عما سواها من مذاهب إنسانية أوعلمانية ولا سيما العديد من المذاهب التي شاعت في القرن العشرين وأنكرت الأديان، فيصف كارتز الإيديولوجيات العلمانية ظهرت في القرن العشرين بأنها فظة ؛ فالفاشية حركة علمانية لكنها ضد كل ما هوإنساني. فليس للفاشية فلسفة معروفة بوضوح وقد ولّدت صراعات وكراهيات قومية وعرقية واسعة. أما الماركسية فإنها علمانية وإنسانية . وهي تهتم بقيم عالمية وعدالة اجتماعية ولكنها تقوم على

---

[1] Ibid, p. 121.

[2] John E . Smith, **Quasi-Religion** , Ibid 18, 22

[3] Paul Kurtz, Paul Kurtz. (editor), **Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism** p. 158.

الصراع الطبقي وأُعدت لتبني وسائل ثورية لتحقيق خيال يوتوبي. هذا وربما يعد تطور ونمو الإيديولوجيات الماركسية أكثر حدث عقلي مأساوي (درامي) في القرن العشرين؛ ولكنها ما زالت بدون حل سواء تغلبت الماركسية على أيديولوجية الدولة المتغطرسة المفروضة من أعلى أوطورت الحرية والديمقراطية. اليوم تتنافس العديد من الإنسانيات والعلمانيات مع الدين التقليدي، أما النوع الوحيد الذي تم الدفاع عنه من قبل هوك وكارتز فهو الإنسانية العلمانية الديمقراطية، تلك الإنسانية التي تشجع القيم المتعددة وأفكار الحرية.[1]

تتواجد عدة عوامل مساعدة لتعضيد موقف الإنسانية العلمانية، كما يرى هوك، ويشير إلى ذلك كارتز، مثل: **أولا:** هناك انحراف واضح عن بعض أشكال المعتقدات الدينية "التقليدية"، أما عن مدى ذيوعها والثقة فيها فهذا أمر مفتوح للجدل والمناقشة. **ثانيا:** قد أدى التقدم العلمي والتكنولوجي إلى تغير شكل الكرة الأرضية، فارتفعت مستويات المعيشة فتحسنت الصحة وزادت معدلات طول العمر، لقد اقتلعت الأشكال الجديدة للاتصالات وسهولة الانتقال، اقتلعت الكائنات البشرية من محلياتهم التقليدية ووسعت أفاقهم، **ثالثا:** يتواجد تقدم هائل في الأدب والتعليم وفي الفرص الثقافية. **رابعا:** لقد وسعت الحركات السياسية الليبرالية والراديكالية نطاق الحرية والمساواة والعدالة للجميع، وحقق مصطلح حقوق الإنسان تفوقا في كل مكان من العالم. **خامسا:** لقد تعالت الثقافة العالمية، وتجاوزت القومية، بما يتضمنه ذلك من أبعاد علمية وأخلاقية وثقافية واقتصادية.[2] فيقرن كارتز بين الإنسانية العلمانية وبين التقدم التكنولوجي وسيادة القيم الليبرالية كعوامل تعضد المذهب الإنساني العلماني وتميزه عن غيره من المذاهب

---

[1] Ibid, p. 159.

[2] Paul Kurtz (ed.,) **Sidney Hook: Philosopher of Democracy and Humanism**, p.159.

الأخرى فضلا عن الإشارة، ولوضمنيا، إلى حتميته وكأن لا بديل عنه في ظل كافة المتغيرات الحديثة المقترنة بظهوره.

وللإنسانية العلمانية كما يراها هوك دلائل ومظاهر ترتبط بها وهي:

(1) دلائل المستقبل

لقد تأثرت العلمانية الإنسانية الحديثة كثيرا بتقدم العلم، وتؤمن وجهة النظر الطبيعية للكون بأن الطبيعة قابلة للتعقل بواسطة عقل الإنسان وقابلة للتفسير من خلال مصطلحات القوانين السببية . لقد تطور النوع الإنساني بعمليات طبيعية ليست منفصلة أومتميزة عنهم. وتبتعد الإنسانية العلمانية أشد ما يكون الابتعاد عن أي مجهود لتقسيم الطبيعة إلى مملكتين اثنتين أوأن تقرأ في الخوارق المفارقة للطبيعة أوما هوخفي مستتر، فعلى أقل القليل سوف تعلق الحكم حتى ذلك الوقت الذي يمكن فيه التحقق وفحص بكل مسئولية دليل الادعاءات التي حول ما هو متعالي، إن الوصول إلي استشراقات يقينية كأساس للحقيقة الدينية لهوأمر مشكوك فيه بدرجة كبيرة.

(2) منهج البحث

ترتبط الإنسانية العلمانية بالمنهج العلمي للبحث، حيث تنتقى فيه الفروض بإحكام وتختبرها تجريبيا بشكل مباشر أوغير مباشر. إن المنهج العلمي ليس غامضا أوواضحا فقط أمام جماعة الخبراء المحددة العدد ... بل بالأحرى فإنه متواصل مع الإدراك العام العادي والذكاء النقدي."[1]

وفي حديثه عن أهمية إخضاع كل الأفكار للمنهج العلمي أشار هوك إلى أهمية الأفكار وأهمية ما لدى المرء من اعتقادات وهويقول في هذا الصدد:" لأن الكائنات البشرية حيوانات غريبة الطباع فهي عندما تحارب من أجل البقاء، فهي تحارب أفضل عندما

[1] Ibid, 160.

تعرف لماذا، أوتعتقد إنها تعرف لماذا تحارب. وهذه هي شهادة التاريخ فلم تتواجد أبدا حركة جماهيرية استطاعت تغيير سياق الأحداث بشكل متميز لم يكن أعضاءها الأفراد متأثرين باعتقاد ما."[1] فمن الصعب، حقا، أن تجد رجلا يحارب بإرادته من أجل البقاء فقط. فالإنسان الذي يحارب عن إيمان بما يفعله يحارب وهوفي يقينه على علم بأنه قد يموت وقد يحيا. وإلا لماذا يخاطر بحياته في مثل هذا الصراع؟! وحتى الرجل المحارب، لا يمكن أن يكون غير مبالٍ بلماذا يحارب الناس وكيف يفكرون. وأبرز الشخصيات العسكرية مثل نابليون ذهب إلى القول:" يفوز بالحروب هؤلاء الذين يفكرون بوضوح وهدوء ويتصرفون بقوة وعزم وتصميم." ويقول كذلك:" ليست هناك حكمة في القول يجب على الرجال أن يتصرفوا. فهم دوما ما يتصرفون. ولكن المهم هنا هو*ماذا* سيتصرفون و*كيف*؟ وبالمثل يعتبر التفكير في المعنى الواسع للكلمة هوالعملية التي تصاحب الفعل الواعي ولا يمكن توقيفها بالأمر. وهنا أيضا لا يكون السؤال بإذا لم نكن أوكما كنا سنفكر وإنما *ماذا* سنفكر و*كيف*؟ بوضوح أم بشكل خفي؟، بتصورات أم بأفكار، لا نرسم نتائجنا من الخوف والأماني وإنما من الدليل والحجة. إن التفكير هوأداة من أدوات البقاء. وهوأيضا الجزء المكمل لشكل متعة التبرير الذاتي self justification enjoyment – التي نطلق عليها الفهم. واختبار الفهم هودائما التحكم."[2]

ويعوّل هوك على طرق الاعتقاد أكثر مما يعوله على الاعتقاد ذاته، ويشبه الأفكار بأنها أسلحة وذلك لأهميتها، ولكنه يفرض مرة أخرى التساؤل بـ ماذا سنعتقد ؟ ثم يصل إلى بيت القصيد عندما يقول: ما هوالمنهج الذي سنتبعه لتنمية معتقدات جديدة واختبار المعتقدات القديمة؟ فهويرى أنه تتصاعد دوما مواقف غير مألوفة؛

---

[1] Sidney Hook, **Reason, Myths, and Social Democracy**, p. 3.

[2] Sidney Hook, **Reason, Myths, and Democracy**, p. 4.

فالمعتقدات العزيزة للغد ربما تدحض اليوم فكل شئ أصبح تابعا للتساؤل " ما هوالمنهج الذي سنتبعه؟" ثم يضيف: " فمن الواضح مهما كان الاعتقاد الذي توصلنا إلى أنه صحيح، فإن دليل صحته هذا يعتمد في جزء، على الأقل، على المنهج الذي اعتمدنا عليه للوصول إلى ذلك."[1] وفي هذا الصدد يقول ميلتون كونفيتز:" كان اعتقاده هوأن هناك منهجا واحدا يمكن الاعتماد عليه من أجل الوصول إلى حقيقية طبيعة الأشياء في أي مكان وفي كل وقت."[2] ويضيف كونفيتز Konvitz قائلا: "لقد آمن سيدني هوك بأهمية المنهج العلمي ورأى إمكان تطبيقه على كل ما يتعلق بالإنسان ."[3]

وإزاء إيمانه بالمنهج العلمي هاجم هوك من يذهبون إلى إنهم لديهم ما هوبديل عن المنهج العلمي يمكن الاعتماد عليه ويمكن أن يعطينا معرفة أكمل من تلك التي يمكن أن يأتي بها العلم بصدد الأشياء، وخاصة سلوك الإنسان وتاريخ المجتمع ومن هؤلاء من وصفهم هوك بالمتدينين من أمثال رينولد نيبور Renhold Niebuhr في كتابه "الطبيعة ومصير الإنسان" The Nature and Destiny of Man حيث يقول: "إن العلم كعلم فقط لا يمكن أن يكون علما دقيقا."[4]

ورد هوك على هؤلاء مدافعا عن المنهج العلمي مما حاول منتقديه إلصاقه به مؤكدا بأنه ليس صحيحًا أن المنهج العلمي، أوفلسفة الطبيعيات، التي تؤمن بيقين تام بالمنهج العلمي على أنه المنهج الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه من أجل الوصول إلى حقائق عن الإنسان والمجتمع والطبيعة، يحدد مسبقا على نحو تعسفي ما يمكن أو ما لا يمكن أن يكون، فالمنهج العلمي يضطلع بمسئولية التأكيد على وجود ما له وجود،

---

[1] Ibid, p.7.

[2] Milton Konvitz, : **Sidney Hook: Philosopher of the Moral – Critical Intelligence** p. 7.

[3] Ibid, p. 8.

[4] Sidney Hook, **The Quest for Being**, p.77.

فهولا يفرض وجود شئ ما بعينه فلا يمنع أويحرم ولكن يستكشف ويختبر، والمنهج العلمي لا يسخر أويهزأ من الإلهامات الصماء الغامضة ولكنه فقط ينكر الادعاءات التي لا أدلة لها سوى أن من يدعونها في سبات عميق . وهولا يشكل أسس أولية لوجود قوى أوكيانات تعلوعلى الطبيعة. وهكذا أنكر أتباع المذهب الطبيعي وجود إله، أوالخلود أووجود أرواح هلامية أو... تلك الأمور التي عبرت عنها الديانات الكبرى، وأنكرها الطبيعيون لنفس الأسباب الوجيهة التي أنكروا بها وجود الجن والهوام والشياطين."[1]

فينكر هوك الاعتراف بما يتجاوز حدود العقل البشري وما لا يخضع للمنهج العلمي بما يتطلبه من ملاحظة وجمع ومعلومات واختبار وتحقق من نتائج. وهوهنا يتناسي أن هناك أمورا تستعصي على الإدراك المباشر؛ أن يولد الإنسان في لحظة ما ثم يموت في لحظة ما دون إرادة منه أوترتيب مسبق هي أمور تستعصي على التفسير وتتجاوز حدود البحث العلمي لأنها ببساطة ترتبط بقدر يتعالى على مادية هذا الوجود من لدن خبير عليم، أنكر هوك وجوده برفضه المسبق أن ينقسم العالم إلى مادي وروحي.

ومن منطلق إيمانه بالمنهج العلمي ربط هوك بينه وبين الديمقراطية، وفي المقابل أشار إلى أن أي فكر شمولي أوديني لا يمكن أن ينطوي على أي أسلوب علمي فيقول: " ليس هناك أي مكان للمدخل العلمي بخياراته المتعددة النقدية، في الثقافة الشمولية أوالدينية."[2] ويقول كذلك:" هناك طرق متعددة للتفكير، تتعارض في الواقع مع طرق التفكير العلمي، وتتظاهر إنها تنفذ المنهج العملي بكل حذافيره[3]؛ ويتخذ من إعلان الديمقراطية من قبل من وصفهم بأنهم جماعات شمولية مثالا، بالمثل من يدعي اتباع المنهج العلمي ولا يتبنى أسلوبه.

---

[1] Ibid, p. 78

[2] Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy**, p. 9.

[3] Ibid, pp. 10,11.

وقد كان هوك على اقتناع بأن المذهب الطبيعي كفلسفة كافيا لإشباع كل الاحتياجات الأساسية، وأن المذهب الطبيعي يهتم بحاجة الإنسان وبأن يتحقق الإنصاف بين المظلومين، فالمذهب الطبيعي الذكي – كما يقول هوك– سيراعي، بالإضافة إلى مراعاته للمعاناة التي تنتج من عدم المساواة الاجتماعية والظلم، سيراعي أن هناك العديد من تجارب الإحباط والحسرة والضياع التي ليس بمقدور الإنسان الفرار منها : "ففي أفضل المجتمعات يمكن التغلب على الموت ولكن لا يمكن قهر المأساة".[1] فلن يهتم المذهب الطبيعي فحسب بالقضاء على الفقر وإنما برعاية الإنسان نفسه معولا هنا على المعرفة العلمية التي تزيد وترفع من الطاقة والقوة الإنسانية

وبتطلب المنهج العلمي كما يؤكد هوك بعض درجات المذهب الشكي حول ادعاءات الحقيقة المطلقة، والإنسانية العلمانية، تواصلا مع المنهج العلمي، واعية لمدى واسع بالخبرات الإنسانية[2] ... بيد إنها ليست على استعداد بأن تعلن أن معتقدا ما شرعي لما له من ادعاءات خاصة أو بديهيات أو أمور غامضة أو ذاتية حتى يمكن أن تجتاز تلك الادعاءات اختبار التحقق الموضوعية.

ويسوق كارتز مبررات للمذهب الشكي والذي يقصد به وضع معتقداتنا الدينية موضع الفحص والتدقيق؛ مستندا إلى الإدعاء بأن الدين بسهولة لا يمكن أن يكون أصلا موضوعا للاعتقاد، ومع إنه تتواجد فترات، وصفها، فترات ارتفاع حيث كانت الأديان القديمة تموت وتنبعث أديان جديدة تلك التي تنتشر بالارتداد، ومع ذلك فإن معظم الأفراد يولدون داخل معتقد ديني ما، إن دين الفرد ما هو إلا أمر عرقي ethnicity فهو موضوع لعلاقة الدم والوطنية القومية اكثر من كونه اختيار واعي،

---

[1] Sidney Hook, **The Quest of Being**, pp. 99.

[2] Paul Kurtz. (editor), **Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism** p.160.

أما اليوم كما يشير هوك فإننا نعيش في فترة أصبحت فيها الأديان التقليدية معرضة للتحديث فاليوم تحلل الأفراد من أصولهم العرقية الضيقة ومحلية جذورهم وجربوا تأثيرات عديدة مختلطة. وهكذا أصبح هناك إمكانية عظمية للاختيار الحر للدين بل إن الأكثر من ذلك أن قطاعات عريضة من السكان استفادت من التاريخ المقارن والمعرفة العلمية والشك الفلسفي، هذا وقد رأى أتباع الإنسانية العلمانية أنه مع تزايد انتشار العلم والتعليم وانحطاط مستويات الفقر والمرض خصوصا في الدول الغنية، يتوقع المثقفون إزاحة الدين من خلال تنمية أخلاقية جديدة حيث ينمي الإنسان الجيل الجديد منذ نعومة أظافره. ويرى كارتز أنه يمكن أن يكون الفرد إنسانيا أخلاقيا حتى وإن لم تكن لديه أوإن لم يكن يعتقد في وجهة نظر علمية للعالم. ولكنه يستدرك ويقول:" ولكن من الصعب جداً أن يكون الفرد إنسانيا إذا كانت لديه وجهة نظر لاهوتية أوخرافية لهذا الكون. وهكذا فإن هناك اقتناع بأن الإنسانية الأخلاقية تعتمد بشكل ما على المنهج العلمي.[1]

ثالثًا: الدين والحياة المعاصرة

1- مبررات رفض سيدني هوك الأديان

يقدم سيدني هوك عددًا من المبررات التي يتذرع بها في رفضه للأديان ويتم فيما يلي عرضها من منطلق الموضوعية في عرض فكر الفيلسوف دون أدني اتفاق معه حولها وسيتم لاحقا عرض أفكار عددا من الكتاب المعاصرين والذين كانت لهم آراء مغايرة تماما لتلك التي قدمها الفيلسوف في هذا السياق.

في سياق إيمانه بالإنسانية العلمانية وكنتيجة لرفض استمداد أية مبادئ من أي مصدر علوي؛ رفض سيدني هوك كل الأديان، فقد رأى أن هذه الأديان لا تتفق وما

[1] Ibid, p. 164.

لحق بالعالم من تطور وتحديث، ويقول في هذا الصدد بول كارتز:" ماذا سنفعل بعقائد دينية تاريخية موغلة ومتعمقة في ماضينا البدوي والريفي." هذا بالنسبة للإيديولوجيات المرتبطة بالإرث الثقافي كالبوذية والكونفوشيسية، ويستطرد كارتز قائلا:" أما اليهودية والمسيحية والمحمدية• فمصادرهم تستند إلى العهد القديم والتقاليد النبوية وكل ذلك عفى عليه الزمن وانتهت جدواه انطلاقا من دلائل المستقبل الحديث."[1]

ومن الأمور التي يرى هوك أنها من دواعي رفض الأديان ما يتضمنه الدين – حسب وجهة نظره – من البحث في مجردات لا يمكن التحقق منها علميا، ويقصد بقوله هنا وجود الله فيقول: " فعلى سبيل المثال يزدوج القول بأن وجود الله لا يمكن إثباته مع القول بأنه لا يمكن إثبات عدم وجوده، فمن المعروف أنه يمكن فقط داخل المنطق والرياضيات إثبات عدم وجود أي شئ إذا لم نقتنع بعدم الاعتقاد فيبقى للأمر المعتقد فيه شأنه فقط عندما يتضح أن إثبات نقيضه أمر مستحيل، إذا لم نقتنع في الاعتقاد بأمر يحميه فقط أن إثبات نقيضه أمر مستحيل، فإن علينا أن نؤمن بأن العالم مسكون بالخيالات والهوام البرية. ربما تتواجد أشياء عديدة لا يكون بالإمكان تقديم دليل واضح عليها، لكن يقع عبء البرهان دوما على الفرد الذي يؤكد على مثل هذا الوجود. إذا قيل إن الاعتقاد في وجود الله أوالسيطرة الإلهية ترتكز إلى الإيمان فإن الرد سيكون وعلى وجه السرعة إن العلم أيضا يقوم على الإيمان: الإيمان بالعلية

•الأولى بالفيلسوف الأمريكي بول كارتز أن يقول "الإسلام" بدلا من قول "المحمدية" وهذه نقطة من ضمن نقاط عديدة تؤخذ عليه في عدم دقته في سرد المصطلحات وخاصة تلك المتعلقة بالأديان السماوية!

[1] Paul Kurtz, (editor), **Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism**, p. 159

Causality، أو بمبدأ الاستقراء Principal of Induction أو بعض الافتراضات الأخرى للبحث.[1]

ومن تشككه في وجود الله ينتقل سيدني هوك إلى التشكيك في حقيقة مؤسسي الأديان – حسب لفظه ويقصد هنا الأنبياء والرسل – فيؤكد إن ما يعد مهما ويرتبط بأية حركة دينية يرتبط أساسا بأثرها الاجتماعي والأسباب الكامنة وراء "استمرارها" في الوجود، وليس إعلان العقيدة الدينية نفسه بواسطة مؤسسيها "المزعومين" نحن نقول هنا مؤسس "مزعوم" لآن المدرسة النقدية أظهرت شكوكا حول التاريخ الواقعي لبعض هؤلاء المؤسسين للأديان القديمة، ومنذ أن كان تأسيس وتعميق تعليمهم يتم على يد تابعيهم الذين عاشوا في الفترة اللاحقة عليهم، فإننا لا نملك طريقا يمكن الاعتماد عليه لمعرفة إلى أي مدى تم نسخ أونقل المبادئ عقائديا في عملية التأويل .... " ثم يستدرك هوك ويقول: " حتى لوكان تأريخهم صحيحا... فإن ثمة اتجاه هام حول التغيرات العميقة في الممارسة والاعتقاد اللذان أسستهما الحركات الدينية تحت ضغط المعاناة."[2]

فقد نظر هوك إلى أتباع الأديان وكأنهم ما اتبعوها إلا لتلبية حاجات وطموحات لديهم؛ فيبلور القائد الديني حوله وحول طريقة حياته عاطفة وميل يظهران عندما يدعوإلى الدخول في عقيدته. ويقع تحت تأثيرها عدد قليل من الجماهير الذين يستجيبون له . فهويعد لهم مثالا، يعبر عما هومتعالي على الطبيعة، وهذان الأمران تلبية الحاجة، المثال المتعالي، هما ما يحركان عادة هؤلاء الأشخاص ممن لديهم حاجات ورغبات تجعلهم مهيأين بالفعل للسير نحوهذا الاتجاه. ويقول هوك عن ذلك : " إن ما يبحث عنه هؤلاء المؤمنون بالله ليس اللاهوت وليست الحقيقة هي التي ينشدونها وإنما التبرير والارتياح. وهنا يكمن المصدر الرئيسي والأساسي للاعتقاد الديني ليس

---

[1] Sidney Hook, **The Quest for Being**, p. 98.

[2] Sidney Hook, **Hero in History**, p. 32.

لدى المفكرين فحسب، وإنما لباقي الأفراد أيضا وخاصة في أوقات الأزمات الاجتماعية بل وأيضا في فترات الأزمات الشخصية."[1]

ومن ناحية أخرى يرى أن المؤمنين بالأديان يتخذون من إيمانهم هذا غطاءً لتحقيق مصالح شخصية مثل الزعامة الدينية والاجتماعية وذلك عند قبول معتقدات دينية معينة غير أمبريقية أومتعالية الطابع transcendental تزعم بأنها تهدف إلى إعادة تنظيم المجتمع، فما ذلك إلا قبول يقود إلى قلق كبير وارتباك عقلي ؛ فهويخفي حقيقة أن قوة المصلحة الشخصية هي التي تكمن وراء كل ذلك.[2] بل ينفي عن أتباع الأديان استقلالهم الفكري وكأنهم لم يتبعوا الأديان انطلاقًا من إرادتهم الحرة أولإيمانهم بأنها صحيحة وإنما لأنهم توارثوها عن آبائهم ولأنهم أخفقوا في فهم التقنيات الحديثة من حولهم وكان هذا هومبعث موجة الإحياء الديني في الآونة الأخيرة فيقول عنهم:" هؤلاء لم يكن لديهم أبدا الحق في عدم الاعتقاد الديني، فقد توارثوا أفكارهم التي صارع من أجلها أسلافهم من الأجيال السابقة[3]"، وهؤلاء –كما يرى هوك– يجهلون اللاهوت والفلسفة وحقائق الشر التاريخي ويجهلون التمرد على العادة الإنسانية ويجهلون عمق متغيرات الحدود الإنسانية. إن هؤلاء المفكرين لم يكونوا على استعداد ولم يتم حتى إعدادهم لفهم تلك الأهوال حتى بعد حدوثها فلم يتم إعدادهم على إعادة فحصها ودراستها. ولم يدربوا على إعادة فحص ودراسة افتراضاتهم عن العالم الحديث على أساس روح الواقعية النقدية بدلا من الارتكاز إلى روح اليأس والقنوط فقد دفعت بهم الأحداث الجسام التي مر بها العالم إلى ترك الاعتقادات التي لا يستطيعون فهمها إلى اعتقادات أخرى قد يفهمونها ولوبشكل قليل.

---

[1] Sidney Hook**, the Quest for Being,** p. 98.

[2] . Ibid, p. 100

[3] Ibid, p. 95 , 96.

متبعي الأديان اتبعوها –حسب رأيه– بناء على ما ورثوه عن آباءهم وليس لاقتناع منهم بما يعتقدوا فيه، وهروبا منهم لقصورهم في فهم الطبيعة التي من حولهم، فيقول هوك: " إن إحياء الاتجاه الديني لا يرجع إلى اكتشاف مجادلات جديدة أودليل جديد على القوى المفارقة للطبيعة أوتحليل متعمق لمنطق الاعتقاد الديني...فلا وجود لمبدأ الموضوعية وإنما الذاتية، ولا وجود لمجادلات وحجج توما الاكويني وإنما التجارب الداخلية الأليمة لأغسطين وباسكال وكيركجارد التي انجذبوا أكثر إليها، فما يقدم من أدلة تكون أدلة منبعثة من المشاعر الدينية."[1]

ويستند هوك إلى الاختلاف ما بين متبعي الأديان كمبرر قوي لرفضها جميعا؛ فيشير إلى أن هناك تضارب بين متبعي الأديان أنفسهم حيث رفض كل منهما للآخر؛ فعندما يتعلق الأمر بالإيمان يرى كل مذهب نفسه أنه هوالمهتدي وما سواه من المذاهب في ضلال.[2] اختلاف حاد بين متبعي الأديان أنفسهم فالإيمان بالله يترتب عليه الشيء ونقيضه ويقول في هذا الصدد بول كارتز Paul Kurtz: " إن الخضوع لألوهية الرب يعني وجود عدد من الوصايا الأخلاقية ربما يتبعها الاعتقاد في شرعية عدم تعدد الزوجات أو الأزواج monogamy من ناحية، أو السماح بتعدد الزوجات والأزواج polygamy من ناحية أخرى، وكذا وجهات النظر المتباينة حول شرعية أو عدم شرعية الطلاق، الإجهاض...الخ، فـ "جري فالويل"[3] و"أية الله الخميني"[4] و"مناحم بيجن"[5] ، ..كل هؤلاء يدعون اعتقادهم في الله بيد أنهم جميعا يختلفون فيما يترتب على

---

[1] Ibid, p.97.

[2] Sidney Hook, **Education for Modern Man**, p. 9.

[3] رجل دين أمريكي مسيحي.

[4] زعيم إيراني مسلم.

[5] زعيم إسرائيلي يهودي.

اعتقاداتهم هذه من حيث النتائج السياسية والأخلاقية لالتزاماتهم."[1] وربما يجدر هنا الرد على كارتز بأن الاختلاف ليس بالضرورة في الشرائع نفسها بقدر ما كان في الكيفية التي يسلكها التابعون؛ وليس خفيا أن الدين الإسلامي الحنيف، طالما ذكر هوك أحد الزعماء المسلمين، وإن كفل حرية الإيمان فإن كل دين سماوي جديد كان ينسخ ما قبله ويُفترض أن يسود. ومع ذلك، ولوساد دين واحد فأصبح هودين الأرض كلها ومن عليها، يبقى مرة أخرى الكيفية التي يتبع بها أتباع هذا الدين مبادئه. فاختلاف التابعين لا يقدح من الدين نفسه ويبرر رفض الأديان على اطلاقها.

فما الذي إذن سيصل بالأفراد إلى اتفاق؟ يجيب هوك إنه المنهج العلمي فيؤكد إنه وحده الذي يعد الأفراد بالوصول إلى اتفاق، فيجذبهم بذلك إلى اتباعه وتطبيقه في الشئون الاجتماعية بالمثل كما يتم الأمر في الشئون الطبيعية.[2] ويتناسى الفيلسوف هنا إمكانية ان نختلف جميعا عقائديا ولكن تبقى قيمة التسامح لتجمعنا وليس نبذ الأديان.

وهكذا يتخذ هوك من تعدد الأديان مبررا يدرجه ضمن مبرراته لرفض الأديان عموما، فمتبعوا الأديان المتعددة يختلفون في التزاماتهم الأخلاقي– كما يرى هوك. فماذا عن إتباع الدين الواحد؟ يرى هوك أن حتى ذلك ليس ضامنا لعدم حدوث الصراع بينهم؛ فيشير إلى أن معظم الصراعات التي كانت تحدث كانت تقع بين أتباع الأيديولوجيا الواحدة ربما أكثر من هؤلاء الذين ينتمون إلى أيديولوجيات مختلفة فيقول: "فمن الأوهام ومن الاعتقادات الخطأ تصور أن وجود أيديولوجية عامة مشتركة، أووجود تقليد مشترك أو لغة مشتركة يمكن أن تحقق السلام، إن أخطر وأعنف وأشد الحروب هي تلك التي دارت بين إناس يؤمنون بأيديولوجيات واحدة كما يحدث في حالات

---

[1] Paul Kurtz, (editor), **Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism,** p. 162

[2] , pp. 10, 11. Sidney Hook, **Education for Modern**

الحروب الدينية الهائلة ... من جهة أخرى هناك أمم عاشت في سلام على الرغم من أيديولوجياتها المختلفة وأرثها الثقافي المختلف ولغتها المختلفة.[1]

ويرى أن من يدعون المثل وحماية حقوق الإنسان وحفظ كرامته هم أكثر من تتواجد لديهم ازدواجية في المعايير وقصد بذلك رجال الدين القائمين على رعاية الكنائس فهاجم الكنائس وقال عنها: "هناك .. بعض الكنائس التي تثور وتعترض ساخطة وغاضبة عندما يتم التدخل في حرية عبادة التابعين لها في حين تبدوهادئة على نحويثير التعجب عندما تغتصب حريات الجماعات التي على أديان أخرى." [2] وكان هوك يقصد من ذلك أن الكنيسة لم تتدخل للدفاع عن حقوق الزنوج التي طالما أُغتصبت حقوقهم وتم اضطهادهم لا لشيء سوى إنهم كانوا يتبعون أديان مخالفة للكنيسة .

ويستشهد هوك بعدد من القضايا التي يختلف فيها أتباع الدين الواحد. فعلى سبيل المثال، لا تفوت الكنيسة الكاثوليكية أية فرصة إلا ويؤكد رجالها على أن الدفاع الأكثر خيرا والأفضل عن الديمقراطية والحرية هوالدفاع الذي سينبع من النظام المسيحي الاجتماعي والأخلاق لدى الكنيسة الكاثوليكية هي الأخلاق الكاثوليكية وتتمثل الدولة المسيحية في رباط بين الله والإنسان لتنفيذ دعائم الأخلاق كما فسرتها الكنيسة والتي تؤكد على أن خلاص الروح هوأهم مبادئها وشغلها الشاغل ولا خلاص للروح خارج الكنيسة. ويعلق هوك بأنه – حسب تصور الكنيسة – وإذا ما كانت الكنيسة ضعيفة فإنها تتسامح مع الحريات والليبراليات الحديثة وإذا ما كانت قوية فتفرض قوة سلطتها المذهبية وأساليبها التعليمية الدينية *الباطلة* بواسطة جماعات ربما تفسد العقيدة الكاثوليكية *الحقيقية*." ويستشهد هوك بآراء بعض آباء الكنيسة الكاثوليكية مثل Ryanand Boland: " إنه لوأصبح للكاثوليك الأغلبية داخل السكان في الولايات

---

[1] Sidney Hook, **Revolution, Reform, and Social Justice**, p. 219.

[2] See: **Sidney Hook, Political Power and Personal Freedom** (New York: Criterion Books Inc, 1959) p. 59.

المتحدة فإن الدولة التي سيشكلوها لن يسمح فيها لأي عقائد أخرى غير الكاثوليكية من تنفيذ أي دعاية عامة أو الحصول لمنظماتهم على أية امتيازات كانت موجودة من قبل لكل المؤسسات الدينية – كمثل الاستثناء من الضرائب."[1]

في المقابل نادت الجماعات البروتستانتية – كما يرى هوك– بإيجاد مجتمع تنظمه القواعد المسيحية ويعلق هوك على ذلك بأن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هوإذا ما كان كل من يستخدم لفظة "مجتمع مسيحي" يعني نفس الشيء إنها تشير على أية حال إلى التنظيم المسيحي أو العقيدة المسيحية، إن أدلة التاريخ والمنطق تشير إلى أن مثل هذه الدولة ربما تتسامح مع العقائد الدينية المختلفة ولكنها لن تتسامح مع *حرية عدم الاعتقاد، فبالتالي* تزال الدولة دولة غير محايدة دينيا، وسوف يستبعد من العملية التعليمية المفكرين الأحرار الذين سيتعاملون مع "حقائق" الدين بشكل نقدي كما يتعاملون مع شتى فروع المعرفة، تؤكد البروتستانتية على أن الديمقراطية الحديثة اشتقت من عقائد المسيحية – العبرانية Hebraic-Christianity التي تعتبر كل الناس مخلوقات لله ومتساويين أمامه. وللبحث العلمي مكانه في البروتستانتية فهويلبي احتياج الإنسان في الحصول على المزيد من المعرفة التي سترجع الإنسان،كما يذهب فرانسيس بيكون، إلى الله."[2]

وينتقد هوك هذا الفكر البروتستانتي فيشير إلى أن اشتقاق الديمقراطية الحديثة من عقيدة أن كل الناس مخلوقات لله ومتساويين أمامه لهوأمر : ***1)غير صحيح منطقيا، 2) باطل تاريخيا، 3) غير متوافق والمشكلة الملحة للدفاع عن الديمقراطية وإعادة البناء الديمقراطي*** .

---

[1] See: Sidney Hook, **the Quest for Being**, p. 89.

[2] Ibid, pp.90,91.

ثم يتناول هوك هذه النقاط بشيء من التفصيل على النحوالتالي:

إن القول بأن كل الناس متساويين أمام إله لا يترتب عليها أولا ينبغي أن يترتب عليها منطقيا أنهم كذلك متساويين أمام الدولة ويتمتعون بحقوق متساوية أمام المجتمع. أوأنهم متساويين أويجب أن يكونوا متساويين أمام القانون. والأدلة على ذلك عديدة فحتى بالمنظور اللاهوتي إذا كان الله خلق بتساوي الملائكة والبشر والحيوانات والأشياء فإنهم ليسوا متساويين في القيمة أمامه يتساوى الناس في الموت والألم والمرض وجمع الضرائب، ولكن كيف ستتم معاملتهم على أساس الحالة النسبية لصحتهم وجهودهم ونتائج مجهوداتهم وغير ذلك من المظاهر السلوكية النسبية المختلفة . يعتقد المسيحيون أنه لأن جميع الناس خطاءين ومتساويين في الخطيئة أمام الرب Lord فان تفاوتهم الاجتماعي والسياسي في هذه الحالة الانتقالية عديمة القيمة، بل يعتقد بعض المسيحيين المتشددين إننا غير متساويين بسبب إن تفاوتنا هوعقوبتنا عن الخطايا التي ارتكبها آبائنا. إذا كان للناس أصل واحد بيولوجيا كان أولاهوتيا، فإنه في ذاته ليس كافيا منطقيا للتأكيد أنه يجب أوينبغي أن تكون لهم فرص واحدة أوتعليم متساوي أومواطنة متساوية. فإذا كنا سنعتقد إن لهم الحق في كل ذلك، ونحن نعتقد بالفعل، فإننا نؤمن بذلك بناء على أسس لا تعتمد صحتها أوتتصل بإذا ما كان لهم نشأة واحدة أم لا . وليس من الحقائق الصادقة كذلك القول بأنه لأن الإنسان من خلق الله فان ذلك أساسا لتكريمه. ويشير هوك إلى أنه يوجد من الباباوات من يخبروننا أن كرامة وهيبة الإنسان لا تنبع من ذاته وإنما من كونه ابنا لله ومن خلقه. إنه لمنطق سيئ التقدير والاعتبار كمثل القول تماما بأنه لا يجب أن تكذب لأن الله حرم الكذب أوأن السبب الوحيد في تقدير الأرض والأماكن لأنها من صنع الله[1] . ربما يكون لأصل الشيء أثر على طبيعته ولكن لن نستنتج قيمة أونحددها بناء على أصله أونشأته . فأنت لا تحكم على الناس

[1] Ibid, p. 91.

بواسطة أصولهم التي لا يعدوا مسؤولين عنها وإنما بواسطة جهودهم وإنجازاتهم فانك تطبق الروح الديمقراطي.

ليس هناك ضامن كبير لوجهة النظر بأن العقائد اللاهوتية للمسيحية العبرية هي المصدر التاريخي للديمقراطية الحديثة لقد أيدتها اليهودية العبودية بينما لم تدينها المسيحية علنا . لقد كانت الكنيسة مقرا للإقطاعية، وعندما سيطر على الحكم المونارکيين جددت التبرير اللاهوتي الخاص بالحق المقدس للملوك . لقد استندت البابوية والمؤسسات اللاهوتية إلى نظام متوارث ....قد يقال أحيانا إنه يمكن للمزارع أن يصبح بابا pope انطلاقا من البناء الإرثي "الهيراقراطي" السلطوي للكنيسة، ويرد هوك "صحيح" كمثلما يمكن لعامل الطلاء النمساوي أوابن الإسكافي الجورجاني أن يصبح ديكتاتورا . إلا يفسد ذلك سمة الشمولية. من الواضح أن هوك لا يفصل هنا بين ما يفعله الناس وبين ما تقره أصلا الشرائع السماوية، فشتان بين هذا وذاك، ثم هل الإدانة كفيلة في حد ذاتها لإلغاء النظام الغير مقبول أم من الأفضل التشريع بما يحق الإلغاء فعلا كما فعل الإسلام، وماذا فعل الغرب بإدانته للديكتاتورية الموجودة في مناطق عديدة بالعالم .

لقد *طلب* منا أن نقبل الحقائق المسيحية على إنها صحيحة على أساس دورها المؤثر في الصراع مع الهتلرية[1] . ويستند ذلك بدوره على القول بأن الفاشية ليست نتيجة للظروف الاقتصادية والإرث القومي والسياسات المروعة بداخل ألمانيا وخارجها، وإنما لانتشار الوضعية والعلمانية والإنسانية، لماذا ظهرت الفاشية داخل تلك الدول القوية دينيا وميتافيزيقيا مثل إيطاليا وألمانيا وليس في دول صاحبه الاتجاه الوضعي مثل إنجلترا وأمريكا . وهذا ما يعول عليه هوك بأن الأديان كانت هي مصدر الصراع. وفي الوقت الذي ينتقد متبعي الأديان لأنهم يعلنون ما لا يعملون، فإنه يستخلص من

---

[1] Sidney Hook, **The Quest for Being**. p.95.

ذلك توجيه النقد إلى الأديان عموما بأن أيًا منها لم يرتبط ظهوره بالديمقراطية فيقول: " لا اليهودية ولا المسيحية ولا الإسلام كان أحدهم مسئولا عن ظهور الديمقراطية كنظام لمجتمع يحكم نفسه بنفسه بناء على القبول المعطى بحرية من قبل المحكومين."[1] ويغض الطرف هوك هنا عما شملته هذه الأديان من مبادئ أخلاقية عالية الرقي لونفذها متبعيها لحققوا لأنفسهم رخاءً عظيما ولما عم العالم من فساد ودمار.

ويهاجم هوك من يعتقدون أنه انطلاقًا من إيمانهم وانطلاقًا من مقدمات لاهوتية يمكن الوصول إلى ديمقراطية فقال: " إن تدعي أن الديمقراطية يمكن أن تتحقق من خلال مجموعة من الإلهامات الحدسية أواللاهوتية، أو أنه لا يمكن لأحد أن يكون ديمقراطيًا حقا دون أن يعتنق تلك الإلهامات، إن مثل هذا الإدعاء لهوإدعاء باطل منطقيا، بل إنه ليس باطلا منطقيًا فحسب، وإنما يعرض وجود المجتمع الديمقراطي للخطر."[2]

وفي المقابل وفي الوقت الذي ربط فيه هوك بين الإنسانية العلمانية وبين الديمقراطية نظر في المقابل إلى متبعي الأديان على أن اتجاهاتهم اللاهوتية هذه ما هي إلا إخفاق للقوى Failure of Nerve وهوالوصف الذي أطلقه جيلبرت ميراي Gilbert Murray في الفصل الثالث من كتابه "المراحل الأربعة للدين عند اليونان" فقد وصف جيلبرت الفترة الممتدة من عام 300 ق.م وحتى القرن الأول من العصر المسيحي بأنها كانت إخفاق للقوى وتجسد هذا الضياع والإخفاق للقوى في ظهور الزهد والتقشف، والأساطير والتشاؤم، وفقدان الثقة في النفس والأمل في الحياة والإيمان في أهمية وفعالية القوى الإنسانية الطبيعية.[3] فكأن سيادة الفكر الديني اقترنت

---

[1] Sidney Hook, **Marxism and Beyond**, p. 204.

[2] Sidney Hook, **Education for Modern Man**, p. 10

[3] Sidney Hook, **The Quest for Being**, p. 73.

إذا باخفاق همة البحث والاستكشاف وبحث الإنسان عما هومعصوم من الخطأ أي الاتجاه نحوالله.

يرى هوك أن مثل هذه الظواهر قد عادت مرة أخرى للظهور مؤخرًا، بل إنها أصبحت أكثر تعقيدًا وأكثر إثارة للجدل عما ظهر في مراحل زمنية سابقة حيث تم توظيف واستغلال التقنيات الحديثة والآليات المتاحة في التعبير والإقناع على نحويجلب في الفكر والممارسة الظروف المماثلة التي جعلت العالم القديم يحتمي بملاجئ الأصنام والمسيحية المفارقة للطبيعة Supernaturalism.[1] ويضرب هوك الأمثلة على هذه الظواهر مثل: التنبؤات بانهيار الحضارة الغربية في إطار قوانين الديناميكية الاجتماعية، والبحث المجنون عن قيمة وسطى تعلووتسموبالمصالح واهتمامات الإنسانية، والتأليه الأسطوري للقائد أوللصفوة، وازدراء كافة المنظمات السياسية والبرامج الاجتماعية لإخفاق وفشل بعضها، مع الاعتقاد بأن النوايا الطيبة هي وحدها كافية لإنهاء المشكلات المستعصية لإعادة البناء الاقتصادي والاجتماعي، والتظاهر بالتهذيب والنقاء الروحي، وتجديد وصقل العقائد اللاهوتية والميتافيزيقية التي تدور حول اللامتناهي Infinite كافتراضات مسبقة ضرورية من أجل معرفة المتناهي finite، والانشغال بالأساطير والغموض بدلًا من الانشغال بالمشاكل الحقيقية، والاعتقاد بأن الأسطورة myth والخفايا الغامضة هي نماذج للمعرفة[2] وما ارتبط بكل ذلك من الإصرار بكل حزم على إنه بدون الإيمان بالله والخلود لا يمكن أن تتحقق الديمقراطية أوحتى تتحقق لياقة أخلاقية حقيقية.

2- المؤيدين لرأي سيدني هوك ومبرراتهم

جاءت أفكار سيدني هوك بصدد رفضه للأديان متوافقة مع أفكار عدد من الفلاسفة، ومن هؤلاء معلم هوك نفسه الفيلسوف الأمريكي جون ديوي. فعند ديوي –

[1] Ibid.

[2] Ibid, pp. 74, 75.

كما يشير أحمد فؤاد الأهواني– أن الأديان مثقلة بميراث من الطقوس والعقائد وبخاصة الغيبية، ولكن تقدم العلوم في العصر الحاضر يهيئ الجوللتحرر من القديم. ويضيف د. الأهواني:" ومن الواضح أن ديوي يرفض فكرة الإله المنفصل عن العالم ما دام يرفض جميع الثنائيات. ولكنه يقبل فكرة الإله باعتبار أنه المثل العليا الذاتية للخبرة الإنسانية والمستمدة منها، وعنده أن التجربة الدينية حقيقة واقعة، وأنها تعيد للنفس الأمن والسلام، والتجربة الدينية مستمدة من ثقافة المرء ومن جملة العقائد التي تلقاها وليس ما يدعوا إلى إنكار التجارب الدينية المتطرفة والتي تعرف بالتصوف."[1]

ويقول: "... أما ديوي فالدين عنده إنساني، وليس إلهيا أومؤلها. ويبدو أن هذه النظرة الإنسانية غير التأليهية للدين هي نظرة بعض البرجماتيين ولعلها ترجع إلى طبيعة المنهج. يقول ديوي: " نحن الذين نعيش الآن أجزاء من إنسانية تمتد جذورها إلى الماضي السحيق، وهي إنسانية قد تفاعلت مع الطبيعة. ... وقد كان مثل هذا الإيمان في صميم القلوب الإيمان المشترك لبني الإنسان. ويبقى اليوم أن ينتقل هذا الإيمان المشترك من السر إلى العلن ويتخذ سبيله إلى التحقيق."[2]

وكذلك تتشابه أفكار هوك مع الفيلسوف فيورباخ[3] (1804 – 1872) – الذي تأثر به ماركس في توجهاته الفكرية –والتي أثرت بدورها في سيدني هوك– الذي نظر إلى الأديان على إنها لا تتفق مع الحياة الحديثة فيقول عنه الدكتور أحمد عبد الحليم: " إن نفي المسيحية كان أمرًا مؤكدًا بالنسبة لفيورباخ، كما كان مؤكدًا بالنسبة إلى نيتشه فالدين يتعارض مع الحياة الحديثة بأسرها والمسيحية تلقى رفضًا حتى من جانب هؤلاء الذين ما زالوا يعترفون بها فهي موضع إنكار من جانب الحياة والعلم والفن والصناعة[4]،

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني ، **نوابغ الفكر الغربي : جون ديوي** ، ص. 141.

[2] نفس المصدر السابق ، ص. ص. 140 –142.

[3] تناول هوك موقف فيورباخ الأخلاقي وسيتم عرضه لاحقا.

[4] أحمد عبد الحليم ، **فلسفة فيورباخ** ، ص. 250.

ذلك لأن الإنسان أصبح يستغل ويتحكم فيما هو إنساني مما نتج عنه أن تجردت المسيحية من كل القوى والأسلحة التي يمكن أن تدافع بها عن نفسها.

ويتفق مع هوك عدد من الفلاسفة الذين رفضوا الإيمان بالأديان لما اعتقدوا من وجود تضارب واختلاف بينها، وعداء وكراهية بين متبعيها مثل روبرت أوين Robert Owen الاشتراكي البريطاني (1771م- 1858م) الذي يقول عنه برتراند رسل: أدهشه كلما قرأ الأعمال الدينية لمختلف التيارات، أدهشه في البداية "التعارض بين المذاهب المختلفة في المسيحية، ثم أدهشته تلك الكراهية الحادة بين اليهود والمسيحيين، والمحمدين والهندوس والصينيين الخ. ثم تلك الكراهية الحادة أيضا بين هؤلاء جميعا من ناحية وبين من يطلق عليهم الوثنيون من ناحية أخرى Pagans and Infield . لقد أوجدت دراسة تلك العقائد المتصارعة ولكراهية الشديدة بينها أوجدت في نفسه الشكوك بصدد حقيقة أي من هذه التقسيمات فيقول الفيلسوف عن نفسه:" لقد دفعتني قرأتي للأعمال الدينية وغيرها من القراءات الأخرى في عمر العاشرة إلى الشعور بأنة ثمة خطأ جوهري لا بد وأنه متواجد في كل الديانات. لقد تخليت عن عقيدتي المسيحية، وتخليت في الوقت نفسه عن سائر العقائد الأخرى، فقد اكتشفت أنهم جميعا يستندون إلى نفس الخيال الغامض. فكل منهم يشكل خصاله، ويحدد أفكاره الخاصة ومقاصده وتعليماته ويلقي بمسئوليتهم على الله ورسله[1]... فالعداء بين متبعي الأديان أنفسهم من ناحية ولا علمية الفكر الديني من ناحية أخرى كان وراء إنكار الأديان ورفضها والرجوع إلى الطبيعة بعيدا عن أي معتقد ديني.

وهناك أيضا من ذهبوا إلى أن الأديان معارضة للديمقراطية فيشير تد جي جيلين Ted G. Jelen إلى الدين باعتباره خطر محقق على الحياة السياسية

---

[1] See: Bertrand Russell, **Freedom and Organization**. Pp. 174-176.

الديمقراطية، ويتضح من مقاله أنه يؤكد آمرين اثنين: –**أولا:** يعتقد أن الحياة السياسية الديمقراطية تقوم أساسا على قيم وممارسات معينة يسعى الدين على نحوكفيل بتدميرها. **ثانيا:** إن ذيوع الدين في المجال الإعلامي سيكون له عواقب وخيمة على الممارسات الدينية عامة، والمسيحية على وجه التحديد، وهكذا فلأجل صالحهما معا (السياسة والدين)، يجب أن تدرج وتنطوي القيم الدينية داخل مجال نشاطي محدد.[1] ثم يعرض المؤلف لفقرة وردت في الإصلاح الأول من الدستور الأمريكي First Amendment:" ليس للكونجرس أن يشرع ما يدعم تأسيس وتشييد دين ما، وليس له أن يشرع ما يحرم حرية ممارسة هذا الدين." ويرى أن هذه الفقرة بالذات استغلها كل من القائلين بالفصل بين الدين والسياسة separationists، وبنفس القدر تم استغلالها من قبل القائلين بعدم التعارض بينهما accommodationist أما من قالوا بالتوافق بينهما، فيرون هذه الفقرة بما يخدم فكرهم بأنه ليس هناك في الدستور ما يعارض تقديم الدولة المساعدات لكل الأديان والمؤسسات الدينية. والحكومة هنا مطالبة بأن تكون حيادية بين كل الأديان ولكن ألا تكون محايدة بين الدين واللا دين... وفقا لتفسيرهم للفقرة المندرجة في الدستور هذه ... فإن الدين هو المصدر الهام للأخلاق العامة وللانسجام والتوافق الاجتماعي. على النقيض من هؤلاء يذهب من ينادون بالفصل بين الدين والسياسة، ويرون أن الدين هوالمصدر الباعث للصراع السياسي والاجتماعي. ويرى المذهب الانفصالي أن الاختلافات الدينية تفرض مشكلات معينة تعوق الحياة السياسية الديمقراطية."

[1] Ted G. Jelen, **In Defense of Religious Minimalism** (in) **A Wall of Separation? Debating the Public Role of Religion**, p. 3.

والدين كما يرى الإنسانيون العلمانيون ليس فقط ضد الحياة المعاصرة بل أنه ضد السلوك الأخلاقي فيقول بول كارتز:" إن الدين (في فرضه للواجبات والمسئوليات) على هذا النحولهوعدوالسلوك الأخلاقي الناضج، إن الجدل بأن الواجب والمسئولية سيبقيان إذا ما أرتحل الله God، مثل هذا الجدل يثيره دائما الإنساني العلماني. إذ لم تعد الأنظمة الدينية تلعب دورا مدعما مشجعا، ستحل محلها الأنظمة الأخرى كالأسرة، والمدرسة، والاقتصاد، والنظام القانوني، من أجل تنمية الفضائل المدنية وغرس الآداب الأخلاقية[1]. ويخلص كارتز إلى القول إننا سنكون بحاجة إلى أنظمة مدعمة مشجعة لتحل محل تلك التي راحت مع الدين وبالمثل نحن بحاجة إلى تغيير دراماتيكي في فضائلنا، وقيمنا ، ومبادئنا، ومثلنا.

3- المؤيدين لأهمية دور الدين في المجتمع

على خلاف موقف هوك بصدد رفض الأديان، ورفضه بأنها مصدر للأخلاق جاءت آراء عدد من الفلاسفة الذين أكدوا أهمية الإيمان مثل وليم جيمس، أحد كبار رواد البرجماتية في أمريكا، الذي يعتبر الإيمان حق من الحقوق الثابتة للإنسان والتي تنبع من ذهننا ويجب، يقينا، أن يظل الإيمان واقفا موقفا عمليا، لا موقفا دجماطيقيا قطعيا. ويؤكد أنه ينبغي لإيماننا أن يقف موقف تسامح مع ألوان الإيمان الأخرى، مع البحث عما هو أشدها احتمالا، ومع الوعي الكامل بالمسؤوليات والمخاطر.[2] وعن إيمانه في الله، يقول وليم جيمس في كتابه "بعض مشكلات الفلسفة": " إن ما نتصوره ناقصا فهو مفتقر إلى الوجود افتقاره إلى غير ذلك من الصفات ولكن إذا كان الله الذي نعرفه تعريفًا واضحًا بأنه أسمى كمال Ens Perfetissimum يفتقر إلى شئ ما،

---

[1] Paul Kurtz, (editor), **Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism** P. 163 .

[2] وليم جيمس، **بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة محمد فتحي الشنيطي**، ص.207.

فإنه تناقض مع ذات تعريفه ولن يمكن لله أن يفتقر إلى الوجود فهوالضرورة أقصى ما تكون Ens necesarium والواقع أعلى ما يكون Ens Realissimum كما أنه الكمال أسمى ما يكون، " ويستشهد وليم جيمس بآراء كل من هيجل وكانط فيقول: " يقول هيجل "في تعالي اللوردات:" قد يكون غريبا أن الله لم يكن حظه من الثورة عظيما بحيث ملك مقولة في الوجود وهي أفقرها جميعا وأشدها تجريدا ". واتجاه هيجل هنا في نفس اتجاه "كانط" حين يقول " إن دولار في الواقع لا يحتوي على شئ واحد أكثر مما يحتوى عليه دولار في الخيال، ويسعى " هيجل" بطريقة أخرى – في مستهل كتابه في المنطق – ليربط العدم بالوجود فما دام الوجود في التجريد لا يعني شيئا خاصا فهولا يتميز إذن من العدم، ويبدوأن هيجل قد ظن في غير وضوح أنه قد وفق إلى تأليف هوية تجمع بين الفكرتين، فيستعين بها في الانتقال من الواحدة إلى الأخرى.[1] ويربط وليم جيمس بين الحديث عن وجود الله وبين الحديث عن الوجود والعدم، وفي رده على من حاول إثبات أن ثمة تعارض بين الوجود وبين عدم الوجود ونقد قول البدء من عدم يقول جيمس : " هذا التعارض قاصر فحسب على الموجودات الجزئية فهذه الموجودات الجزئية لم تكن من قبل، ثم هي موجودة الآن. ولكن الوجود في عمومه أوفي شكل من أشكاله كان دائمًا، وليس يحق لنا أن نربط بين هذا الوجود ككل وبين عدم سابق بعلاقة . فسواء كان الوجود هوالله أوهوذرات مادية فهوفي ذراته أولى وأزلي، لكن إذا نعت أي موجود بالأزلية فإن بعض الفلاسفة يتأهبون دائما ليواجهوك في زجر بالتناقض القائم في زعمك. فهم يتساءلون : هل الأزلية الماضية قد اكتملت؟ لئن كان الأمر كذلك، فلا بد أنه كانت له بداية، إذ سواء أكان خيالك يجتازه إلى أمام أوإلى خلف، فإن لهذا الوجود مضمونا واحدا ومادة خام واحدة يمكن قياسها، وإذا كان مجموع القياس ينتهي إلى نهاية في طريق فإنه ينبغي أن ينتهي إلى نهايته في الطريق الآخر، وبعبارة أخرى وإذا كان له مع ذلك بداية فمن كان ذلك ولم ؟ فأنت تجد نفسك من جديد أمام العدم،

[1] نفس المصدر السابق ، ص. 67.

وأنت لا ترى كيف أن هذا العدم قد انتقل فصار وجودا. هذا الإحراج الذي يضعك في مأزق الاختيار بين أن تعود إلى الأصل الذي وأن كان يدعي لا متناهيا، فهوينتهي مع ذلك عند حد وبين مطلق أول يلعب دورا عظيما في تاريخ الفلسفة، ويعرض وليم جيمس لآراء التجريبيين أنصار التطور مثل هربرت سبنسر حيث يزعم هؤلاء إلى أن كلما تحقق له أقل قدر من الواقع، فكان أشد الأشياء ضعفا ووهنا وأقربها إلى البدائية وأدقها على الإدراك هوالذي يأتي في يسر إلى الوجود ويكون أول ما يعقب العدم وتتوالى بعد ذلك مراتب أسمى من الوجودات رويدًا رويدًا، فتتضاف بعضها إلى بعضها تدريجيا حتى يجتمع للعالم كل مقوماته فينموويزدهر، وفي نظر فلاسفة آخرين أن الحد الأقصى لا الحد الأدنى هوالبادئ في الوجود. فاسبينوزا يقول:" إن كمال الشيء لا يمنعه من أن يوجد بل على العكس إن كماله هودعامة وجوده:" ومن السبق إلى الحكم الزعم بأن الوجود أشق على الأكبر منه على الأصغر، وأن أيسر اليسر ألا يكون هناك شئ، فإن ما يجعل الأشياء صعبة في اتجاه ما، هي تلك العوائق الدخيلة التي تقف في سبيلها وكلما كان الشيء أصغر كانت هذه العوائق أقوى. وبعض الأشياء تبلغ من العظم والشمول ما يجعل الوجود متضمنا في عين طبيعتها، وهذا الاتجاه في التفكير هوالذي نلمسه في الدليل الانتولوجي على وجود الله، ذلك الدليل الذي نلقاه عند القديس "أنسلم" والذي يدعي أحيانا بالدليل الديكارتي، والذي نرى كانط يدحضه وهيجل يستأنف الدفاع عنه.[1]

ومن الفلاسفة الذين اختلف هوك معهم الفيلسوف الألماني كانط فيؤمن بأن هناك علة عليا وراء الوجود هي القدر، وفي سبيل إيجاد ضمان للسلام الدائم يقول: " لا أحد يوفر الضمانة المعنية غير الطبيعة هذه المبدعة العظيمة التي يشف من خلال حركتها الآلية هدف سام هوإشاعة الانسجام بين البشر لوبالرغم من إرادتهم . فلهذا السبب، ولئن سمي فعل الطبيعة *قدرا* من حيث هوفعل حتمي صادر عن علة مازالت نواميس

[1] أنظر: وليم جيمس ص ص.64 – 66.

إجراءاتها غير معروفة، إلا أنه يسمى أيضًا "العناية الإلهية" نظرًا إلى القضية التي تتجلى في سياق صيرورة العالم والتي تعبر عن حكمة عميقة ناجمة عن علة عليا تتابع الهدف النهائي الموضوعي للجنس البشري وترتب مجرى الأمور مسبقًا. "[1]

وإذا كان هوك قد اتخذ من تنوع الأديان مبررًا لرفضها جميعًا، فقد رآها البعض الآخر أن تعددها ما هوإلا نوع من حرية الاعتقاد فعلى سبيل المثال رفض كانط أساس لفظة التنوع الديني ويقول: "تنوع الأديان يالها من عبارة مستغربة!"[2] فالتنوع ليس في الدين وإنما في الاعتقاد؛ فيكون ذلك بالنسبة إلى الوسائل التي اعتمدت في نشر الدين وهي أمور تتعلق بالأبحاث التاريخية المتعمقة، ويمكن أيضًا أن نتكلم عن التنوع في **الكتب الدينية** ... لكن في الحقيقة لا يوجد سوى **دين** واحد صالح لجميع البشر ولجميع الأزمنة.

خلاصة القول إن ما يسمى بالأديان المختلفة ليس سوى طرق مختلفة ونسبية ومتنوعة بتنوع الأمكنة والأزمنة للتعبير عن الدين ونشره بين البشر.

وعن أهمية الدين في تقويم الحياة الأخلاقية يقول برتراند رسل في كتابه "العالم كما أراه" في شكل السؤال والجواب:"

–أتعتقد أن الاسكندنافيين – في السويد مثلًا – أسعد من غيرهم لأنهم عاشوا ردحًا طويلًا من غير أن يخوضوا حروبا؟

– راسل: أجل ! فهم لم يخوضوا حربا من عام 1814 وفي اعتقادي أن السويد على قدر علمي من أسعد البلاد التي أعرفها، فالناس فيها يستمتعون بالحياة استمتاعا كاملا، ولا اعتقد مطلقا إنهم مستاؤن لاختفاء الحروب من أفق حياتهم.

– ولكن الناس هناك ينتحرون كثيرًا.

---

[1] إيمانويل كانط ، **مشروع السلام الدائم** ، ص. ص 75 ، 76.

[2] نفس المصدر السابق ، ص. 86.

– راسل: هذا صحيح ولكن السويديين يقدمون على الانتحار لأنه لا يوجد لديهم إيمان ديني يكفهم عنه، فهم شعب غير وطيد الإيمان.[1] ففي الوقت الذي اتخذ فيه هوك من المنهج العلمي والتقدم ذريعة لرفض الأديان، لم يحل وجود التقدم والرفاهي بين شعب مثل الشعب السويدي دون ارتفاع نسب الانتحار؛ فالرفاهية المادية وحدها لا تكفي! ويضفي هذا قيمة أخرى على أهمية وجود الدين الذي يسمو بالإنسان من محدودية المادة المنعدمة.

وعلى عكس ما ذهب إليه سيدني هوك حيث نظر إلى الأديان (وذكر اليهودية والمسيحية والإسلام) على أنها موغلة في القدم، نظر فلاسفة آخرون معاصرون مثل روجيه جارودي نظرة دقيقة واعية إلى هذه الأديان فيتحدث جارودي عن الإسلام بأنه ثورة ثقافية وحضارية، وإنه جمع كل الأديان السابقة عليه، أي إنه ليس ثمة تعارض بينه وبين ما سبقه من أديان على خلاف ما ذهب إليه هوك أن الأديان السماوية تترتب عليها التزامات أخلاقية مختلفة فيقول جارودي في صدد عرضه لدوران الصعود والتدهور الإسلامي وهويشير إلى العوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام أبان حياة الرسول – ص– وحياة الخلفاء الراشدين: "انتشر الإسلام بسرعة الضوء، ولم يكن انتشاره غزوا عسكريا، بل ثورة ثقافية وحضارية."[2]

ثم يشير إلى العوامل الرئيسية للصعود والازدهار فيقول : "لم يكن الإسلام دينا جديدا ولد مع نزول الوحي على الرسول –ص– بل كان خلاصة كل الأديان التوحيدية السابقة :

أ) هذه الآية في قلب القران (قل ما كنت بدعا من الرسل، وما ادري ما يفعل بي ولا بكم أن أتبع إلا ما يوحي إلي وما أنا إلا نذير مبين) سورة الإحقاق، الآية (9)

---

[1] راسل، **العالم كما أراه** ، ترجمة: نظمي لوقا (القاهرة: دار الهلال ، بدون تاريخ) ص 30 .

[2] روجيه جارودي، **الإسلام والخطر السعودي** ، ترجمة ودراسة سيد زهران (القاهرة: مكتبة مدبولي، د. ن) ص. ص. 8– 10

(ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذومغفرة وذوعقاب أليم) سورة فصلت: الآية 43.

ويقول أيضًا جارودي: " الإسلام هوالدين الأصلي للإنسانية جمعاء منذ نفخ الله من روحه في أدم: وسيدنا إبراهيم أب كل المؤمنين، وموسى وعيسى ومحمد ص كلهم أنبياء الله ورسل شريعته."[1]

أي إنه لا تعارض جوهري بين الإسلام والأديان الأخرى على خلاف ما حاول هوك مرارا أن يخبرنا به ويؤكده.

وعن أهمية الدين وبوصفه مصدرًا للاستقرار يتحدث الكاتب الأمريكي سيمور مارتن ليبست في حديثه عن الأسس والمؤسسات المدعمة للوحدة الاجتماعية فيشير في بادئ الأمر إلى شرعية النظام السياسي، ثم يتحدث بعد ذلك عن الدين فيقول: " الدين هومؤسسة... تتطلب مزيدا من الدراسات الجديدة، وتقوم العلاقة الأساسية بين الدين والإجماع، على الافتراض، أكثر من قيامها على اليقين . ويلاحظ توكفيل المراقب الفرنسي القديم للديمقراطية الأمريكية، أن أمريكا متدينة أكثر من أية دولة أوروبية أخرى، وإن هناك سببًا وراء العلاقة بين ثقافتها الدينية ومؤسساتها الديمقراطية، واليوم نجد أن هناك عددًا كبيرًا من المفكرين الأمريكيين على استعداد للموافقة على الافتراض القائل بأن الدين مصدر أساسي للاستقرار والديمقراطية.[2]

وتتفق معه في الرأي ماري سيجرز Mary C. Segers, في مقالها في"الدفاع عن الحرية الدينية" In Defense of Religious Freedom فتقول:" إن أكثر المعتقدات رسوخا لدى الإنسان هي المعتقدات الدينية. فبالنسبة لكثير من الناس، يعد

---

[1] نفس المصدر السابق ، ص. 10.

[2] سيمور مارتن ليبست ، **رجل السياسة ، الأسس الاجتماعية للسياسة** (تعريب المترجمون العرب (بيروت: منشورات دار الأفاق ، بدون تاريخ) ص. 18.

الدين هوجذور وأساس الحضارة والثقافة , إنه الأساس الروحي للحياة، الذي يمدنا ويوفر التبريرات والتفسيرات عن الموت . إنه الدين الذي يهب حياتنا المعنى الذي نحتاج إلى الشعور به، وبطموحات وآمال الإنسان في السلام، والتوافق والمجتمع والوجود الروحي، وهوالذي نجد فيه الرؤية الأخلاقية والقيم الأساسية كالخير، والعدالة، والمساواة . ولما كان للدين كل هذه الأبعاد العميقة فكيف نفصله عن السياسة؟[1] وتذهب إلى أن الدين هومصدر الحياة الديمقراطية فتؤكد سيجيرز Mary Segers ،على خلاف ما ذهب إليه هوك، أن الإحصاءات تشير إلى أن الولايات المتحدة المعاصرة هي مجتمع مؤمن. فحيوية الدين لها وجودها، بالمثل كتعدد الأديان. تقريبا 94% من الأمريكيين يعترفون بالإيمان في وجود الله، أوروح العالم، 90% لهم تفضيلات دينية، والأغلبية يقولون: الدين هام جدا في حياتهم. و70 % من الأمريكيين يعبرون عن اعتقادهم في الحياة بعد الموت، و65% يؤمنون بوجود الشيطان، و40% يصلون يوميا، وأغلبيتهم يترددون على الكنائس ، و40% يحضرون إلى الكنائس أسبوعيا. وترى المؤلفة أن هذه النسب تفوق بكثير أية دولة صناعية متقدمة مثل ألمانيا أوبريطانيا.[2] وبغض النظر عن الاحصاءت التي توردها سيجيرز؛ فإن قيمة الأديان ليست مبنية على عدد متبعيها أومؤديها؛ فهذا سبب نسبي معرض للزيادة والنقصان؛ فيمتها تعلوبكثير عن ذلك.

وتؤكد سيجيرز أن هناك ثمة علاقة بين الدين والديمقراطية الأمريكية فالدين يوسع ويزيد من فرص الديمقراطية . ووهي تعرض هنا ثلاثة أدلة:-

1) الدين والمشاركة السياسية: كيف يوسع ويزيد الدين من الممارسة السياسية في المجتمع الديمقراطي المعاصر؟! تقول الكاتبة:" في دراسته حول جماعات المصالح الدينية في السياسة الأمريكية أوضح آلين هرتز Allen Hertzke أن اللوبي

---

[1] Mary C. Segers, **In defense of Religious Freedom**. P. 53.

[2] Ibid

(جماعات الضغط) الدينية تعزز من الديمقراطية الأمريكية بإتاحة فرصة المشاركة في العملية السياسية لتلك الجماعات البعيدة عنها. وحث هيرتز Hertzke على أن الكثير من الأمريكيين يرتبطون بالكنائس طواعية أكثر مما قد يفعل طواعية أي اتحاد فردي آخر... فتصبح الكنيسة لهؤلاء المهمشين المنفذ الذي يعبرون من خلاله عن رغباتهم وطموحاتهم.

فالكنائس هنا تصبح القناة البديلة للتعبير عن معظم الأمريكيين العاديين الذين ربما لا يكون لديهم مصدر أووسيلة أخرى للتعبير بواسطتها عن آرائهم، ومثل هذه المشاركة السياسية من قبل الكنائس وجماعات الضغط الدينية يعزز من وجود الديمقراطية والتمثيل السياسي والمشاركة السياسية بجلب عدد أكبر من المواطنين في العملية السياسية، ومن أمثال هذه الجماعات الاتحاد المسيحي Christian Coalition، ويضرب هيرتيز Hertzke بمرشحي الرئاسة جيس جاكسون Jess Jackson وبات روبيرتسون Pat Robertson في انتخابات عام 1988، مثالا على سلطة الحركات الشعبية التي تدعمها الكنيسة.[1]

2) البعد الثاني في أبعاد العلاقة بين الدين والديمقراطية في المجتمع الأمريكي تتعلق بالطريقة التي بها يعزز ويطور الدين المواطنة السياسية الديمقراطية بتدريب الناس على المهارات المدنية من أجل مشاركة سياسية فعالة.

وهناك دراستان حديثتان تشير كل منهما كيف أن الكنائس في الولايات المتحدة تساهم على نحوملموس في عملية المشاركة السياسية. : أولهما: دراسة قامت بها ست مجموعات دينية لكن لا تنتمي إلى كنيسة بعينها ويديرها أستاذ وعالم الاجتماع جون كولمان John A. Coleman في مدرسة الجزويت ببيركلي بكاليفورنيا، فيقول إن هذه الجماعات تهتم بالعديد من الأنشطة المدنية بما في ذلك تنظيم المجتمع، والتركيز

[1] Ibid, p. 78.

على القضايا الحيوية التي تخدم المواطنين وخاصة الفقراء. وعن سبب انخراط تلك الجماعات بالتعاون مع الكنائس في مجالات العمل هذه يشير كولمان Coleman إلى إنه "لا تتواجد في أمريكا منظمة تنموتتطور حتى تصبح رأس مال اجتماعي مثل الكنائس".[1] وهذا الدور هوما يؤكد على أهميته كتاب علمانيين مثل علماء السياسة سيدني فيبرا Sidney Verba هنري برادي Hennry Brady , وسولزمان Sohlozman الذين وجدوا أن المنظمات الدينية تساهم في الحياة السياسية وذلك في مؤلفهما نداء المساواة Voice of Equality. [2] فاتباع الدين والتعاون مع الكنيسة أصبح محفزا على العمل التطوعي وبناء المجتمع وخدمة المهمشين.

البعد الثالث الذي يمكن أن يلعبه الدين في الحياة السياسية يتمثل في الدور الذي تلعبه الكنائس كهيئات اجتماعية وكمعوقات مؤثرة تقف أمام الطغيان السياسي والاجتماعي. فالدين هومصدر القيم الأخلاقية للمواطنين.

وفي دراستهما حول دور الدين في المجتمع تحت اسم " ثقافة عدم الاعتقاد" "In the Culture of Disbelief لجيمس ريتشلي A. James Raichley وستيفن كارتر، Stephen Carter يشتق Carter من اليكس دي توكفيل، ملاحظاته المشهورة حول الدين والسياسة الأمريكية، فيؤكد أن الدين يخدم وظيفتين أساسيتين في المجتمع الديمقراطي: **أولا:** من خلال التعليم والتوعية الاجتماعية socialization، يشكل الدين الجانب الأخلاقي للمواطنين.

ثانيا: تملئ الكنائس الفراغ الهائل بين الناس وحكوماتهم وهي التي تعمل على نحووقائي فيما بين الدولة والفرد ... فيمكن أن تعمل على نحومعتدل بين المواطن وسلطان الدولة

---

[1] Ibid, 83.

[2] Ibid, 84

... بما تقدمه من صوت أخلاقي مستقل..[1] هذا وتسترشد ماري سيجرز بعدد من رجال السياسة الذين ربطوا بين القيم الدينية والواجبات المدنية مثل:

جيس جاكسون Jess Jackson

فترى المؤلفة أنه مثال جيد على القادة السياسيين الذين لم ينفصل الدين لديهم عن السياسة وجاكسون لم ينظر إلى خصومه على إنهم أشرار أولأخلاقيين، فلم يدعٍ لنفسه قداسة خاصة وقد أكد أن الدين والسياسة لم ينفصلا عنده، إلا إنه لم يكن لاهوتيا Theocrat بقدر ما كان ديمقراطيا Democrat فلم يكن يسأل أسئلة لاهوتية : هل سيرضى الرب؟ ?Will God approve، وإنما كان يسأل أسئلة ديمقراطية مثل : هل سترضى الناس؟ وهل ذلك في صالحهم؟ " ومع ذلك فقد بنيت أفكاره على نحوديني تماما:" ففكرته عن قيمة الإنسان أساسها ديني تماما، فهويؤمن بأن كل المخلوقات البشرية من صنع الله، وهذا ما يكسبها القيمة والأهمية والكرامة إنها من صنع الله . وهذه الفكرة ذات المنطلق الديني هي ما جعلته يتوجه بحزم وصراحة إلى أن يشجع الكفاح سياسيا ضد التمييز العنصري، والتقليل من قيمة نوع، أوآخر.

وكذلك إيمانه بالاعتماد والتداخل المتبادل بين البشر وحكمه الله في خلق الناس والأشياء على نحومختلف حتى يتحقق هذا الاعتماد المتبادل والتداخل فيما بينهم ويأتي هذا الاختلاف من منطلق رعاية الله لمخلوقاته، وسياسيا تفتح العلاقات المتداخلة بين الناس المجال أمام إمكانية تشكيل الائتلافيات التقدمية، التي كانت أساس المدخل السياسي لـ Jackson : عرف بائتلاف قوس قزح Rainbow Collation . وتتركز الفكرة الرئيسية لدى جاكسون في وجود رؤى وشفافية vision كضرورة أساسية من أجل تحقيق الإنجاز الإنساني: "... فالرؤى هي التي تجعل الإنسان يحدد الأهداف والأمل في إنجاز هذه الأهداف وهكذا أعاد جاكسون تعريف العظمة القومية في

[1] See: Mary Segers, In Defense of Religious Freedom, pp. 84-86.

مصطلحات كيف نقدر شعبنا ونخدمه... فبالتالي ليس حجم المخابرات، وليست قوة الجيش هي التي ستكون مفتاح العظمة الأمريكية . وإنما كيف سنخدم نحن، كمجتمع، الفقراء، كبار السن، الأطفال، الضعفاء، والعاجزين، وهذا النوع من الرؤى لها تطبيقاتها على السياسات الحكومية حيث التركيز على التعليم والرعاية الصحية والأمن الاجتماعي والفقر والهجرة والرخاء والإسكان (للمشردين). وكما يرى جاكسون يجب أن تغلف السياسة بالرؤى . ولا يخفي جاكسون الجذور الدينية لأفكاره هذه.[1] تلك الأكفار التي لا تتعارض مع المبادئ الإنسانية والأخلاقية التي تحث على التقدم والإخاء والعدالة.

وهكذا فإذا كان هوك ادعى أن الدين مناهض للديمقراطية فقد تواجد من المفكرين من داخل ثقافة هوك نفسها أي من المفكرين الأمريكيين وكذلك الغربيين من خالفه الرأي . بل وتواجد من السياسيين من ربط بين الحياة السياسية وبين تصوراتهم الدينية المعتدالة المنحازة للرخاء الإنساني.

رابعًا: مصدر الأخلاق عند هوك

إذا كانت الأخلاق هي مجموعة من القوانين المطلقة التي ***تفرض*** علينا ما يجب فعله.[2] كما يعرفها إيمانويل كانط، فإن ديوي يقول يؤكد أن الأخلاق ليست كتالوجا أوتصميما لأفعال ما ويست مجموعة من القواعد تطبق كيفما تطبق الوصفة الطبية، وليست كذلك كتاب طرق الطهي. وتكمن أهمية الحاجة إلى وجود منهج في علم الأخلاق كي يساعد في تحديد موضع الصعوبات والشرور، منهج يستخدم كوسيلة لتشكيل الخطط كي يتم استخدامها كافتراضات مثمرة ذات فعالية للتعامل مع كافة

---

[1] Ibid, p. 86.

[2] إيمانويل كانط ، **مشروع السلام الدائم**، ص. 72.

الصعوبات والشرور."[1] ويتمثل الفرض الأول للإنسانية العلمانية في أن القيم الأخلاقية ترتبط بالخبرة الإنسانية وبالطبيعة الإنسانية. أي أن القوانين التي تفرض علينا ما يجب فعله –وفقا للإنسانية العلمانية– ليست بحاجة إلى أن تشتق من أي أسس ميتافيزيقية أولاهوتية ويتضمن ذلك الفكرة القائلة بأن الأخلاق مثل العلم تمثل مجالا مستقلا للبحث[2]. فكان الفلاسفة اليونانيون يرون أن الحياة الخيرة يمكن أن تتحقق فوق الأرض، وإن مهمة العقل هي الكشف عن الحالات التي تمكننا من إدراك السعادة.

1- الأخلاق ليس لها مصدر متعالٍ*

فالمبادئ الأخلاقية لا تستمد وجودها من وجود الله ليس لأنه ليس مؤمنا بوجود الله –كما سبق الإشارة– فحسب بل لأن حتى وجود الله لا يستتبعه الإيمان في خيريته فيقول : "لا يشتق الخير goodness والعدالة... من وجود الله، فوجود الله لا يستلزم أن يكون خيرًا."[3]

ويقول في هذا الصدد بول كارتز: "إن الالتزام الأخلاقي ليس بحاجة للاعتماد على مصادقات إلهية. في الواقع إن فعل شئ ما بسبب أنه من وصايا الله لهوأمر غير أخلاقي بالمرة بل أنه يعوق الوعي الأخلاقي والناضج. لقد كان خطأ أخلاقيا أن يضحي إبراهيم بابنه أسحق لأن الله أمره بذلك. لقد لاحظ أفلاطون في Euthyphro إن الشيء لا يعد جيدا لأن الآلهة قالت ذلك، وإنما هم يقولون ذلك لأنه جيد."[4] يدل

---

[1] John Dewey, **Reconstruction in Philosophy "A mentor Book"** (New York: The New York American Library of World Literature Inc., 1954). Fifth Printing. P. 136.

[2] Paul Kurtz, p.161

*يتم عرض أفكار هوك حسب ما تقضيه موضوعية وأمانة العرض دون اتفاق مع آراء الفيلسوف المقدمة أعلاه.

[3] Sidney Hook, **the Quest for Being**, p. 98.

[4] Paul Kurtz, p. 161

مثل ذلك الرأي على قمة الثقة في العقل الإنساني يقابله فقدان الثقة تماما فيما عدا ذلك!

ويشير بول كارتز إلى هوك وإلى كل من نيتشه وماركس وفرويد على أنهم نظروا جميعا إلى الأديان على أنها تفرض رقابة صارمة على قول الصدق، وإنها تمثل كبح جماع للفردية وتعارض التقدم وتضاعف الضعف الإنساني وتقنع الإنسان بالسلوى والعزاء بدلا من تشجيعه على بذل الجهد المطلوب لتحسين حالته. ويستشهد كارتز هنا بما جاء في البيان الإنساني الثاني:" لن ينقذنا إله ما، وإنما نحن الذين يجب علينا إنقاذ أنفسنا." فنحن مسؤولون عن مصيرنا الخاص، ولا نستطيع البحث في الخارج عن إغاثة أوإنقاذ.[1] " تتمثل فضيلتي انطلاق الإنسان في المعرفة والشجاعة على عكس الجهل والتبعية: وتركز هنا الأخلاق الإنسانية على الحرية الإنسانية بإنها تشجع النموالفردي والتنمية. وتركز على الحاجة إلى التحكم في مصيرنا، والحاجة إلى إرادة تحمل المسئولية عن خططنا ومشاريعنا، أن تقتحم العالم ليس فقط بفهمه أوبعشقه وإنما بتشكيله بإرادتنا، إنها تؤكد الاستقلال والجسارة.

ولكن وعلى خلاف وجهه نظر هوك هذه والتي أكد فيها أن الأخلاق لا تستمد من مصدر علوي هناك من خالفوه الرأي مثل فرانشيسكوسوارز (1548 – 1617) الذي تقوم فلسفته على أسس أرسطية مسيحية. ويذهب سوارز – كما يعرض وليم جيمس – إلى أن اللاهوت لا يعد جزءا من الفلسفة، بل هوعلم أسمى يستمد مبادئه من الوحي الإلهي، والإنسان في نظره مخلوق حر مسؤول عما يصدر عنه من أفعال بمحض اختياره، ويكون الإنسان على إحاطة بالمبادئ الأصلية من القانون الإلهي حين يحسن استخدام عقله[2]. وعلى ذلك فالقانون الإلهي يعدو– بعد معرفة الإنسان له على هذا

[1] See: Paul Kurtz, p. 162.

[2] وليم جيمس ، ص. 43 .

النحو– قانونا طبيعيا للأخلاق، والأخلاق عند سوارز تزود التعاليم المسيحية الأخلاقية بأساس عقلي.

ومع إن الإنسانية العلمانية تؤكد استقلال الفرد إلا إنها تؤكد – كما يشير كارتز– إلى أن أكثر الخيرات الإنسانية استدامة هي تلك التي نشارك فيها مع الآخرين . إن معظم مشاريعنا تضم أشخاصا آخرين. فمصلحة النفس ليست في إطار حياة الشخص فحسب ؛ فقدر من الإيثارية لهوأمر جوهري لوجودنا. ومن ينبعث مفهوم المساواة والعدال. ويشير كارتز إلى أن الإنسانية العلمانية المعاصرة تؤكد الأخلاق الديمقراطية . فقد أدركت كما يذهب كارتز أن الحقيقة الأخلاقية هي حاصل الأخذ والعطاء وسط المفاهيم المتنافسة للحياة الخيرة. وهكذا ينبغي علينا أن نبيح الحقوق لكل الأفراد – طالما إنها لا تضر الآخرين– مع أنه قد لا نوافق على قيمهم الأخلاقية ونحفظ لهم حق تعليم وتعديل أذواقهم ومفاهيمهم من خلال الإقناع، ويفرض ذلك إننا نستخدم معهم التفاوض السلمي، أكثر من استخدام العنف أو القهر[1]، فللتحكم في الاختلافات التي نحاول الوصول إلى حكم نهائي لها ينبغي علينا توسيع معرفتنا وكشفنا للحقائق الأخلاقية.

لأن هوك رفض الإيمان بأي أديان تستند على غيبيات، لعدم خضوعها – حسب رأيه– للنقد والبحث العلمي، فقد نأي أيضا بالأخلاق من أن تُستمد من أي مصادر علوية، ومن ثم أعلن أن الأخلاق والقيم الأخلاقية تخضع للمنهج العلمي مثلها كمثل الطبيعة المحيطة بنا وهو هنا ينطبق عليه ما ذهب إليه وليم جيمس في حديثه عن التجريبيين وذلك في كتابه "بعض مشكلات الفلسفة" حيث ذكر أن التجريبيين هم أكثر الباحثين ارتباطا بالعلم، ويظنون أنه ينبغي البحث عن طابع العالم في تجاربنا المحسوسة وأن هذا الطابع قائم في الفروض المؤسسة على هذه التجارب وحدها دون

[1] Paul Kurtz, p. 163.

غيرها، ويؤكد جيمس على أن رفض الاعتقاد بشيء ما لم تقم البينة عليه، هوقاعدة المذهب العقلي،[1] ينطبق هذا الوصف بشكل أوبأخر على سيدني هوك الذي يقول: " إنه إذا كانت الأديان تنطوي على إيمان فإن الإنسانية العلمانية تنطوي هي الأخرى على الإيمان: إنه الإيمان بالعلم في مقابل ما يقدمه المتدينون مما لا يقوى على الصمود أمام التجربة." [2]فإيمانه بالمنهج العلمي يفوق أي إيمان وهوعلى يقين من أن المنهج العلمي قادر على الاستكشاف والتجريب وتحقيق رخاء الإنسان.

فيدعم إيمان هوك بالبرجماتية وجهه نظره حول إمكانية تطبيق المنهج العلمي على كل شئ بما في ذلك القيم والأخلاق وقد كتب هوك عن البرجماتية كفلسفة حياة تهتم بشئون الإنسان بأنها: "تؤمن أن منطق وأخلاق المنهج العلمي يمكن بل وينبغي أن تلتمس كل شئون الإنسان[3] "، ويتضمن ذلك إنه من الممكن للإنسان أن يقيم تأكيدات موثوق بها حول القيم تماما مثل تلك التي تقام حول الحقائق."

ويؤكد ميلتون كونفيتز أن هوك رأى إمكان تطبيق أحكام المنهج العلمي على القيم values فكما يقول كونفيتز مع أن برجماتية هوك تدرك أن هناك اختلافات بين موضوعات الحقيقة وموضوعات القيمة وأن هذه الأخيرة تتطلب استخدام مناهج مختلفة للبحث والاختبار من أجل الحصول على معرفة موضوعية أكيدة بصددهم، فمع ذلك تؤمن البرجماتية بأنه من الممكن الحصول على معرفة موضوعية ليس فقط حول أفضل الوسائل المتاحة من أجل الحصول على غايات مسلم بها[4] ، ولكن أيضا حول

---

[1] أنظر: وليم جيمس ، **بعض مشكلات الفلسفة** ، ص. 203

[2] Hook, the Quest for Being, p.78.

[3] See: Milton Konvitz : **Sidney Hook: Philosopher of the Moral – Critical Intelligence**, pp. 8, 9.

[4] Ibid, p.7

أفضل الغايات في المواقف المتشابكة التي تتنازع فيها الغايات أو تصبح موضوعاً للصراع.

ولكن ماذا لو كان استخدام المنهج العلمي يحتمل الخطأ؟ يرد هوك بأن الخطأ لن يكون على نفس درجة الخطأ التي سنقع فيها لو استخدمنا مناهج أخرى طالما كان المنهج العلمي يصحح نفسه بنفسه[1] self-corrective فعوامل الخطأ ستتراجع طالما استمرينا في استخدامه.

ولكي يؤكد هوك موقفه المتشكك في أن تكون الأخلاق من مصدر متعالٍ أورد نموذجين للتفكير الوجودي الديني existentialism religious thinking في القرنين التاسع عشر والعشرين حيث يوجد لكل منهما موقف أخلاقي مختلف: فيشير إلى أنه من الافتراضات الشائعة أن الدين والأخلاق يدعمان توجهات بعضهما البعض، وعلى الرغم من الاختلافات التي تدور حول ما يتم تأكيده فإنهما يعبران عن نظرة عامة تخص الإنسان بمكان متميز في عالم منظم، لقد كانت العلاقة بينهما تاريخيا علاقة تآلف تعريف الدين على طريقة أن كل موقف أخلاقي أولا أخلاقي قوي هو ديني ويختفي الفرق أو التمييز بين التوجهات الدينية والأخلاقية."[2] ويقصد هوك بهذين الاتجاهين: التفكير الديني والأخلاقي لدى كل من سورين كيركجارد Soren[3]

---

[1] Sidney Hook, **Reason Social Myths and Democracy**, PP. 7-9.

[2] See: Sidney Hook, **The Quest for Being**, p. 136.

[3] سورين كيركجارد (1813 – 1855) فيلسوف دانمركي ، رباه والده سورين تربية دينية قوية ،التحق بجامعة كوبنهاجن عام 1831 وكرس نفسه لدراسة اللاهوت والتاريخ والأدب والفلسفة ، وعلى الرغم من ارتباطه عاطفيا بفتاة تدعى ريجينا أولسن ، وعقد خطبته عليها ، إلا أنه رأى أن إتمام الزواج سيبعده عن تحقيق رسالته الدينية، ففسخ خطبته بها وضحى بخطيبته على غرار تضحيته إبراهيم بابنه في سبيل إرضاء الله . ويعتبر من رواد الفلسفة الوجودية في القرن الثامن عشر ، من مؤلفاته : التمرس بالمسيحية ، وفي فحص الذات ، والمرض حتى الموت. أنظر : علي عبد المعطي ، تيارات فلسفية حديثة (الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، 1995) .

Kierkegairot ولودفيج فيورباخ Ludwig Feuerbach : يذهب هوك إلى أن كيركجارد يتوجه نحوالعناصر المتعالية المحيطة بكل التجربة الإنسانية، أما الثاني فيعتبر التجربة الإنسانية هي رحم كل الأديان، ومع أن تجربة كل منهما تناقض الأخرى، إلا أنهما معا كانا ردود فعل ناقدة للمنطقية المثالية لهيجل، ويشير هوك إلى أن كيركجارد وهوالفيلسوف الوجودي – تتمثل نقطة الانطلاق عنده من خبرة الإنسان الذاتية. أما فيورباخ فهووجودي راديكالي أكثر من كيركجارد ويفسر الاعتقادات الدينية للإنسان بأنها أعراض للاحتياجات والاهتمامات الإنسانية وهي أيضا تحرر من الانشغالات الضاغطة، فبالنسبة له يعد "سر اللاهوت" أنثروبولوجي، والدين هوحلم العقل الإنساني ولكننا حتى في الأحلام لا نجد أنفسنا في خلاء أوحتى في الفردوس، ولكن على الأرض في الحياة الواقعية."[1]

ينتقد هوك الوجوديين بأنهم لم يستندوا في تجربتهم إلى منهج أمبريقي ويعلق بأن وجهة النظر الكيركجاردية صحيحة في الإشارة إلى أنه يتواجد مرجع لا مفر منه بالنسبة للإنسان في كل أعماله من الفن إلى علم الفلك والدين، فحقيقة أن علم الفلك هواجتهاد ونشاط للإنسان لا يمنع حصولنا على موضوعية لسلوك الأجسام ولكن عنصر الذاتية هذا لا يعد بالتأكيد شرطا كافيا للمعرفة، وإلا لن يكون هناك اختلاف بين الخبرة التي يتم التحقق منها والهذيان في أي مستوى . فالطريقة الوحيدة التي تتحقق فيها الموضوعية على ضوء الخبرة الإنسانية تتمثل في البرهان الإمبريقي والتعقل reasoning، وكلاهما رفضه وجودي هذه المدرسة، فترك ذلك أمامهم الطريق مفتوحا للتمسح بشفاعة الدين unmediated "leap" of faith، والاعتماد على "المفارقة"، وما هو بمستعصي عن التفكير العلمي، وتعظيم "اللامعقول"، ورفض تطبيق

[1] See: Sidney Hook, The Quest for Being, pp. 139 - 141.

أي أنواع من المنطق أوالفكر المتعقل على ما يطلق عليه أنه " من الوحي[1] revealed .

ويشير هوك إلى أنه على الرغم من أن تطور فيورباخ أخذه بعيدا عن الفلسفة الهيجلية للدين أكثر مما كان عليه كيركجارد، فإن كيركجارد هو الذي كان أكثر ثورية ضد الإرث الهيجلي عن العقل والوحدة النظامية للعالم الملموس، وكان فيورباخ هو الأقرب لهيجل لأنه مثلما فعل هيجل رفض الثنائيات، والابستمولوجيا ميتافيزيقيا كانت أولاهوتية، لقد كان موقف فيورباخ تجاه الدين حساسا يملئه الإجلال والوقار فهويعتقد أنه من المظاهر التي لا يمكن تقليصه للخبرة الإنسانية مهما كانت صورها... "ما كان بالأمس يعد دينا، لم يزل كذلك اليوم: وما يعد اليوم إلحاداً سيكون غداً دينا." ويتمثل الاختلاف الجوهري بين مدخل الإيمان الوجودي ومدخل الإنسانية الوجودية للدين في مفاهيمها للأخلاق.

وترى الإنسانية ولاسيما بعد التطورات الفيورباخية، الدعوة الأخلاقية للإنسان تتمثل في إعادة تشكيل العالم والذات على ضوء التمسك الواعي بالمثل الأخلاقية التي تدعمها عاطفيا وجماليا الأساطير والطقوس الدينية. وقد تناول كيركجارد بتحليل واضح قصة إبراهيم وإسحاق في كتابه Fear and Trembling : يرى كيركجارد أن أمر الله إلى إبراهيم بأن يضحي بابنه الوحيد العزيز على نفسه اسحاق• من أجل الله يتناقض

---

[1] Ibid, pp. 13 - 139.

• من منطلق موضوعية البحث يتم عرض عدد من الآراء على مسئولية قائليها دون أدني اتفاق معها ، ومنها ما يتعلق بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وإقدامه على ذبح ابنه إسماعيل لولا أن فداه الله عز وجل بكبش عظيم ، فسيدنا إسماعيل إذن هومن أقدم سيدنا إبراهيم على ذبحه، من منظور الدين الإسلامي، وليس سيدنا إسحاق كما ورد أعلاه . ويمكن هنا الرجوع إلى نص القرآن الكريم صورة الصافات يقول المولى عز وجل : " فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ {102} فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ {103} وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ {104} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {105} إِنَّ

مع واحد من أعلى المبادئ الأخلاقية فاختبار إيمان إبراهيم الديني كان بمثابة نيته على نقض واجبه كأب وزوج ومواطن وإنسان رحيم كل ذلك كي ينفذ واجبه المطلق تجاه الله. وهذا الـ teleological suspension of the ethical قد أعلى من قدر إبراهيم في عين كيركجارد في مكان يعلوا أماكن الأبطال الذين ضحوا بأبنائهم من أجل الخير العام. إنهم من أبطال طغت على بطولتهم المأساة: فقد أعلوا من العام وفضلوه على الخاص، بيد أن إبراهيم ليس بالبطل الذي تعلوحكايته المأساة فيجب أن ينظر إليه –كما يقول كيركجارد– على أنه قاتل من وجهة النظر الأخلاقية أومؤمن حقيقي من وجهة النظر الدينية. ويرى هوك أن تقرير كيركجارد هنا قوي وأمين، فهويعترف بأن إبراهيم " يتصرف" بمنطق اللامعقول virtue of absurd (من أجل طاعة الله) فموقف إبراهيم يعلوعلى الفهم ومع ذلك أعجب به كيركجارد أشد الإعجاب.

ومن موقف كيركجارد ينطلق هوك إلى موقف فيورباخ الذي سيفسر القصة بشكل مختلف تماما، فسيذكر أولا على خلاف كيركجارد أنه لم يكن هناك أي انفصال أوهروب من الأخلاق، فكلنا مسؤولون عن أحكامنا وما يترتب على أحكامنا من عواقب، بغض النظر عن اعتقادنا عما يكون عليه المصدر الخارجي لواجبنا الأخلاقي. وهنا يتضح إتباع وجهة النظر الفيورباخية وجهة النظر الكانطية. فعندما استعد إبراهيم، والسكين بيده، للتضحية باسحاق يقول النص المقدس إن ملاكا من عند الله أمره بأن يكف يده. فكيف عرف إبراهيم أن هذه الرسالة كانت رسالة من عند الله Lord وليست من عند إبليس Satan، أوإن ذلك لم يكن صوت حنينه وتعبير عن أمنية حزينة لأب محب أن لا يحرم من ابنه؟

هَذَا لَهُوالْبَلَاء الْمُبِينُ {106} وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ {107} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {108} سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ {109} كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {110} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {111} وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ {112}.

تتمثل الإجابة الإنسانية الوجودية بأن إبراهيم يعزي مصدر هذا الأمر إلى الله، وليس إلى إبليس، لأنه هوالذي وجده خيرا good command . فكل أمر يؤكد أن الخير هو ما يأمر به الله يفترض مسبقا بأن لدينا معرفة مستقلة عن الخير أوالشر كي ننسب الخير إلى الله والشر إلى إبليس. لقد أعاد تقديم أمر الملاك الذي من عند الله أعاد تقديم ميلاد بعد أخلاقي جديد في الإنسان، في إبراهيم، يحث أنه ليس من الضروري التضحية بالحياة الإنسانية من أجل الشكر، أوالخوف من من ينسب إليه الخلق. ولاشك أن وصية التضحية بإسحاق تعكس سلوك تصرف ديني بحت. بعد قصة إبراهيم – إسحاق، فحتى كيركجارد سيحكم بالتأكيد على الرجل الذي ينوي التضحية بابنه أوبأي نفس إنسانية أخرى في سبيل الآلهة Gods ، سيحكم بمعاني مختلفة. فعزم إبراهيم على تنفيذ الأمر الأول يمكن تبريره فقط لأنه يعرف أو يؤمن بأنه أمر إلهي مقدس ولأنه مجرد يعلم أويؤمن أن الآمر الإلهي هومصدر الخير .

سيعتقد فيورباخ، وهو ما اعتقده حقا، أن الناس يخلقون صورة لله في تخيالاتهم الأخلاقية الخاصة، وإن الأخلاق مستقلة عن الدين، وأنه وإذا كانت الاعتقادات الدينية والرموز الدينية ربما تدعم القيم الأخلاقية فإن هذه الأخيرة لا يمكن أن تنشق وتنتج من الصواب بالطبع أن كل لاهوت يتبنى أخلاق ما، ويقوده ذلك إلى الاعتقاد بأن هذه الأخلاق، مهما كانت، هي الحق، إن السؤال الذي يبقى مطروحا هوإذا ما كانت الإنسانية الوجودية هي أيضا شكل آخر من عبادة الذات idolatry فإذا كانت المثل الأخلاقية ترتبط وتتبع المصالح الإنسانية، ألا يكون إتباع الإنسان للخير هو علاقة وعبادة للخير كما تجسده طبيعته الخاصة؟ ويجيب هوك ليس هناك شك أنه في بعض الأحيان يكون الوضع كذلك. ولكن هذا ما لا ينبغي أن يكون. إن الناس باعتبارهم لمثلهم على إنها معايير، ربما ينشدون من نفسهم الحالية نفسا متطورة متقدمة لما عليه الأشياء والناس الموجودين حاليا إلى ما يمكن أن يتواجد أويكونوا. ربما ينتقدون البناء

الذاتي من خلال وضع المصالح المشتركة مع الآخرين، والتي تشكل أسس المجتمع[1]. ويكفل الزمن أنه مهما كان العالم الموجود أو الذي سيتواجد، فإن رؤى جديدة للسموالإنساني، ستمنع الناس من تعريف قيودهم بحدود وقيود الإمكانيات الإنسانية.

2- أحكام القيم

رأى هوك أن الأحكام الأخلاقية يمكن إخضاعها للاختبار وقد استمد فكره هذا من فكر جون ديوي ويشير هوك إلى ديوي وفلسفته الأخلاقية بإنه لا يهذب الأخلاق ولا يحض على الفضيلة أويرسم صورة للحياة الخيرة لأصحاب الفضائل. أويقدم كتابا على هيئة وصفة "روشتة" للتعاليم الأخلاقية كي يتم استخدامها كمرشد في المشكلات الإنسانية القائمة. وبدلا من ذلك يرسم منهجا للموقف يساعد هؤلاء الذين يتبنونه على أن تكون لديهم بصيرة بالطريقة التي تؤدي بها الأحكام الأخلاقية وظيفتها ومن ثم اختبار أحكامهم الأخلاقية علميا." ثم يتحدث هوك عن كيفية اختبار الأحكام الأخلاقية فيقول: تبدوعبارة " أن تختبر الأحكام الأخلاقية علميا" وهي تشتمل على شيئين تحاشهم معظم الإرث الفلسفي السابق. فقد علم أصحاب الفكر المطلق أن الغايات النهائية للسلوك الإنساني تجاز وتصدق بواسطة أما الحدس أو الإلهام أوما وراء العلم، ذلك لأن صدقهم لا يعتمد على مناهج البحث العملي، الذي يعطي في أحسن الفروض نتائج محتملة فقط عن حالات الواقع عن "ما هو موجود" أكثر من أن يكون عن " ما ينبغي أن يكون" أما الأخوة أصحاب الفكر المطلق اللاهوتيين فكانوا واضحين جدا في هذا الصدد، " إن ما نحتاجه " كما يقولون "يطالبون" هو القديسين وليس العلماء، وقد جادل النسبيين بأن الغايات النهائية للسلوك الإنساني تعتمد

[1] See: Sidney Hook, **The Quest for Being**, pp. 140 - 142.

وتصدق، ولو بشكل كامل، بواسطة بعض المعايير الأحكام fiat الاجتماعية والشخصية العرفية – السلطة أو الرغبة أو العاطفة.[1]

مثل برتراند رسل عندما أوضح ذلك في واحدة من حالاته المزاجية: " إن العلم ليس لديه ما يقوله عن "القيم"... فالأسئلة التي حول التقييم تكمن تماما خارج سيطرة المعرفة ... فعندما نؤكد على أن هذا الشيء أوذلك له " قيمة" فأننا نعطي تعبيرا عن مشاعرنا الخاصة." [2] وتبعا لديوي تتمثل المشكلة الأساسية للفلسفة في العلاقة التي تتواجد بين الاعتقادات حول طبيعة الأشياء وفقا للعلم الطبيعي والاعتقادات حول القيم. ويشير هوك هنا إلى أن هذه ليست فقط المشكلة الرئيسية للفلسفة وإنما أعمق مشكلات الحياة المعاصرة. " فمشكلة إيجاد تآلف وتعاون بين اعتقادات الإنسان عن العالم الذي يعيش فيه واعتقاداته عن القيم والأغراض التي ينبغي أن توجه سلوكه، هي أعمق مشكلة في الحياة الحديثة، في مجال العلم، تم تطوير نموذج عام للبحث مختص بتحقيق التآلف والاختبار لمعتقداتنا حول طبيعة العالم. فهل من الممكن أن يتواجد منهج مماثل يعمل بفاعلية في مجال التقييم الأخلاقي بحيث، بدون استحضار أي عنصر "متعالٍ" فوق الطبيعة supernatural، يجعل القرارات الأخلاقية أكثر ذكاءً وأفضل تأسيساً، وأقل خضوعا للنزوات؟ تتمثل افتراضات ديوي في إمكانية تطبيق أسس المنهج العلمي العقلي بالمثل في مجال الأخلاق، كما يتم تطبيقها في مجال الطبيعة، وفي أي موقف محدد، بواسطة استخدام مناهج التحليل العقلية، يمكن إقامة نمط سلوكي "أفضل" من غيره.[3]

ومع ذلك، فإن السؤال الذي تقريبا يطرح نفسه في الحال هو: كيف يمكن اختبار المعايير أو الغايات؟ أفترض أن القرارات الأخلاقية لا يمكن أن تكون في أمان على ضوء بعض الغايات. فهل الامتلاك المحض أوالاستمتاع المحض بمعيار أوغاية يعد

---

[1] Sidney Hook, **John Dewey: Intellectual Portrait**, p. 127.
[2] Sidney Hook, **The Quest for Being**, 142.
[3] Sidney Hook, **John Dewey: Intellectual Portrait**, p. 129.

كافيا؟ هل يبرر القرار أخلاقيًا لوتم التصديق عليه بواسطة معيار؟ يمكن لأي طول أن يفيد كمقياس للمسافة، فهل يمكن لأي معيار أن يفيد كمقياس للحياة الخيرة، فإذا كان ذلك ممكنا فإن تطبيقه سيكون مبدئيًا سهلا مثل تطبيق قاعدة أومعيار (مقياس). وسيكون غير سديد لما هووبشكل فاصل أخلاقيا في الخبرة الإنسانية، فالمداولة، إذا حدث ذلك بشكل عام، ستشغل نفسها بدرجة كبيرة بالكيفية التي ينبغي بها تطبيق المعيار، وليس بإذا ما كان ينبغي تطبيق هذا المعيار أوبعض المعايير الأخرى. بكل تأكيد إذا كانت المعايير والغايات فوق النقد، فإنهم جميعا يقعون في نفس المستوى. فكيف نبت بينهم؟ فماذا سيعني قولنا، كما نقول، أن واحداً أفضل من الأخر؟ فهل هذا هو الأقوى بشكل صرف؟ أو أن هذا ما نحبه؟ أفحص أي معيار خاص أوغاية التي كما يزعم واضحة بذاتها يوجد لها تاريخ ويوجد لها مغزى اجتماعي وشخصي. ولها نتائج قاطعة. فيمكن الكشف عن العلل السيكولوجية والاجتماعية لقبولها. وغير متوافقة مع معايير أو غايات أخرى، أليس لكل ذلك علاقة بالسؤال عما إذا كان ينبغي أن نتبنى هذا المعيار أكثر من غيره؟[1]

هناك طريقان شاملان ربما يمكن بهما نقد المعايير أو الغايات؟ الأول ميتافيزيقي، والثاني أمبريقي، ربما نقول أنه أما أن تبرر هذه المعايير بواسطة "حدس عالي، بطبيعة الحقيقة، بقاعدة العقل (حيث يعني "العقل" التوافق التام وليس البحث العلمي) أويتم التحقق من المعايير بشكل أمبريقي في الممارسة. والأخيرة هي وجهة نظر ديوي. وهنا يشير هوك إلى عدة نقاط تتعلق بالموقف الأول فيقول: " إن نقد المعايير أوالغايات بالاستناد إلى الحدس الأعلى يثير حول الحدس نفس نوع الأسئلة التي أثيرت حول قيم النظام "الأقل" يثيرها حول الحدس، حتى لوكانت الأحداس العليا وبشكل معلوم في

[1] Ibid, pp. 129 - 130

تشاحن مع بعضها البعض، فإن الكثيرين يعتقدون بأنها ليست مباركة ببعد النظر"ببصيرة" تمتد إلى مستويات أعلى من خبرة العالم الطبيعي، لم يتم الإشارة إلى منهج يمكن بواسطته أن تؤكد الأحداس في القضايا المشكوك فيها إلا بواسطة عملية يطلق عليها أحيانا اعتماد أو تشريع لتمييزها عن التحقيق verification التي تتحول في التحليل كي تكون تكنيكا يحقق بنجاح وضعا خاصا مثل الحقائق العامة. إن علم النفس ومفهوم المعنى، ونظرية الطبيعة الكامنة خلف هذه الفلسفة الأخلاقية يفترضون جميعا مسبقا ميتافيزيقيات تتطلب حقائقها الأساسية منهجا خاصا غير أمبريقي، وحتى بعض الأحيان فرعا خاصا من المعرفة، كي يتم توقعها (فهمها) . وما يدعو للسخرية حقا، بعيدا عن تناسي النسبية الذاتية تفرضها، مدرسة الفكر هذه، على باب المدخل الأمبريقي للأخلاق، فإنها تعطي بواسطة المطلقات المتزايدة، أسس مبدئية لصراعات دائمة حول القيم.

الموقف الأمبريقي من الأخلاق:" يتساءل هوك:" كيف يمكن اختبار الغايات أو المعايير في الممارسة inaction إلا باستدعاء غايات أو معايير أخرى تؤخذ على أنها نهائية؟ إن إجابة ديوي على هذا السؤال قاطعة، وهي إجابة أيضا على الاعتراضات الرئيسية التي أثارها النقاد. لقد بدأ بالإشارة إلى أن الغايات التي تفترض هنا على إنها نهائية هي أفكار تتحدد معانيها بنفس الطريقة التي تتحدد بها معاني الأفكار الأخرى أي بواسطة نتائجهم. فنحن لا نستطيع القول بأننا نعرف حقا ما تكون عليه غاياتنا (ما هي غاياتنا) قبل التوجه نحوالنتائج المحتملة لتنفيذهم، مثل خطط الممارسة . فنحن ننتقد غاياتنا بالبحث عن النتائج المترتبة على استخدام الوسائل المصممة لتحقيقهم. وحيثما يكون الفعل ذكيا ومسؤولا، تكون الوسائل جزءا من الغاية[1]؛ فنحن لا نعرف بالضبط الغاية التي اخترناها إذا لم نفهم قطار العواقب (النتائج) المتوافقة المرتبطة التي تسببت بحدوث هذا الاختيار.

[1] Sidney Hook, **John Dewey: Intellectual Portr**ait, p.131 - 133.

وفي تأكيد هوك إمكانية إخضاع أحكام القيمة للمنهج العلمي حيث يتضح هنا تأثره بديوي انتقد بعض الكتاب الذين يذهبون إلى أن ما يطلق عليه "أحكام قيمة" *judgment of value* أي أحكام حول غايات الفعل الإنساني، حول ما ينبغي أو ما لا ينبغي أن تكون عليه الكائنات البشرية، هي جميعا أحكام خاوية المعنى، لأنه ليست هناك طريقة يمكن من خلالها اختبار إذا ما كانت هذه الأحكام صادقة أم كاذبة. ويؤكد هؤلاء أيضا على أن أحكام القيمة هي تعبيرات حرفية عن العواطف.

بل ليس هناك معنى لأن نطلق عليهم صادقين أو باطلين شرعيين أوغير شرعيين فيمكننا تفسير عللهم، ويمكننا تفسير متى ولماذا وأين يظهرون. ولكن هم أنفسهم كتعبيرات ليسوا جمل ذات معنى، فهم لا يقلون شيئا ولا يطبقون شيئا ولا يتوقعون شيئا. يرى هوك أن هذه النتيجة ليست مرضية، فمن أسباب تنمية علم المجتمع في شكل توقعات يمكن الاعتماد عليها هوإنه ربما يمكننا التحكم بذكاء في البيئة كي نبني العالم المرغوب بالنسبة لنا أكثر من ذلك العالم الذي نعيش فيه، فإذا كانت أحكام القيمة خاوية المعنى، فلن يمكننا القول بقوة وثقة إن حالة أعمال وشئون معينة أفضل من غيرها. وستكون كل التفضيلات على نظام واحد مبدئيا ونهائيا، ولن يكون هناك من هومخطأ لأنه ليس بالإمكان أن يكون هناك من هوعلى حق، بل وأكثر من ذلك كل الفلسفات الاجتماعية الرأسمالية الليبرالية الاشتراكية الفاشية وكل الحركات التي أنشئت حول هذه الفلسفات تؤكد غايات وأهداف ومثل متباينة ومن أجلها تحثنا على إتباع طريقة ما أو أخرى، فكيف نفاضل بينهم؟ لا يمكننا أبدا تفادي الاختيار حتى لوكنا سنختار الحالة والوضع القائم. فهل هذه الاختيارات هي اختيارات تعسفية؟ هل لا يتواجد أي دليل يدل على توفيقنا في الاختيار؟ هل يمكننا الاعتقاد بجدية أن تقول إنه في موقف ما يعتبر السلام أفضل من الحرب، أو العكس بالعكس[1]، فالمدخل الآخر

[1] See: Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy**, p. 28-29.

هو ما يتصل بأحكام القيمة ويتصل بالجوانب الأمبريقية ولا يقدح أو يقلل من هذه الأحكام أو ينظر إليها على إنها معدومة المعنى.

إن حكم القيمة كحكم الأحسن أو الأسوأ، هو فرض يشكل في سياق موقف حالي تظهر فيه الحاجة أوالنقص أوالمصلحة. ويؤكد على أنه إذا ما حدثت عمليات وإجراءات معينة، فإن النتائج ستكون تلك المتمثلة في إشباع الحاجة أوالنقص أوالمصلحة. فالمثل والقيم، إذن –كما يخبرنا هوك– هم فروض حول العواقب الغيبية للتصرف أوالسعي بطريقة معينة. وإما أن تكون هذه الفروض صادقة أوكاذبة على حسب إذا ما كانت النتائج الواقعية التي ستترتب عليهم تتفق مع أوتخالف النتائج التصورية (الغيبية) المتوقعة. ولكن قد يتساءل فرد: هل تعد النتائج الواقعية نفسها خير ؟ هل يجب أن يكون لدينا معيار مطلق يمكن بواسطته الحكم إذا ما كانت نتيجة ما خير أم شر؟ في هذه النظرية تكون الإجابة لا، لأن خيرية أوشرية النتائج الواقعية يمكن فهمها فقط من خلال العلاقة بـ والرجوع إلى الموقف الأصلي المحدد الملموس الذي تصاعدت وظهرت فيه المثل. ربما تظهر مشكلات أوأمور جديدة حول خيرية وشرية النتائج الواقعية، ولكن ستعامل وتستقرر بنفس الطريقة التي عولجت بها المسائل والأمور الأصلية[1]. وقد لا نحصل على أجوبة نهائية (كمثل تلك التي نحصل عليها في العلم) ولكننا نحصل على أجوبة يمكن الاعتماد عليها من حالة إلى أخرى. وهكذا يرأى هوك أن المعايير والمُثل مثل الفرض العلمي؛ فهم خطط للسلوك وهويقول هنا: "هب موقفا للصراع، تولد بسبب الاحتياجات والرغبات والقصور. وهب أيضا مجموعة من الغايات أوالمعايير تقدم اتجاهات (توجيهات) لأنماط من السلوك، صممت لإشباع هذه الاحتياجات والرغبات ونواحي القصور، حينئذ فإن توافق أي غايات معطاة أو

[1] Ibid, p. 30.

غايات جديدة خاصة بالموقف القريب يمكن أن يؤسس ويتحقق بشكل مبدئي مع الموضوعية العلمية."[1]

فبواسطة هذه الموضوعية العلمية يمكن أن نحكم على الغايات والأغراض. وهنا يميز هوك بين ما يتحقق بالفعل وما هوفي حيز التصور فقط؛ فربما نكتشف عند البحث عن الوسائل أن غايتنا المعلنة هي تلك التي لا يمكن للمناهج أوالوسائل المتاحة الوصول إليها. في هذه الحالة يكون لدينا ميل أو أمنية، وما يتحقق نطلق عليه الغاية في مجال الحقيقة end – in – fact وما نعلن عن أننا نريد تحقيقه، فنطلق عليه الغاية في مجال التصور end – in – view. في هذا العالم، ما يتحقق بالفعل end – in – fact لا يعتمد على الغاية في مجال التصور end – in – view الهدف المعلن، ولكن يتحدد في الواقع بواسطة الوسائل الفيزيائية والاجتماعية الموجهة لتجهيز (إعداد) الهدف (الغاية) في نطاق التصور end – in – view. إن هذه الوسائل ونتائج الوسائل هي بالضبط جزء من الهدف (الغاية) في مجال الحقيقة – وبقدر ما نتوقعهم، يشكلون أيضا جزءا من الغاية (الهدف) في مجال التصور. إذا كررنا التأكيد على الغاية في مجال التصور (الهدف المعلن) على ضوء النتائج الغيبية (الغير مرئية) للوسائل التي تبدومكملة لها، فإننا بذلك نكون قد بدأنا عملية نقد لغايتنا (لهدفنا) . فإننا بذلك نختار بذكاء، سواء كانت الخبرة تدفعنا (تجبرنا) على تصحيح مفاهيمنا عن الوسائل المطلوبة، أو الغاية المنشودة أوكلاهما[2]. ففي سياق الفعل، تسير وتتفاعل الوسائل والغايات كأنما تتحققان من بعضهما البعض، بنفس الطريقة التي تسلكها المعلومات الملحوظة والفروض في علاقتهم ببعضهم البعض."

---

[1] Sidney Hook: John Dewey, Intellectual Portrait, p. 133.

[2] Ibid, p. 144-145.

وعلى هذا الأساس – كما يخبرنا هوك – ستعد كل المثل الاجتماعية وكل الفلسفات الاجتماعية فروضًا **أولًا:** وذلك من حيث علاقتها بمجموعة المشكلات والاحتياجات الطلبات الملحوظة الاجتماعية القائمة. و**ثانيا:** كتأكيدات على أن تغيرات مؤسسية معينة يجب إحداثها، و**ثالثا:** إن هذه النتائج لتلك الوسائل والتغيرات القابلة للتحقق منها ستتفق مع النتائج المتوقعة.

أي باختصار، نحن نحكم على المثل أوالغايات الاجتماعية على ضوء عللهم ونتائجهم، وطالما كانت النتائج الواقعية تعتمد على الوسائل الملحوظة، سيترتب على ذلك أننا سنحكم على النتائج بواسطة الوسائل، فنحن نحكم على الغايات بواسطة الوسائل، وليس بواسطة النوايا أو النتائج المتوقعة (الغيبية) فحسب.

ثم يلخص هوك ما سبق كما يلي:

أ) كل جملة مفيدة في البحث الاجتماعي يجب أن تفهم كتأكيد، مباشر أوغير مباشر، على أن شئ حول سلوك الرجال والنساء، أو حول سلوك الأشياء التي يتحكم فيها الرجال والنساء، يمكن إخضاعه للملاحظة؛

ب) كل جملة التي تكون وصفا أوتوقعا هي افتراض يمكن مبدئيا تأكيده أونفيه بالملاحظات، وكفرض يمكن أن يصبح أكثر أو أقل احتمالا ولا يمكن أن يصبح يقينيا، ولا يمكن لأية عبارة تحتوي على تعبيرات مثل "حتمي inevitable" أو ما يشابهها أن تختبر علميًا؛

ت) إذا لم يكن بإمكاننا الإشارة إلى الدليل الممكن الذي نكون على استعداد لقبوله as indication لخطأ falsity نظريتنا، فإننا لسنا أبدًا على جانب الصواب لتأكيد صدقها، لأنه سيتضح دوما أننا نوظف مجردات تحليلية.

ث) ينطوي اختبار الفرض، كما أوضح "البروفيسور" ديوي على شئ من تحويل الأشياء، وشئ من التجريب.

ج) لا يمكن تحقيق أي تقدم في المعرفة الاجتماعية بتكوين أسطورة وتشكيلها من أخرى.

ح) وينبغي أن تكون نقطة البداية في أية نظرية اجتماعية وكذا نقطة النهاية مشكلات اجتماعية محددة، وليس إنشاء الأنظمة. فالقوانين الاجتماعية ستكون تعميمات ساهم في حل مشكلات الماضي وستفيد كأدوات في حل مشكلات الحاضر.

خ) أخيرًا، كل المثل والفلسفات الاجتماعية التي ليست أدوات غامضة لإبقاء الناس في الجهل أو الخضوع يتم فهمهم كطرق باعثة على الفعل والحركة، ويتم الحكم عليهم مثل كل سائر الخطط بنتائجهم، وما تتكلفه، وإنجازاتهم.[1]

3- صراع القيم

كما أكد هوك أنه لا يوجد ما يعلوالتجربة والخضوع للملاحظة والتحقق، أكد أيضًا أنه لا يوجد ما يمكن أن نطلق عليها قيمة مطلقة وفي سبيلها نضحي بباقي القيم الأخرى.[2] وهويسأل في هذا الصدد: في الأخلاق هل تتواجد قيمة أو حق واقعي يمكن للمرء أن يُعرّفه بأنه حق ما أوقيمة ما شرعية أو صواب بشكل مطلق أوغير مشروط ؟ هل لأي إنسان عاقل أن يكون على استعداد ليقول إنه يجب التحلي بصفات ما في كل الظروف ولا يمكن تقليصهم أوالتضحية بهم؟ ثم يجيب بأنه حتى بالنسبة لكانط لا يمكن لأي شئ أن يكون خيّراً على نحو مطلق باستثناء إرادة الخير؛ لأنه بدون إرادة الخير ربما أسئ استخدام كل الطيبات الطبيعية والأخلاقية." ويتضح هنا تأثر هوك بجون ديوي وبموقفه الأخلاقي. ويشير إلى ذلك نيقولاس كالبدي فيتحدث عن نظرية القيم التي تتضمنها براجماتية ديوي بأنه يوجد دائمًا عملية تقييم ذاتي ومستمر لقيمنا ومعاييرنا وهذه العملية لا تعتبر نهائية أبدًا ولكنها عملية تصحيح ذاتي – self

[1] Sidney Hook, **Reason, Social Myths, and Democracy**, p. 32.
[2] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, p. 15.

corrective طبيعي ومستمر، ومن هنا يترتب على ذلك عدم إمكانية وجود "صفوة" أو"مختارون" يحوزون وحدهم الحقيقة المطلقة الأبدية أو الوسيلة الوحيدة للدخول إليها. فلا يوجد علم اجتماع مطلق القيمة[1]، فالديمقراطية هي شكل للحكومة تتمسك أقصى ما يكون التمسك وبكل وضوح بعنصر التصحيح الذاتي ولها وظيفة إضافية تتمثل في تدعيم التطور الأخلاقي، والتعليم، هو إعادة بناء وإعادة تقييم للمعايير، الذي ينمي، لوكان ناجحًا، الجانب الأخلاقي.

ويوضح ميلتون كونفتيز ما يقصده هوك بعدم وجود قيم مطلقة فيشير إلى رأي هوك بصدد الحرية فهوك الذي يطلق عليه فيلسوف الحرية لم ينادٍ بحرية مطلقة، فنحن لسنا أحرارًا بشكل مطلق وإنما نحن أحرار بشكل نسبي، فاختياراتنا ليست مطلقة فنحن نتحرك داخل حدود ولكن داخل هذه الحدود نحن أحرار في التحرك وفي التصرف، إذا ليست هناك حرية مطلقة. وبالمثل ليست هناك قيم مطلقة فهناك قيم تشير إلى الإرادة والاختيار، والإنسان ليس مضطرًا إلى امتلاك قيم لانهائية أو مطلقة كي يختار ما هومقبول بين الخيارات الممكنة، فننحن لدينا العديد من القيم "المطلقة": الحب، والعمل، والمعرفة، والإرادة، الصداقة، الفن، الدولة، إن مشكلاتنا تنتج لأنهم يتصارعون مع بعضهم البعض، إن بعض القيم متوافقة مع بعضها البعض ولكن البعض الآخر في غير توافق، وبعض الاختلافات يمكن أن تحل بالعقل والبعض بالصراع فقط. إن كل ما هومطلوب التعقل والاعتدال، والتعقل والاعتدال هنا، كما يشير كونفيتز، ليست مترادفات مع الطاعة العمياء وإنما لا يستبعد الموقف استخدام القوة والحسم، والعقل يواجه دوما الخيارات التي يجب أن يصنع منها اختيارًا وقرارًا، وتتواجد العديد من القيم النهائية ultimate ولكن لا واحدة من بينها مطلقة absolute فكل منها يقدم عطاءه الخاص، والمتعصب فقط هوذلك الشخص الذي يكون على استعداد للتضحية بكل شئ من أجل غاية واحدة. فيقرر هوك إذا، كما يوضح كونفيتز، أن الإنسان لا

[1] Nicholas Capaladi; **Sidney Hook: A Personal Portrait** (in) , Paul Kurtz, **Sidney Hook: Philosopher of Democracy and Humanism**, P. 19.

ينبغي أن يعيش وفقًا لقيمة مطلقة أوما يطلق Golden Role. نظرا لأن صناعة القرار لا تتوقف على شئ واحد سواء كان مبدأ أوقيمة ولكن هناك عوامل كثيرة تدخل في صناعة القرار وتؤثر على توجيه العقل. كعواطفنا وآمالنا ومخاوفنا ورغباتنا[1]، ولكن لا يعني ذلك أن العقل تابعًا أو عبدًا slave لكل ذلك لأن العقل نفسه له دوره الذي لا يستهان به في إعادة توجيه وتحديد كل هذه الأمور (مخاوفنا، ورغباتنا وآمالنا وعواطفنا) كما يذهب هوك، إذن لا ينبغي أن يعيش الإنسان وفقا لغاية مطلقة واحدة لأن مثل ذلك الشخص سيكون متعصبًا fanatic ضحى بكل القيم والغايات من أجل مبدأ قيمة وغاية واحدة.

ويستشهد هوك في تأييد رأيه بعدم وجود قيم مطلقة بآراء عدد من الكتاب مثل نيكولاي هارتمان Nicolai Hartmann حيث يذهب إلى أن كل خير له نقطة حرجة عندما يصل إليها يصبح شرًا، فالشجاعة تصبح مخاطرة حمقاء، والحرص يصبح جبنا."[2] ويضيف هوك:" ليس هناك خير مطلق بصفة مطلقة ما لا توجد حقيقة بصفة مطلقة. فالفكرة تعد صادقة في أي موقف محدد كنتيجة لاستخدام المناهج العلمية للبحث."[3] وإن كان يستدرك فيشير إلى ما يتم قياس نتائج الغايات والأفعال على ضوئه فيقول:" ... ولكن ألا توجد معايير وقيم محددة التي يجب علينا استخدامها كي يتحدد إذا ما كانت نتائج الفعل في ضوء غاياتنا، وبواسطة وسائل محددة، مرضية ؟ بالتأكيد يوجد، والإطار الكلي لهم ينطوي على الصداقة، الحكمة، الجمال، الشجاعة، الصحة، الأمن، المغامرة، ولكن لاحظ وانتبه على الرغم من أن تلك الخيرات يفترض أنها صحيحة مباشرة إلا أنه لا واحدة منهم تؤخذ على إنها خير بشكل مطلق، فلا واحدة

---

[1] Milton R. Konvitz: **Sidney Hook: Philosopher of the moral critical intelligence**, pp, 8 -9.

[2] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, p.16

[3] Sidney Hook: **John Dewey, Intellectual Portrait**, p. 133.

منهم عليا[1] ... لأنه أصبح من الواضح أن طيبات هذا العالم ليست دائمًا في تناسق هارموني مع بعضها البعض. فالخير يتصارع مع خير آخر، والمعرفة مع السعادة، والهدوء مع الحدة، فلا نستطيع أن نحل صراع القيم في موقفين بالتحديد بنفس الطريقة بالتحديد.

وذلك انطلاقًا مما بين القيم نفسها من صراعات وعن ذلك يقول:" إن التزاماتنا الأخلاقية تنبع من الصراع بين المثل، فيتمكن ذكائنا الأخلاقي من حلهم باكتشاف ذلك البديل الذي يعد بتقوية البناء الكلي لقيمنا... لسنا بحاجة إلى القول إننا ندفع ثمن أي خيار حتى لوكان الأفضل، والثمن الذي يدفع في موقف محدد ملموس هو التضحية بـ أوتقليص حقًا ما أو خير ما."[2]

وهذا ما يشير إليه أيضا نيكولاس كابالدي فيقول:" لأن الصراعات موجودة واقعيا فلا بد أن تؤخذ المبادئ الأخلاقية مأخذ الجد، حيث لا تتواجد بشكل مطلق حلول تقنية للمشكلات الأخلاقية، وأن تؤمن بخلاف ذلك هو أن تؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة. وأقصى ما وقفت ضده البرجماتية ما هومثل ذلك الخداع الأخلاقي الذاتي."[3]

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا وقد طرحه هوك بالفعل وعاد إلى فكر ديوي للاسترشاد بالإجابة عليه هو مدى إمكانية المنهج العلمي على حل الصراعات الأخلاقية أوعلى وجه التحديد صراعات القيم ويجيب هوك: " كيف نعرف أن صراعات القيم يمكن أن تحل بواسطة استخدام المنهج التجريبي؟ ما هو التأكيد (الضمان) الذي لدى ديوي لجعل "المنهج" مصدر السلطة الذي سيقدم النظام والاتفاق على أحكامنا للقيمة أكثر من سلطة الدولة أو الكنيسة أو الوعي الفردي؟ إذا كان التأكيد هنا يعني "الضمان" فإن الإجابة ستكون أن ديوي ليس لديه أي تأكيد على أن المنهج التجريبي

---

[1] Ibid, pp. 132, 133.

[2] Sidney Hook, **Paradoxes of Freedom**, P. 17 .

[3] Nicholas Capaldi, **Sidney Hook: A personal Portrait**, p. 20.

سيحل كل الصراعات الموجودة في التقييم، بيد أن أكثر إجابة ملائمة للرد بها على هذا السؤال هل هي بالضبط مثل الرد الذي سنقيمه عندما يثار شك ما في مجال العلم؟ كيف يمكننا أن نعرف أن سؤالًا محددًا عن الحقيقة يمكن الوثوق به عن طريق استخدام المنهج العلمي؟ نظرا لآن طلب اليقين أمرا محددًا، فإننا لا نستطيع تقديم أية ضمانات، ولكن في مجال القيم، كما في مجال العلم الطبيعي، فلنستخدم المنهج وننقله إلى حيز التطبيق. فعدد المرات اللانهائية التي استخدمنا فيها المنهج التجريبي بنجاح في العلم، تجعل استخدامه في أية قضية محددة أمرًا معقولا. فحقيقة إننا قد استخدمنا المنهج التجريبي بنجاح تام في مجال العلم، وحقيقة أن كل المناهج الأخرى في مجال الأخلاق قد فشلت بشكل مروع، تجعل من الاقتراح بأن يتم استخدامه في مجال الأخلاق، على الأقل، أمرًا معقولًا[1]. وينتهي إلى القول إنه في الحالة الحالية للعالم، لن يكون لغوًا إن قلنا إن استخدام المنهج التجريبي يعد ضرورة.

وهذا ما قد أكده من قبل ديوي نفسه في كتابه "تجديد في الفلسفة" حيث أفرد فصلًا عن التجديد في الأخلاق، وطالب فيه بالرجوع إلى المواقف الفعلية الفردية لا إلى سلطة عليا عند النظر في الأخلاق، لأن كل موقف أخلاقي فذ في ظروفه. وكل خير فهو خاص بموقف معين، فلا مناص من العمل على استكشاف الخير اللازم لهذا الموقف المعين وإبرازه والحصول عليه على أساس ذلك النقص الذي يراد سده، ومصدر الشر الذي يراد علاجه. وطالب بعدم الفصل بين ما هوطبيعي وما أخلاقي إذ من الممكن أن يطبق المنطق التجريبي على الأخلاق كما يطبق على العلوم الطبيعية. فيقول ديوي:" وإذا ما طبق المنطق التجريبي على الأمور التجريبية جعل خيرية كل

[1] Sidney Hook: **john Dewey: An intellectual Portrait** (New York: Green wood, 1976), p.139-140.

صفة يقال عنها إنها خير تقدر بحسب ما تؤدي إليه من تحسن في أحوال الداء والشرور التي يعانيها الناس في الوقت الحاضر ."[1]

وهكذا يمكن علاج المشكلة الأخلاقية التي عرفها ديوي بأنها لا تظهر إلا حين يتعرض الإنسان لموقف تتعارض فيه الغايات، ويحار المرء أيها يختار وأي الوسائل يتبعها لتحقيق ما يختار من الغايات، أما حين يذعن المرء لغاية واحدة دون اعتبار للغايات الأخرى؛ فلا يسمى تصرفه عندئذ أخلاقيًا، إنه كما يقول ديوي: مسلك فني أكثر من أن يكون أمرًا أخلاقيًا. إنه ذوق وإيثار شخصي، وحكمة عملية، أومسألة اقتصاد ومناسبة..."[2] في حين أن الموقف الأخلاقي بتعريف ديوي هو:" هوذلك الموقف الذي يتطلب فيه اتخاذ حكم (قرار) واختيار، إن المعنى العملي للموقف – أي الفعل المطلوب لإشباعه وتحقيقه – ليس واضحا في ذاته. بل يجب تحري البحث عنه. تتواجد رغبات وخيرات متعددة متصارعة. وما هو مطلوب هوأ ن تجد المسلك الصحيح للتصرف، ونوع البحث المطلوب هنا بالضبط: ملاحظة التفاصيل المشكلة للموقف؛ وتحليل عواملها المتعددة؛ وتوضيح ما هويكتنفه الغموض؛ وحسم السمات الأكثر تأكيدًا وفاعلية؛ وتعقب نتائج النماذج المتعددة للتصرف تفرض نفسها؛ والأخذ في الاعتبار القرار الذي تم التوصل إليه بوصفه قرارًا افتراضيًا مؤقتًا، وذلك حتى يمكن للنتائج المفترضة أو المتوقعة أن تتأكد بعواقب ونتائج حقيقية.[3]

خامسًا: الحياة ليست قيمة في ذاتها

في الوقت الذي نطالع فيه أخبار من نوع غير مألوف قليلًا مثل الدعوة إلى الانتحار أوما يطلقون عليه الموت الرحيم[4] – بغض النظر عن مدى الاتفاق أو

---

[1] John Dewey, **Reconstruction in Philosophy**, p. 127.

[2] Ibid, p. 126.

[3] Ibid, p. 133.

[4] في 2002/3/23 ونقلا عن الـBBC أجازت المحكمة العليا في بريطانيا لسيدة تدعى (Miss v.) وتعاني من مرض العضال حيث الشلل التام الممتد من الرقبة وحتى قدميها (وعمرها 42) ، أجازت لها المحكمة الحق

الاختلاف مع هذه الدعوات – فإنه يجدر هنا القول إن هوك كان سابقا معاصريه في هذا الصدد، ففي دفاعه عن الحياة لم يدافع عنها بأي شكل وإنما دافع عن كيف معين للحياة فيقول سيدني هوك:" إن هؤلاء المستعدون للتضحية بالحرية من أجل السلام وللحياة مجرد الحياة لن يجدوا بعد هذه التضحية أي سلام حقيقي بل وسيجدون حياة لا تتلائم وآدمية الإنسان مهما كان ما سأقوله يحوي التناقض فسأقولها: إن الحياة في ذاتها ليست قيمة، ما يهب الحياة قيمة ليس الوجود المحض وإنما كيف ونوعية هذا الوجود. إن من يدعي أن الحياة قيمة في ظل أية ظروف قد كتب بالفعل على ضريحه شعار الخذي والعار فلن يتواجد مبدأ أو شخص لن يخونه؟![1] ويفسر "مارفين كول" موقف هوك بالقول: " قليل من الفلاسفة هؤلاء الذين دافعوا عن "كيف الحياة" the quality of life بمثل ثبات ومثابرة وشجاعة سيدني هوك. منذ فترة طويلة وقبل أن يصبح الدفاع عن حق الإنسان في الانتحار حداثة "موضة".[2] ويستشهد مارفين بما

في التخلص من حياتها، أوما يعرف بالقتل الرحيم ، وكانت السيدة والتي تعيش بواسطة أجهزة التنفس الصناعي قد طالبت بحقها في إنهاء حياتها ، وقالت المحامية الخاصة بها إن الحكم الذي صدر لصالحها في حقها في التخلص من العلاج أكثر من أن يكون في التخلص من الحياة !! ، أي أن للمرء الحق في رفض الأدوية التي يعالج بها ، ولما كانت الأدوية التي تعالج بها هي التي تبقيها على قيد الحياة فان حقها في التخلص منها يعنى حقها في التخلص من حياتها. وعن الأهرام بتاريخ (2002/4/16) بعد أيام من موافقة البرلمان الهولندي على قانون يبيح القتل الرحيم ، صرحت السن بورست وزيرة الصحة الهولندية بأنها لا تعارض السماح للطاعنين في السن الذين سئموا الحياة بتناول أقراص الانتحار . والأخبار المتوافدة من أنحاء العالم لم تقتصر فقط على إجازة بعض الدول حق الانتحار أوما يعرف بالموت الرحيم ، وإنما فقط توالت أخبار عن اختراعات أجهزة ليتم التنفيذ بها وتطرح للبيع في الأسواق مثل جهاز ابتكره أسترالي من أنصار الموت الرحيم يساعد على الانتحار باستنشاق غاز أحادي أكسيد الكربون بواسطة قناع يوضع على الوجه . وقد تبنته شركة أمريكية لتطرحه للبيع بسعر 65 دولار.! (الأهرام 4 /2002/12) ص.1.

[1] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p.426.

[2] Marvin Kohl, **Is Human Life Itself a Value**?(in) Paul Kurtz, ed. **Sidney Hook, philosopher of democracy and humanism**, P. 189.

ذكره هوك في كتابه "معتقدات" Convictions في فصل تحت عنوان "حق الانتحار" بأن هوك أكد أن الموت هو عادة صديقنا وأنه، في ظل ظروف محددة يعد اختيار إنهاء حياتنا وسيلة شرعية legitimate means لبلوغ أهدافنا، وغالبا وسيلة جديرة بالثناء، وأحيانا وسيلة إلزامية.[1]

في تأكيد هوك أهمية نوعية الحياة التي نحياها وليست الحياة ذاتها ربط البعض بين موقفه هذا وبين شجاعته الأخلاقية وبأنه كان دوما لا يخش أحدا في قول ما يرى أنه الحق حتى لوخالف ما هو سائد ومألوف. كتأييد هوك للماركسية – على سبيل المثال– فيشير كريستوفر فيليبس إلى أن تأييد هوك للماركسية لم يقتصر على النحوالنظري، أو التدريس في الجامعة فحسب بل كان له الجانب العملي في تأييدها، وخاصة في بادئ حياته فإذا كان معظم المفكرين الأمريكيين اليساريين قد وقعوا على مذكرة من ثلاثين صفحة تُدعى "الثقافة والأزمة" *culture and Crisis*، وطبعت هذه المذكرة في أكتوبر 1932، وكانت تدعم صراحة المرشح الشيوعي للرئاسة William Z. Foster، ونائبه James W. Ford – أول أمريكي من أصل أفريقي يرشح نفسه لمنصب قومي في القرن العشرين – فإن هوك لم يقف عند هذه الحدود بل دعم وأيد William Patterson، المرشح الشيوعي لعمدة نيويورك.[2] وهذا ما يؤكده نيقولاس كابلادي إذ يقول: "أما خرافة هوك وأسطورته فأمر آخر، فقد بدأت دراما هذه الأسطورة بتأييده عام 1932 لمرشح شيوعي لرئاسة الولايات المتحدة (ضد روزفلت وهوفر)، فكانت هذه هي نشأة الأسطورة التي بلغت ذروتها بتواجد هوك في معهد هوفر

[1] Ibid, p.191.

[2] Christopher Phelps, **Young Sidney Hook**, p. 69

كأعظم محافظ مبجل، وعن شجاعته يقول أيضًا:" فكان أستاذا ماركسيا في أمريكا في الوقت الذي كان فيه من الصعب اعتبار الماركسية موضة يمكن الاقتداء بها."[1]

ويقول فيرنير دانهور Verner J. Dannhaurer "تتمثل أكثر صفات هوك وضوحا وبروزًا في شجاعته الأخلاقية، وقد لخص هوك نفسه حياته فقال:" كلما نظرت إلى الوراء لتلك السنوات المضيئة التي مضت في الوظيفة طويلا في الأكاديمية وفي المتراس العقلي للحياة العامة، أجد أن الشجاعة الأخلاقية والذكاء هما القيمتين الرئيسيتين في الصراع من أجل مجتمع ليبرالي. وللأسف أنهما لا يتلازمان دائما. فعندما تلتف وتتحد الهجمات المتواترة للبربرية ضد الدفاع عن الحضارة في الوطن وفي خارجه، فإن الشجاعة الأخلاقية تبدوهنا وباختصار هي المؤن اليوم، عندما تحتج أصوات السكينة في أشكال مختلفة في ظل الشمولية العدوانية: بأنه من الأفضل أن تعيش إلى جوار ركب إنسان ما أفضل من أن تعيش تحت قدميه، من الأفضل أن تعيش ثعلبًا من أن تموت أوتصبح أسدًا ميتًا، فإننا يجب أن نرد: صحيح، أنه من الأفضل أن تعيش ثعلبا على قيد الحياة من أسد ميت... بالنسبة للثعالب، وليس للرجال. إن الرجال هم هؤلاء الذين يمتلكون الشجاعة الأخلاقية ليحاربوا من أجل الحرية بكل ذكاء، وإذا اقتضت الضرورة، يموتون من أجلها، إن مثل هؤلاء الرجال يمتلكون أفضل مظاهر تجنب مصير كل من الثعالب الحية والأسود الميتة، إن البقاء ليس هوكل البداية وكل النهاية لحياة قيمة للإنسان. في بعض الأحيان يعد أسوأ شئ نعرفه عن شخص ما أنه ما زال على قيد الحياة. إن هؤلاء الذين يقولون إن الحياة قيمة بأي ثمن قد كتبوا بالفعل بأنفسهم على قبورهم شعار الخزي والعار، لأنهم يرون أنه لا

[1] Nicholas Capaldi; **Sidney Hook: A personal Portrait** (in) Paul Kurtz: **Sidney Hook: Philosopher of Democracy**, p.20.

يوجد أي مبدأ أو شخص لن ينافق من أجل أن يعيش[1]؛ فيجب أن تكون مهمة الإنسان هي استخدام فن الذكاء من أجل الحرية.

ولعل شجاعة هوك هذه هي التي جعلت البعض يشبهه بسقراط وغيره من شهداء الحرية والرأي الحر، فيشير روبرت تاليس وآخرون إلى أن أكثر من دراسة ذكرت الطبيعة السقراطية لهوك داخل الوطن وخارجه؛ في شجاعته وفي عدم قبوله بالأمر الواقع على أنه دوما شئ مسلم به، بل يتساءل ويبحث معتمدا على المنهج العلمي ويجمع المعلومات الخاصة بالمشكلة ويطبق عليها منهجه فيضع الفروض ويختبرها حتى يصل إلى الحقيقة ولا يتورع لحظة من أن يعلن ما يصل دوما إليه.[2]

والجدير بالذكر أن الدعوة من أجل حق الإنسان في الانتحار قال بها من قبل عديدون مثل دافيد هيوم ويشير إلى ذلك جون كوتنجهام John Cottingham فيقول:" بينما يعد قتل شخص ما لآخر جريمة يقع بموجبها المرء تحت طائلة القانون، فماذا عن حق الشخص في تقرير الوقت الذي ينهي فيه حياته. فإذا كانت حياتي ملكا لي، أليس من الممكن لي أن أقرر متى أنهيها؟ موضوع الانتحار كان دائما موضع جدل للعديد من الفلاسفة، بعض الفلاسفة كالمفكرين اليونانيين القدامى اعتبروا أنه ليس ثمة مبرر للانتحار، ولكن أثناء عصر الإمبراطورية الرومانية، كان هناك قبول كبير وتسامح لوجهة نظر الرواقيين، والتي تعتبر أن الانتحار، في ظل ظروف ما، هوفعل يمكن الدفاع عنه، بل وحتى فعل سامٍ وعظيم، أما الكنيسة منذ عهد توما الأكويني وإلى الآن فقد أدانته بشدة، ومن الذي دافعوا عن حق الإنسان في إنهاء حياته دافيد هيوم –

[1] **Contemporary authors** – Hook, Sidney http://galent.gale.com

[2] See: Robert Talisse, & others, **The Relevance of Sidney Hook. Today**, (in) http://seclualhumanism.org

فيلسوف القرن الثامن عشر – فقد عمل على تقديم أسس لا دينية لتقرير قضايا أخلاقية، وأنشغل وكرس جهدًا كبيرًا لقلب وهدم الحجج التقليدية المعارضة للانتحار."[1]

دفاع هوك عن حق الإنسان في الانتحار، وتمسكه بأن كيف الحياة وليست الحياة ذاتها هي التي لها قيمة أراء لم تسلم من النقد والتفنيد يعلق مارفين كول بالقول: " بالتأكيد هناك شئ خطأ هنا، فالفشل في خلق الحياة الجيدة (الخيرة) لا يترتب عليه إنها في ذاتها انحطاطًا أوخزيًا،ربما يعد إيجاد حياة كاملة متكاملة غاية هامة. ولكن الحياة التي ليست كاملة لا يعني بالضرورة إنها خالية. والحياة التي ليست ذات معنى بشكل كامل أوثري ليست بالضرورة خاوية المعنى[2]، فيجعل هوك من حسن حظ الإنسان أن هناك مستويات عديدة ومتنوعة للحياة ذات المعنى فيما بين الوجود المحض والحياة الخيرة .

ووجه ميلتون كونفيتز النقد إليه بأن أراءه هذه تتعارض مع ما ذهب إليه من قبل في حديثه عن القيم وأنه لا توجد قيمة مطلقة، من يضحي بكل الغايات والقيم من أجل قيمة أوغاية ما فهو متعصب. يعلق كونفيتز على ذلك بالقول:" ليس من الواضح كيف تستقيم هذه العبارة الأخيرة لهوك مع القاعدة التي ذكرها في "من هو" Who's Who?" التي أكد فيه بكل قوة أنه في الموقف الحاسم يجب على الإنسان الكفء أن يختار الموت عن أن يختار خيانة مبادئه، ويعني ذلك لي أنه ربما يشعر الإنسان الأخلاقي أنه مجبر في قضية حاسمة على أن يتصرف كمتعصب وهذا هوما يستحسنه هوك أوحتى يقترحه. لقد اختار توماس مور أن يكون أسدًا ميتًا عن أن يواصل حياته كثعلب على قيد الحياة، وفي سعيه نحوموته، لم يكن توماس مور "متعصبا" بالمعنى

[1] John Cottingham, ed. **Western Philosophy** (Oxofrd: Blackwell Publisher, 1996) pp. 427, 428.

[2] Marvin Kohl, **Is Human Life Itself a Value**?(in) Paul Kurtz, ed. **Sidney Hook, philosopher of democracy and humanism**, pp. 191, 192.

الحرفي للكلمة، ففي طريقته الخاصة المبجلة أضفى بإسهام جوهري إلى الحرية الإنسانية، إذن هناك مواقف يجب على الإنسان أن يكون مهيأً فيها للتضحية بكل الغايات الأخرى من أجل غاية مطلقة التي تكون عظيمة وذات شأن عالي لدرجة أن يكون الإنسان مستعدا للتضحية ولوحتى بحياته من أجلها ففي الحر أليس كل جندي محارب يعيش نفس الموقف؟ وبعيدًا عن المعنى الحرفي للكلمة، فان كل محارب مستعد للتضحية بحياته من أجل بلاده هو"متعصب" وبشكل ما ينسب نفسه إلى توماس مور وجيوردانوبرونو[1] وسقراط." فبالتالي يوجه كونفيتز النقد إلى هوك في نقطتين:

1) إنه عندما يضحي الإنسان من أجل قيمة ما وبحياته ألم تتحول هذه "القيمة" إلى قاعدة ذهبية أو قيمة مطلقة في الوقت الذي أكد فيه هوك أنه لا ينبغي على الإنسان أن يعيش وفقا لقاعدة ذهبية.

2) إن القيم كما أكد هوك تتصارع ويقع اختيار الإنسان بشكل أو بأخر على قيمة ما، إلا تعتبر هذه القيمة المنتصرة قيمة مطلقة.

ومع ذلك يستدرك كونفيتز ويشير إلى أن ما ذهب إليه لا ينبغي أبدا أن يقلل أو يصغر الحقيقة التي أرساها هوك ورسخها وهي أن حالتنا الأخلاقية تنبعث لأن قيمنا متنافسة competitive . إن صراعاتنا الداخلية نادرا ما تكون بين الخير والشر، ولكنها غالبا ما تكون ين الخير والخير: بين الجد واللعب، بين الصدق والطيبة، بين

---

[1] جيوردانوبرونو (1548–1576) اسمه الأصلي فيلسوف تغير عقب التحاقه بنظام مدرسة القديس في إيطاليا. لم يعرف للاستقرار من سبيل وظل يتنقل من مكان إلى أخر ، حتى ارتحل عام 1579 إلى جنيف واعتنق الكاليفينة (نسبة إلى جون كالفن رائد الإصلاح الديني الذي عرف بالبروتستانتية) ثم ارتحل إلى باريس ثم إلى ألمانيا. جاهر بفكره العقلاني في مواجهة الفكر الديني السائد في عصره . فأعلن عن إيمانه بأن الله والعالم شئ واحد . والمادة والنفس والجسد والروح هما مقولات من نفس الجوهر والعالم لانهائي وغير محدود ، ولمخالفة أراءه الكنيسة تم حرقه . أنظر : www.newadvent.org/cathen

الحرص والكرم. إن عذابنا في الاختيار –كما لاحظ هوك – ويشير كونفيتز – ينتج من إدراك أن الحق يتصارع مع الحق والخير مع الخير وأحيانًا الحق مع الخير، إننا نريد كل من الأمن والمغامرة ولا يمكننا الحصول على الاثنين معا، أننا نريد أن نكون عادلين ولكننا نكتشف أنه ليس بمقدورنا أن نكون عادلين دون أن نكون قساة. نريد أن نكون مخلصين ولكن إذا كنا كذلك لا نستطيع أن نكون صادقين والعكس بالعكس، نحن نريد أن نكون أحرار لنعيش حياتنا ولكننا نكتشف أننا لا نستطيع فعل ذلك إلا بإفساد حياة شخص أخر، هذه هي المعضلات الأخلاقية.[1]

[1] Milton R. Konvitz, **Sidney Hook : Philosopher of the Moral – Intelligence** (in) Paul Kurtz (editor), **Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism**. P. 10.

الفصل الخامس
موقف سيدني هوك من السياسة الخارجية الأمريكية

"إن السياسة الخارجية (للولايات المتحدة) نادرًا ما تتطلب أيًا من المواصفات المنطقية للديمقراطية؛ بالعكس فهي تتطلب الاستخدام الجيد لكل نواقصها."[1]

أليكسيس دي توكفيل

[1] آلان نيفينز وآخر: **موجز تاريخ الولايات المتحدة** ، ترجمة محمد بدر الدين خليل (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع ، 1990).ص. 690

الفصل الخامس
موقف سيدني هوك من السياسة الخارجية الأمريكية

أمور عدة شغلت جل اهتمام سيدني هوك فيما يتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية مثل الحرب الباردة[1] ومواجهة الخطر الشيوعي، وفي هذا الصدد يقول البعض:" لقد تتبع هوك بكل ثبات وعزيمة لا تلين عواقب ما رأى أنها ستترتب على المد الشيوعي إذا ما تمادى نحو الغرب، وقد ترتب على ذلك مواقف عديدة له مثل تأييده للحرب الباردة ورفض وجود اليسار الجديد و– الأكثر ضراوة في تاريخه– معارضته السماح لأعضاء الحزب الشيوعي باعتلاء مناصب في مجال التدريس، وكل

---

[1] الحرب الباردة : أول من استخدم هذا المصطلح هو الصحفي الأمريكي والتر ليبمان Walter Lippman ، وذلك في عام 1947 في كتاب حمل نفس الاسم وقصد به أن العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وحلفاءه والولايات المتحدة وحلفاءها قد تحولت إلى نقطة الحرب بدون وقوع حرب فعلية. فالمصطلح يستخدم إذن لوصف الصراع الذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية بين الولايات المتحدة وحلفائها من ناحية والاتحاد السوفيتي (السابق) وحلفاءه من ناحية أخرى. خلال فترة الحرب الباردة التي استمرت من منتصف الاربعينات حتى نهاية الثمانينات من القرن العشرين، وتشكلت السياسة الدولية من خلال ذلك التنافس الشديد بين هذين القطبين العظيمين، وبين ما يمثله كل منهما من أيديولوجيات: الديمقراطية والليبرالية في جانب الولايات المتحدة وحلفائها من ناحية ، والشيوعية في جانب الاتحاد السوفيتي ودول الطوق من ناحية ثانية. ومن حلفاء الولايات المتحدة الأساسيين: بريطانيا وألمانيا الغربية واليابان وكندا . وفي جانب الاتحاد السوفيتي كانت دول عديدة وهي تلك الواقعة في أوروبا الشرقية مثل بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وألمانيا الشرقية ورومانيا ، وأطلق على الدول التي لم تنضم إلى الصفين بدول عدم الانحياز. وانبثق عن التكتل الغربي حلف ناتو: حلف شمال الأطلنطي وعن التكتل الشيوعي الشرقي حلف وارسو. أنظر: encyclopedia article, cold war (in) Encarta.msn.com

ذلك أدى إلى الفكرة الشائعة عن هوك بأن معاداة الشيوعية أصبحت الاتجاه المستحوذ عليه طيلة حياته An obsessive anti-communist".[1]

أولًا: خطر التهديد الشيوعي

في رؤيته لسياسة الخارجية الأمريكية يقول سيدني هوك إنها: " مرت بأزمات عدة، تلو الواحدة الأخرى، وذلك منذ نهاية الحرب العالمية الثانية."[2] وفي إشارة إلى هذه الأزمات يضيف البعض:" في النصف الثاني من (القرن العشرين) بدأت سلسلة طويلة من الأخطاء في تقدير الحسابات والتذبذب والهفوات تدفع مسار السياسية الخارجية الأمريكية ناحية الخزي داخل الوطن وخارجه. فهناك التدخل الأهوج في جواتيمالا وجمهورية الدومنيكان وكوبا... ثم تدخل المخابرات المركزية الأمريكية في الشؤون الداخلية لعديد من أمم الأرض."[3] وإذا كان البعض يرى –كما اتضح– أن الأزمات التي واجهتها السياسة الخارجية الأمريكية ناجمة عن التدخل في شؤون الأمم الأخرى فإن هوك يرى أن هذه الأزمات نجمت عن عدم التدخل! فكان يرى أن هذه الأزمات من صنع أمريكا نفسها وذلك للأسباب الآتية:

1. الإخفاق في فهم التهديد الشيوعي
2. إنها ضحت بمبادئ سياسية جوهرية في الكفاح المسلح ضد الشمولية النازية، وسحبت قواتها مبكرا من أوروبا
3. أخفقت في استخدام احتكارها للقوى الذرية في التأثير على عدم التسلح في العالم وفي التحكم في الأسلحة النووية

---

[1] Thomas Main, **Fearless Sidney Hook**, (in) www.lewrock.com .

[2] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p 421.

[3] آلان نيفيتز، هنري ستيل كوماجر، **موجز تاريخ الولايات المتحدة**، ص. 695، 696.

4. إن سحب القوات الأمريكية من كوريا دعا بشكل عملي إلى فتح المجال أما الغزو الشيوعي
5. اتخذت موقفا متخاذلًا عندما قامت القوات السوفيتية بذبح المحاربين المجريين من أجل الحرية، الذين كانوا بالفعل حلفاء للغرب.[1] ولأن الولايات المتحدة كذلك: "تورطت حديثًا في حروب محددة مع العرائس المتحركة للاتحاد السوفيتي"[2]

ومن هذه الأخطاء أيضًا– كما يسردها هوك:

1) في بخسها وإقلالها من تأثير الأيديولوجية الشيوعية كموجه للسلوك السوفيتي، تلك الأيديولوجيا التي تشمل: العداء المرير، والحرب الدائمة للأعصاب، وحرب الكلمات، ... التسلح الدائم في مواجهة العالم الحر... وتشرح هذه الأيديولوجية حقيقة الشعار السوفيتي عن (التعايش السلمي) peaceful co-existence ، كقناع مضلل يختبئ تحت حملات الاعتداء والدعاية التي تسعى بها موسكوإلى تقويض الثقافات الحرة.

2) الإخفاق في فهم إن الاتحاد السوفيتي لا يرغب حقا في شن حرب شاملة، صحيح انه يتحرك دوما لانتهاز أية فرصة، إلا انه يتقهقر على الفور إذا ما وجد خطر يمكن أن يدمره.[3]

إذن رأى هوك أنه في عالم ملئ بالصراع يمثل الاتحاد السوفيتي فيه الخطر الأكبر على العالم الحر. فكانت له دوما نظرة شك وريبة بأن هناك ثمة عدو يتربص بالولايات المتحدة الأمريكية هذا العدو هو الاتحاد السوفيتي، وشاعت هذه النظرة بين عدد ليس بقليل من المفكرين الأمريكيين الذين اقتربت أفكارهم من فكر هوك مثل دافيد ليتشستين David S. Lichtenstein الذي يقول: "يمكث خارج التخوم المحيطة

---

[1] Sidney Hook, **Political Power and Personal Freedom**, p. 421.
[2] Ibid. p. 389.
[3] Ibid, p. 422.

بالحضارة الغربية قادة الإمبراطورية الشيوعية، يمكثون في انتظار بصبر غير متناه ودهاء كبير وبزيادة سكانية في ظل الحكم الشمولي، منقادين بعاطفة أيديولوجية تسعى إلى تحطيم أخر ما تبقي من الديمقراطية والحرية."[1]

ويتفق فردريك فون هايك F. V. Hayek مع هوك في اعتباران الشيوعية الروسية خطر يهدد أمن العالم فيقول: "فخطرها لا يظهر بين ليلة وضحاها، بل إن هناك بدايات إذا ما ظهرت واستمرت ربما وصلت البلاد في مرحلة لاحقة إلى درجة لم تكن متوقعة أبدا من الشمولية، فألمانيا النازية الآن لم تكن كذلك منذ 20 أو30 سنة ماضية."[2]

وفي نفس الوقت الذي يُثني فيه البعض مثل مارفين زيميرمان Marvin Zimmerman على هوك بأنه من أبرز المدافعين عن الحرية والمنهج العلمي كوسائل من أجل تعزيز وتحقيق الصالح العام، فأنه يرى في المقابل أن الشيوعيين يمثلون تهديدًا كبيرًا للحرية ويشبههم في خطورتهم بالأصوليين المتدينين الذين يمثلون تحديًا خطيرًا على المنهج العلمي، ويرى إن كلاهما يمثل خطرًا على الإنسانية.[3] وهكذا شارك هوك وجهة النظر هذه عدد من المفكرين والفلاسفة، وكذلك عدد من رجال السياسة الأمريكيين فيشير جون ديمبريل John Dumbrell إلى أن: "القادة الأمريكيين من ترومان إلى ريجان... اعتبروا الاتحاد السوفيتي تهديدًا، وجمعيهم أكدوا على الأهمية القصوى للتأهب العسكري الأمريكي، كرد ضروري على التهديد والتوسع

---

[1] David S. Lichenstein, **The Radical Intellectual and American Foreign Policy: The Vietnam Experience**, (in) Paul Kurtz (editor), Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism p, 92 .

[2] F. A. Hayek, **The Road to Serfdom**, p. 78.

[3] Marvin Zimmerman, **Hooked on Freedom and Science**,(in) p. 77.

السوفيتي."[1]

ويذهب سيوم براون Seyom Brown إلى أن ترومان: "كان على اعتقاد بأن السوفيت سيوسعون من حدودهم وسلطاتهم كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فهم يسعون بإصرار للهيمنة على العالم وأنهم سيستغلون كل الفرص لتوسيع مجال سيطرتهم إذا لم تنظم قوة مؤثرة فعالة لردعهم ."[2] وفي خطابه في (The Greater Houston Ministerial Association) في 12 سبتمبر 1960 قال الرئيس الأمريكي جون كيندي John F . Kennedy: " في الوقت الذي تعد فيه مناقشة موضوعات دينية معينة هي موضوع النقاش اليوم، إلا إنني أريد أن أؤكد وبوضوح، إنني اعتقد أن هناك من الموضوعات ما هو أخطر وأشد أهمية...أنه الانتشار السريع للشيوعية ونفوذها طالما كانت تبتعد عن ساحل فلوريدا بـ 90 ميلاً فقط. "[3]

بل إن التوجس من الاتحاد السوفيتي والدول التابعة له ومدى مواجهتهم بحسم كان له أكبر الأثر في تثبيت أو زلزلة الاستقرار السياسي للرؤساء الأمريكيين، وفي هذا الصدد يقول دوجلاس ماكدونالد Douglas J. Macdonald: "لقد كان أي تقدم يحرزه الاتحاد السوفيتي أودول الطوق – أي أن تتحول أي دولة في أي مكان وتتوجه نحو الشيوعية – كان ينظر إليه على أنها خسارة هائلة للولايات المتحدة وللغرب."[4]

---

[1] John Dumbrell, **American Foreign Policy, Carter to Clinton** (New York: St. Martin's Press, 1997). p. 3**.**

[2] Seyom Brown, **The Faces of power: Constancy and Chang in United States ForeignPolicy from Truman to Clinton** (New York: Columbia University Press, 1994). p. 19.

[3] John Kennedy , **Selected Writings** (in) Ted Jelen, and other , A wall of Separation? p.140.

[4] Douglas J. Macdonald, **Adventures in Chaos, American intervention and reform in the Third World** (London: Harvard University Press, 1992) pp. 13, 14.

وهكذا تولد خوف كبير من الإخفاق السياسي، خشية أن يستغل ذلك سياسيا من قبل الحزب المنافس، فيشير ماكدونالد Macdonald إلى أن توجيه الاتهام من قبل حزب المعارضة إلى السلطة الحاكمة بالإخفاق في السياسية الخارجية يقوض الدعم الذي يمكن أن تحصل عليه هذه السلطة... ويضيف آرثر شليسنجر Arthur Schlesinger كيف أن مسئولية فقد أو خسارة المعركة في دولة ما وسيطرة الشيوعيين عليها كان سلاحًا سياسيًا تمتلكه الأحزاب السياسية في صراعها مع بعضها البعض1.

وعلى الرغم من أن هوك رأى أن الولايات المتحدة خرجت بسياسة خارجية مضطربة عقب الحرب العالمية، يسيطر عليها الضعف أمام عدو يقف لها بالمرصاد، فقد رأى عدد من الفلاسفة المعاصرين لهوك غير ذلك تمامًا، فيقول الفيلسوف الأمريكي ناعوم تشومسكي إنه: "في الوقت الذي ضعف فيه منافسونا كثيرًا أو حطموا كلية بواسطة الحرب، فأن الولايات المتحدة انتفعت كثيرًا منها، ولم تهاجم حدودنا القومية مطلقة، كما تضاعف إنتاجنا أكثر من ثلاث مرات عما كان عليه. حتى قبل الحرب، كانت الولايات المتحدة الأمة الصناعية الرائدة – كما كانت كذلك – منذ بداية القرن العشرين والآن ولديها بالفعل 50 % من ثروة الأمم كما تسيطر على كلتا المحيطين، ولم يشهد تاريخ العالم قوة سيطرت بمفردها على العالم كما نسيطر نحن ."[2] وعنها يقول أيضا فوالبرايت في كتابه غطرسة القوة – ثمن الإمبراطورية:"... ومنذ تلك الحرب العالمية الثانية، تحولت (الولايات المتحدة) إلى قوة يمتد تدخلها إلى جميع أرجاء العالم، وباعتبارنا القوة الأعظم في مرحلة ما بعد الحرب، تنامى لدينا اتجاه للاعتقاد بأن علينا مسئولية التدخل وحفظ النظام وحفز وتنفيذ برامج عالمية للتنمية وتحقيق الديمقراطية .

---

[1] Ibid, p.14

[2] ناعوم تشومسكي، **ما الذي يريده العم سام حقًا**، ترجمة موسى برهوم (عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1993). ص9 .

وهكذا أصبح المثل الأعلى هو التدخل، ولكنني اعتقد أنه مثل أعلى خاطئ وما كان بمقدورنا تحقيقه لافتقادنا الخبرة والمعرفة وأيضا القوة اللازمة ولفترة من الوقت خدعتنا فكرة التدخل، وما زالت بدرجة ما."[1] وعن هذه القوة وتضخمها يقول أيضا رسل:" ليست واشنطن هي التي تحكمكم، بل بنك مورجان والبترول، فالكابوس الذي ننتظره هو إمبراطورية المال الأمريكية التي ستنتشر في العالم ."[2]

ويرى تشومسكي أيضا أنه من حطام الحرب العالمية الثانية برزت قوة أمريكا فيقول:"... فخلال الحرب، دُمرَ معظم العالم الصناعي أو تعرض للضرر الشديد، في حين ارتفع الإنتاج الصناعي في الولايات المتحدة ارتفاعًا دراماتيكيًا إضافة إلى ذلك، كانت الولايات المتحدة قد أصبحت، منذ وقت بعيد، المجتمع الصناعي الرائد الذي يتمتع بمصادر داخلية ومميزات طبيعية وتماسك وتوازن اجتماعي لا نظير له، وكان من الطبيعي أن نتوقع، في ظل هذه الظروف، أن تعمد الولايات المتحدة إلى استخدام قوتها الهائلة لتنسق نظاما كونيا."[3]

هكذا اختلف سيدني هوك عن عدد من الفلاسفة الأمريكيين وغيرهم في رؤيتهم لسياسة الخارجية الأمريكية وزادات حدة الاختلاف كلما زادت حدة الموقف والقضايا التي يختلفون حولها وفي هذا الصدد يقول المفكر الأمريكي دافيد ليتشستين David S. Lichtenstein : "إن السياسة الخارجية للولايات المتحدة، أصبحت ساحة

---

[1] ج . وليم فوالبرايت ، **غطرسة القوة – ثمن الإمبراطورية**، لجنة التبادل التعليمي والثقافي بين الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية مصر العربية (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة). ص.321.

[2] برتراند راسل ، **جرائم الحرب الأمريكية** ، ترجمة إسماعيل المهدوي (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967)، ص 7.

[3] نعوم تشومسكي، **حقوق الإنسان والسياسة الخارجية الأمريكية**، ترجمة عمر الأيوبي (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1984)، ص 25

صـراعات حـادة حيـث تصـاعدت الصـراعات والمواجهـات بـين المفكـرين الأمـريكيين أنفسهم."[1]

وكانت تجربة الولايات المتحدة في فيتنام من أشد التجارب ضراوة وتصاعد حولها الجدل بين سيدني هوك والمفكرين الأمريكيين كما سيتضح لاحقا.

ثانيًا: تجربة فيتنام

أثارت حرب فيتنام جدلًا واسعًا بل وصراعًا كبيرًا، ليس فقط خارج وإنما أيضًا داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، ولمعرفة موقف سيدني هوك من هذه الحرب تجدر الاشارة أولًا إلى ظروف التورط الأمريكي وتداعيات هذه الحرب، يقول جيلين هاستد Gelenn P. Hastedt: "إنها الحرب التي ينظر إليها الأمريكيون على أنها خلفت ورائها أكثر من 55 ألف جندي أمريكي لقوا حتفهم، وتواجد أمريكي في فيتنام بلغ 541 ألف جندي، وعدد لا محدود وغير معلن من الضحايا والمصابين الفيتناميين وملايين الأطنان من القنابل التي تم إلقاؤها ."[2] ويقول سيوم براون Seyom Brown إن الإصابات بلغت فيها اكثر من 35,000 جندي أمريكي[3]، وعن حجم المصروفات العسكرية الأمريكية يقول جورج سي هيرينج George C. Herring "إنها وصلت إلى 150 مليار دولار أمريكي، وُوظفَ من أجلها التطور العسكري الأمريكي الهائل

[1] David S. Lichenstein, **The Radical Intellectual and American Foreign Policy: The Vietnam Experience**, (in) Paul Kurtz (editor), Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism (New York: Prometheus Books, 1989). p 84

[2] Gelenn P. Hastedt , **American Foreign Policy: Past, Present, Future**, 4th ed., (New Jersay: Prentica Hall Inc, 1999). pp. 99,100.

[3] Seyom Brown , **The Faces of power** , 43.

وأعظم الخبرات التكنولوجية.[1] بل أنه وفي عام واحد وهو عام 1946 – وحتى قبل التورط الأمريكي المباشر بل فقط بمساعدة الاستعمار الفرنسي في فيتنام – بلغت الإنفاقات الأمريكية 66 مليار دولار، وَوجَه ثلثي المبلغ إلى المجهود العسكري ."[2] وهي أيضا الحرب التي ذاق الشعب الأمريكي من جرائها ولأول مرة في تاريخه مرارة الهزيمة فها هو الرئيس الأمريكي جيمي كارتر Jimmy Carter يعلن عقب فترة الحرب الفيتنامية عام 1978: "بأن أشق وأصعب ما يمكن على الأمريكي استيعابه، أننا لسنا شعبًا أفضل من الشعوب الأخرى."[3]

وقال عنها السناتور وليم فوالبرايت: **"**لقد أزعجت حرب فيتنام الشعب الأمريكي، وأدت إلى انقسامه مثلما لم تفعل حرب من قبل طوال القرن العشرين ."[4]

وعند تناول تجربة فيتنام ثمة أسئلة تفرض نفسها:

1. ما هي تداعيات وظروف التدخل الأمريكي في فيتنام ؟ (للوقوف على مدى أحقية الولايات المتحدة في هذا التدخل، ومن ثم تقييم آراء هوك والآراء المضادة).

2. كيف كان التورط الأمريكي في فيتنام امتدادا لسياسة الحرب الباردة ؟ وكيف أدت حرب فيتنام إلى انقسام الشعب الأمريكي – أو بالأحرى المثقفين الأمريكيين؟ مثلما لم تفعل أي حرب من قبل في القرن العشرين _على حد تعبير السناتور وليم فوالبرايت)؟

3. ثم هل من ثمة أسس أخلاقية ارتكز إليها التدخل الأمريكي في فيتنام؟!

---

[1] George C . **Herring, America' s Longest War: The United States and Vietnam** (1950 - 1975) (New York: John Wiley & Sons Inc, 1979). p. ix .

[2] Kim Mc Quaid, **Uneasy Partners: Big Business in America Politics** (1945 – 1990) (London: The Johns Hopkins Press Ltd., 1994) , p. 35.

[3] John Dumbrell, **American Foreign Policy, Carter to Clinton** (New York: St. Martin ' s Press, 1997).p. 1 .

[4] فوالبرايت ، غطرسة القوة وثمن الإمبراطورية ، ص. 108.

فيا يلي محاولة للإجابة على هذه الأسئلة:

1- تداعيات التدخل الأمريكي في فيتنام

يرى الكثيرون إن التدخل الأمريكي في فيتنام يرجع إلى وقت كانت فيه فرنسا هي المسيطر على هذه البلاد وذلك:" منذ أن احتلت فرنسا فيتنام الجنوبية عندما أرسلت وحدات من الأسطول ما بين عامي 1840، 1850 إلى سواحل فيتنام الجنوبية بحجة حماية المبشرين المسيحيين."[1] بيد أن حكام فيتنام قديما كانوا حريصين على عدم الاحتكاك بالغرب وتجنبه وتجنب مشاكله، ومن هنا كان رفضهم لكل ما يتعلق بالغرب فكانوا ينظرون مثلا إلى البعثات التبشيرية على أنها جزء لا يتجزأ من الإمبريالية الغربية ... ولذلك كانوا يتخذون ضدها موقفا اكثر قوة وعنفا واضطهدوها ولكن لم يعجب ذلك بالطبع أصحاب المصالح والمطامع التجارية والعسكرية من الفرنسيين مما جعلهم يتلمسون الأعذار اللازمة لكي تتدخل فرنسا عسكريا عام 1875 لتتخذ هذه المنطقة مستعمرة لها.[2] وعند اشتعال الحرب العالمية الثانية كان النفوذ الفرنسي قد ضعف في هذه المنطقة من أسيا، وقبل عودة فرنسا إلى السيطرة مرة أخرى لم تكن الولايات المتحدة تعبأ كثيرا بهذه المنطقة.[3] ولكن عند قرب انتهاء الحرب العالمية الثانية ومع ضعف النفوذ الفرنسي في فيتنام، ومحاولة اليابانيين التدخل ومد نفوذهم إلى هذه المنطقة من العالم، هنا جاءت أول بوادر التدخل الأمريكي في فيتنام، وكان هذا التدخل في بادئ الأمر في صالح الفيتناميين أنفسهم، بل في صالح الثوريين الذين شكلوا تحالف أطلق عليه "فيتمنه Vietminh " وهو التحالف الذي نظمه عدد من الشيوعيين الذين كانوا منفيين خارج فيتنام ... بقيادة المناضل الفيتنامي هوتشي منه Ho Chi

---

[1] رسل ، **جرائم الحرب الأمريكية**، ص ص. 16 ، 17

[2] محي الدين فوزي ، **فيتنام الجنوبية تواجه العاصفة** ، ص 80 .

[3] George C . Herring: **America ' s Longest War** , p. 5.

Minh، (من أوائل مؤسسي الحزب الشيوعي الفرنسي والذي برهن على مهاراته ووطنيته في محاربته لليابان) وأقامت الفيتمنه حركة مقاومة امتدت إلى مجموع البلاد، وبدأت حملة حرب عصابات ضد اليابانيين وأعوانهم، وقبلت الولايات المتحدة وحلفاؤها مساندة الفيتمنة، وكانت تقذف لفرق العصابات المواد اللازمة بواسطة المظلات.[1]

فالأمريكان إذن كانوا متعاطفين أصلًا مع هوتشي منه Ho Chi Minh ، وهذا ما يؤكده جيلين هاستيد Jelen P . Hasted الذي يشير إلى أن الرئيس ترومان هو أول من تعامل مع هوتشي منه Ho Chi Minh بالدعم، فكان متعاطفا معه في جهوده للاستقلال من اليابانيين.[2]

وقد سعت فرنسا في تلك الأثناء (أي عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية) إلى استعادة سيطرتها على هذا الجزء من أسيا فيقول جورج سي هيرينج George C. Herring : "قد شعر الكثيرون من رجال السياسة الفرنسيين أن فرنسا يمكن أن تصبح قوى عظمى بالقدر الذي يمكن أن يظل فيه علمنا يرفرف على هذه الأراضي،"[3] وقد حاولت فيتمنه إجراء المفاوضات مع فرنسا من أجل الحصول على الاستقلال ولكن دون جدوى بل أنه في نوفمبر عام 1946 قتلت العسكرية الفرنسية 6 آلاف مواطن فيتنامي مدني لتشتعل بذلك شرارة الحرب التي استمرت عبر مراحل عدة لمدة اقتربت تقريبًا من الثلاثين عامًا."[4] وسعت فرنسا للحصول على مساعدات الولايات المتحدة ولكن لم يكن ترومان متعاطفا مع توجهات فرنسا لفرض سيطرتها وسلطانها على هذا النطاق من العالم، بل انه في عام 1947 حثها على إنهاء حروبها التي ضد هوتشي مينه Ho Chi Minh، واستمرت فرنسا في طلب المساعدات وخاصة لما حدث لها

---

[1] رسل ، جرائم الحرب الأمريكية ، ص ص 28 ، 29 .

[2] Jelen P . Hasted, p . 100.

[3] See Also : George C. Herring: America's Longest War, p. 3.

[4] George C . Herring : America ' s Longest War pp. 3,4 .

من خسائر، ففي أوائل عام 1949 وحده بلغت الإنفاقات العسكرية 167 مليون فرنك، وكانت تعاني شهريا من إصابات كبيرة في جنودها وصلت إلى 1000 مصابًا.[1] ومن الواضح إن توجهات ترومان تغيرت فجأة وكلية تجاه موقف مساعدة فرنسا: فيرى جورج سي هيرينج George C. Herring: "إن إمكانية هزيمة فرنسا، في الوقت الذي تحقق فيه الانتصار للشيوعية في الصين، عجل في أوائل الخمسينات بإتخاذ أمريكا قرار مساعدة فرنسا في الهند الصينية، وهكذا بدأت الخطوة الأولى نحو التورط الأمريكي المباشر في فيتنام."[2] وفي الخمسينات من القرن العشرين بدأت تتضح الإمدادات الأمريكية إلى فرنسا: ففي عام 1950 وخلال العامين التاليين أنفقت الولايات المتحدة 50 مليون دولار لمساندة الحكومة (الموالية لها) في الهند الصينية.[3]

وفي عام 1952م قام ترومان بمساندة القوات الفرنسية فيخبرنا جلين هيستد GlennHasted بأن الولايات المتحدة قدمت 30 مليون دولار أمريكي لفرنسا لمساعدتها على سحق المقاومة الفيتنامية.[4] وفي نفس العام وجدت الولايات المتحدة نفسها تتكلف تقريبا ثلثي تكاليف الحرب الدائرة في الهند الصينية.[5]

وتخوفا من الخطر الصيني وافقت الإدارة الأمريكية على ضخ مساعدات إضافية بلغت 150 مليون دولار في شكل مساعدات عسكرية:"وهددت أنه إذا ما حاولت الصين التدخل فأن الأسطول وسلاح الطيران الأمريكي سيتدخل مباشرة ويشن عمليات ليس في الهند الصينية فقط وإنما في الصين نفسها ."[6]

---

[1] Ibid., pp. 4,5.
[2] Jelen P. Hasted, , p . 100
[3] Seorge C Herring : America ' s Longest War p.9
[4] Ibid., p.17.
[5] Glenn . Hasted, American Foreign Policy p. 100.
[6] Seorge C Herring: America's Longest War p.18.

وفي عام 1953، عندما كان الفرنسيون لا يزالون يقومون بالحرب في فيتنام بتأييد الولايات المتحدة، أعلن الرئيس الأمريكي ايزنهاور التصريح التالي: " إذا فرضنا الآن إننا فقدنا الهند الصينية، فأننا سنفقد معها القصدير والتونجستين اللذين نهتم بهما كثيرًا، ولهذا نحاول أن نمنع بأقل ثمن، الخسارة المروعة التي يمكن أن نتحملها إذا أصبحنا غير قادرين على استخراج ما نريد من ثروات منطقة الهند الصينية في جنوب شرق أسيا ."[1] وفي نهاية نفس العام بلغت المساعدات الأمريكية 500 مليون دولار أمريكي، وغطت نصف مصاريف المجهود الحربي الفرنسي، ثم جاء عهد كيندي وكانت الولايات المتحدة ما زالت مستمرة في إرسال مستشارين لها إلى فيتنام، تمهيدا للتدخل الكلي.[2] وفي عام1954، أنزلت فرنسا بالفعل اكثر من 400 ألف رجل في الهند الصينية، وقد بلغ عدد من ماتوا من الفرنسيين 92 ألفا والذين جرحوا 14 ألفًا، وتكلفت الحرب حوالي 7 مليار دولار، ونظرا للخسائر المتتالية أخذ تمسك الفرنسيون بهذه الحرب يقل أكثر فأكثر، وأصبح المسرح جاهزا للتدخل المباشر من الولايات المتحدة، وفي 4 يوليه 1954، جاء – كما يذهب برتراند رسل – في النيويورك تايمز: "تتحمل الولايات لمتحدة هذا العام 78% من النفقات التي تفرضها الحرب في الهند الصينية على الاتحاد الفرنسي،"[3] وقد بلغت إجمالي المساعدات الأمريكية لفرنسا في الفترة من عام (1950) إلى عام (1954) 2.6 مليار دولار أمريكي في شكل مساعدات عسكرية. [4]

وعقب مفاوضات جنيف كان الدخول الأمريكي شكلًا ومضمونًا في فيتنام، وحيث أظهر الفرنسيون ... وعقب الخسائر المتلاحقة صراحة ميلهم إلى التخلي عن فيتنام. .. وفي 7 يوليو تم تعيين "نجودينه دييم" صنيعه الأمريكان، رئيسًا للوزارة، وكان الأمريكيون قد بدأوا بالفعل يتدخلوا في فيتنام سرًا عن طريق مستشاريهم وبعض

---

[1] Ibid., pp. 21,22.

[2] رسل ، جرائم الحرب الأمريكية : ص ص 124، 125 .

[3] نفس المصدر السابق ، ص ص 39 – 42.

[4] Seorge C Herring : America ’ s Longest War p.41

شخصياتهم المدنية الأخرى"[1]، وفي(13 مارس 1954) بدأت الحرب الأمريكية المباشرة في فيتنام، ومع التورط الأمريكي الهائل أعلن البنتاجون Pentagon أهداف أمريكا من هذا التورط وهي كما يأتي:

1. 70 % لتجنب حدوث هزيمة مروعة .
2. 20 % لحماية فيتنام الجنوبية من الصين .
3. 10 % للسماح لشعب فيتنام الجنوبية التمتع بحياة افضل وأكثر حرية.[2]

ويرى البعض أن التدخل الأمريكي المباشر في فيتنام جاء تخوفا من انتصار الشيوعية في كوريا والخوف من الصين ومحاولتها مد نفوذها إلى الدول المجاورة لها وكذلك نظرة الشك المتبادلة بين فرنسا وأمريكا، "فعلى الرغم من إجمالي المساعدات التي قدمتها الولايات المتحدة إلى فرنسا بلغت 2.6 مليار دولار أمريكي، إلا أن أمريكا أخفقت في محاولات التأثير على اتخاذ القرار وتوجهات السياسة الفرنسية، ورأت أمريكا أن فرنسا أخفقت لأنها أرادت أن تبني مستعمرات لها في الهند الصينية، ورأت انه لولا الإخفاقات الفرنسية لاستطاعت أمريكا أن تؤسس ما هو بمثابة خيار بديل عن الفيتمنة الشيوعية.[3] ويذهب البعض أيضا إلى أن التدخل الأمريكي في فيتنام ليس بالجديد " فقد كان نية مبيتة في أعقاب الحرب العالمية مباشرة حيث تبلورت السياسة الأمريكية في النقطتين التاليتين:

1) إن فرنسا لا يمكن أن تكون موضع ثقة سواء في إدارتها أو قدرتها على استعادة النفوذ في الهند الصينية رغم المعونات الضخمة.
2) إن فقد أي جزء من جنوب شرق أسيا وانتصار الشيوعية فيه معناه فقد كل

---

[1] رسل ، جرائم الحرب ، ص ص 39 ،42 .

[2] Jeleen P. Hastedt, American Foreign Policy pp. 103,104.

[3] Seorge C Herring : America ’ s Longest War pp.40-45.

المنطقة وبالتالي فقدان "هيبة" العالم الحر، أو العالم "الغربي".[1]

2- المقاومة الفيتنامية

في ظل السيطرة الأمريكية "المعلنة" أو الغير معلنة والتي كانت موجودة في ظل وجود الاستعمار الفرنسي لفيتنام، كانت هناك دوما المقاومة والثورة ضد العدو، تلك المقاومة التي بدأت بذورها عندما أطّلع وطنيون فيتناميون على الحضارة الغربية وما تحققه لمواطنيها من حرية ومساواة وديمقراطية، فعندما تورطت فرنسا في حربها مع ألمانيا تحولت تحت وطأة هزائمها والنقص في قواتها إلى مستعمراتها لتستمد منها العون فجندت جنود وعمال من فيتنام واستقدمتهم إلى فرنسا، ولأول مرة تشاهد هذه الأعداد الكبيرة من الفيتناميين أوروبا وتسمع عن مبادئ المساواة الاجتماعية والسياسية وتشاهدها في البلاد الأوروبية المُستعمَرة، وقد احتكوا فيمن احتكوا بهم بالاشتراكيين الفرنسيين وبالذين يكنون مشاعر العداء للنزعة الاستعمارية، كما شاهدوا معجزات التكنولوجيا وما استطاعت أن تحققه شعوب أوروبا. وعندما عاد من هذه الأعداد الهائلة من عاد حملوا معهم تجربتهم وأفكارهم الجديدة إلى المجتمع الفيتنامي الذي كان حتى تلك اللحظة يقاسي من نير الحضارة الأوروبية دون أن يرى أو يستمتع بمعجزاتها."[2] وفي هذا الصدد يقول أيضا رسل: "فقد أدت الخسائر التي منيت بها فرنسا في الحرب العالمية الأولى إلى تخفيض الأيدي العاملة المتاحة للمصانع.. وكان تشغيل هذه المصانع مسألة ضرورية، فقام المستعمر "باستيراد" أعدادا هائلة من المستعمرات كان من بينهم الفيتناميون الذين وجدوا في فرنسا تكوين فكري جديد بمزاعمه عن الحرية والمساواة والاخوة وكل الأشياء التي كانت مجهولة بل ومحرمة عن المستعمرات."[3]

وعندما عاد هؤلاء إلى وطنهم سعوا إلى خلق نمط للحياة مشابه لما رأوه في الغرب،

---

[1] محمد جلال عباس ، فيتنام قصة كفاح شعب القاهرة دارة المعارف بمصر ص.129.

[2] محي الدين فوزي ، فيتنام الجنوبية تواجه العاصفة ص80.

[3] برتراند رسل ، جرائم الحرب ص. 22 .

فتشكلت التحالفات التي كان أشهرها وأهمها تحالف فيتمنه " Vietminh " – وقد سبق الإشارة إليه – فهو التحالف الذي نظمه عدد من الشيوعيين الذين كانوا منفيين خارج فيتنام، بقيادة المناضل الفيتنامي هوشي منه Ho Chi Minh، "وأقامت الفيتمنه حركة مقاومة امتدت إلى مجموع البلاد[1]، وإذا كان الأمريكيون قد أيدوا في باديء الأمر حركة "فيتمنه" في نضالها ضد اليابانيين، فسرعان ما تغير موقف الولايات المتحدة، "ففي عام 1952، استجاب ترومان لطلبات فرنسا وقدم إليها مساعدات بلغت 30 مليون دولار أمريكي، وتغير موقفه هذا لم يكن له تفسير محدد، واختلفت النظرة إلى هوتشي مينه Ho Chi Minh، حيث تم تحويله من خانة الوطنيين إلى خانة هؤلاء الذين يمثلون التهديد الشيوعي للمصالح الأمريكية وللأمن الأمريكي.[2]

3- فظائع الحرب الأمريكية الفرنسية

لأن كل من فرنسا ثم الولايات المتحدة كانتا دوما تنكثان عهودهما تجاه المواطنين الفيتناميين، بل كان يتم تعيين وتنصيب مَن تُجهزه وتُعده من حكومات عميلة كي تحكم فيتنام، فأن الصراع استمر ودام بين الوطنيين الفيتناميين وبين القوات المحتلة. واستعملت الولايات المتحدة كل وسائل القمع المعروفة وغير المعروفة، وعن الفظائع التي ارتكبت في فيتنام يقول رسل: "فإن وصفها يتجاوز قدراتي."[3] فأصبحت الولايات المتحدة تحارب: "بأقذر الأسلحة: النابلم والغازات السامة، وتخرب الزرع وتحرق القرى وتقتل الجماعات، وتتبع كل وسائل القهر ليستسلم شعب فيتنام للسيطرة الأمريكية عن طريق عملاء تُغيَرهم كيفما شاءت عن طريق الانقلابات والمؤامرات."[4] فقد تم إرسال 8 مليون كائن بشري للعمل الإجباري في معسكرات الاعتقال – واستخدموا الكائنات البشرية فئران تجارب للأسلحة المختلفة مثل الغاز الذي يعميهم

---

[1] نفس المصدر السابق ، ص ص 28 ، 29 .

[2] See: Gleen P Hasted p. 100.

[3] رسل جرائم الحرب الأمريكية، ص119.

[4] محمد جلال عباس: فيتنام قصة كفاح شعب ص 96.

ويشلهم ويخنقهم ويسبب لهم اضطرابات الجهاز العصبي والاضطرابات العقلية، وقد أطلقت على المناطق الكثيفة السكان قنابل النابالم والفوسفور، التي تشتعل حتى لا تدع سوى الرماد ."[1]

أما عدد الفلاحين الذين قُتلَوا فبلغ 160 ألفا، وعدد من شُوهوا بلغ 700 ألفا، وقد أنشأ دييم والأمريكيون ما يُسمى "المراكز الريفية الاستراتيجية "، وفي هذه المراكز يشحن سكان المناطق الريفية والقرى، دون مراعاة وفي أي وقت من أوقات الليل أو النهار. ولم تقتنع الولايات المتحدة (بكل ذلك) فأرسلت إلى الشمال طائرات الهليوكبتر الخاصة، التي تزيد قدرتها في إطلاق النار على قدرة طائرات الحرب العالمية الثانية."[2]

ويقول جورج هيرينج George C. Herring إنه: "في عام 1967 كان للولايات المتحدة تقريبًا نصف مليون محارب أمريكي في فيتنام، وأسقطت من القنابل اكثر من كل القنابل التي أسقطت في الحرب العالمية الثانية، وأنفقت اكثر من 2 مليار دولار شهريا على الحرب."[3]

ويشير رسل إلى خبر ورد في النيويورك تايمز في 19 يونيو1962 عن أخبار تدمير حوالي 1400 قرية على يد الجيش الحكومي باستخدام النابلم والأسلحة الكيميائية. ويعلق إن الولايات المتحدة أرهقت نفسها كثيرًا كي تخفي عن العالم طبيعة هذه التصرفات؛ فكانت تدعي إنها من فعل حكومة دييم."[4] وهذا ما يؤكده دوجلاس ماكدونالد Douglas J. Macdonald في محاولته تبرئة الولايات المتحدة من الجرائم التي ارتكبت وإلصاقها بحكومة دييم فيعترف بأنه تم اختيار نيجودييم Ngo Dinh Diem برعاية الولايات المتحدة، ولكن: "تكمن المشكلة في أن دييم Diem

---

[1] رسل ، جرائم الحرب الأمريكية ص ص 119، 120.

[2] نفس المصدر السابق ص ص. 49 ،50.

[3] George C. Herring, p. 146.

[4] رسل ، جرائم الحرب الأمريكية ، ص ص 50 ، 15.

لم يتعلم أبدًا أي شئ غير السعي إلى سحق خصومه الوطنيين، فمنذ أن رفض هو وعائلته السماح لأي جماعة أخرى بالمشاركة في السلطة، في الوقت الذي تتزايد فيها متطلبات تلك الجماعات بالمشاركة، فقد رأى دييم Diem كل مجتمعه كأعداء حقيقيين، وجاءت ردود أفعاله لهذا التهديد الكبير من المحيطين به بشتى الوسائل التي تمكنه من البقاء في السلطة ولفترة قصيرة، وموقفه هذا لم يكن بالقوة ولا القدرة لتشكيل رد سياسي على التحدي الذي فرضه الشيوعيون (وهكذا لجأ إلى الرد العسكري).[1]

وعندما ساءت الأوضاع الأمريكية في المستنقع الفيتنامي توجه الأمريكيون نحو مزيد من العنف فيصرح الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون نفسه مخاطبًا رئيس القوات المسلحة الأمريكية Admiral Thomas Moorer (Chairman of the Joint Chiefs of State قائلًا:" هذه هي فرصتك لاستخدام مزيد من القوى العسكرية للفوز بالحرب، وإذا لم تفعل ذلك، فستكون أنت وحدك المسئول."[2] وبعدها بأيام معدودة بلغت القنابل التي ألقيت في فيتنام (36,000 قنبلة) وتضاعفت معدلات القتل وإزهاق الأرواح وموت آلاف من المدنيين في فيتنام الشمالية."[3]

الوصول إلى اتفاق

وبعد صراع مرير بين الوطنيين الفيتناميين والقوات الأمريكية تم توقيع اتفاق السلام في عهد ريتشارد نيكسون في عام 1973 ولكن كما يخبرنا جورج سي هيرينج George C. Herring: "لم تُنْه اتفاقية يناير 1973 الحرب في فيتنام، أو التورط الأمريكي فيها فمازال لفترة حتى عام 1975 حيث قرر الكونجرس تحديد صلاحيات وقدرات نيكسون على توريط الولايات المتحدة في حرب أخرى وقرر قطع أية مساعدات لفيتنام الجنوبية، وبانتهاء المساعدات الأمريكية لفيتنام الجنوبية ضعفت مقاومتها أما

[1] Douglas J. Macdonald, Adventures in Chaos, p. 248.

[2] George C. Herring Americas ' s Longest War p. 148.

[3] Ibid., p. 248.

فيتنام الشمالية، وفي ربيع 1975، سقطت فيتنام الجنوبية سريعًا..."[1]

وكان أكبر أثر مدوي ومستمر للحرب... هو التغيرات التي حدثت في توجهات الشعب الأمريكي تجاه أنفسهم وتجاه مكانتهم في العالم، فسقوط فيتنام الجنوبية كان له الأثر العميق على الولايات المتحدة، وهنا بدأت **تتصاعد التساؤلات: لماذا كان أصلًا التورط في الحرب !! فيصيح أحد مَن قُتَل أبناؤه في حرب فيتنام: "الآن وقد ضاع كل شئ وزال كل شئ، ما الذي قُتلَ ابني من أجله ؟!"[2] قالها أب بنسلفاني قُتلَ ابنه في الحرب .**

ثالثًا: سيدني هوك ما بين فلسفة الاحتواء والحرب السياسية

أثارت حرب فيتنام موجة عارمة من الجدل بين الفلاسفة في داخل أمريكا وخارجها، وانقسم الفلاسفة على أنفسهم ما بين مهاجمين بشدة لهذا التورط وبين مدافعين عنه، وقد كان هوك – على الرغم من أهوال التورط الأمريكي التي سبق عرضها – من المدافعين عن هذا التورط بل والمبررين لسياسة أمريكا بصدده فقد حاول جاهدا أن ينأى بأية مسئولية على أمريكا وبأن يعزي الحرب كلية إلى كونها حرب داخلية لم تَحْل الأيديولوجية الواحدة دون حدوثها ففي صدد حديثه عن أن الصراع في العالم أمر لابد منه أشار إلى أنه طالما كان يتواجد الإنسان فطالما سيتواجد صراع المصالح كعنصر متمم للوضع الإنساني... ويقول:" فمن الأوهام والاعتقاد الخطأ تصور إن وجود أيديولوجية عامة مشتركة، أو وجود تقليد مشترك أو لغة مشتركة كفيل بإنهاء الصراع،" ثم يقول إن: "أخطر وأعنف وأشد الحروب هي تلك التي دارت بين أناس يؤمنون بأيديولوجيات واحدة كما حدث ... في فيتنام."[3] وكأن أمريكا ليس لها يد فيما حدث من مجازر وأهوال وكان كل ذلك نتيجة محضة لحرب أهلية لا دخل لأمريكا فيها، وقد وجه إليه وليم فوالبرايت في هذا الصدد اتهامات شديدة عندما أعده من ضمن

[1] Ibid., p. 252.
[2] Ibid, pp. 263,264.
[3] Sidney Hook, Revolution Reform and Social Justice, pp. 218,219.

هؤلاء الذين يُنظّرون ويبررون فلسفات الحكومة فيقول نعوم تشومسكي: " إن المثقفين تواقون إلى نشر دين الدولة وتبرير كل ما يحدث بأنه " خطأ مأساوي " أو انحراف عن المُثل العميقة غير قابل للتفسير، ولعل الولايات المتحدة تتميز، في هذا المجال بين الديمقراطيات الصناعية على الأقل – فوسط فظائع اقُترفت في فيتنام، كان هناك دائما سيدني هوك لصرف النظر عن "الخسائر العرضية المشئومة" أو" العواقب غير المقصودة للعمل العسكري"، في حين كانت تقوم طائرات بي 52 بقصف شامل لدلتا نهر ميكونغ المكتظة في فيتنام الجنوبية، أو بممارسات أخرى مماثلة وصفها أرثر شليسنغر مرة بأنها "برنامجنا العام لإعلان حسن النوايا الدولي."[1] وجّه هوك بدوره نقدًا شديدًا لكل من خالفه فكريًا بصدد سياسية الخارجية الأمريكية وأطلق على هؤلاء لفظة (طبقة المفكرين الراديكاليين Radical Intellectuals Class) ورأى أنهم أشد في خطورتهم من الشيوعيين الشموليين أنفسهم فيقول:" ربما ينجح الشموليين في اكتساح ما تبقي من الحضارة الضعيفة جدا من خلال طبقة المفكرين الراديكاليين الموجودين فيها."[2]

ومن هذا المنطلق دار جدل بين هوك وخصومه فكريًا، وقبل عرض الاتهامات التي وجهها هوك إلى هؤلاء المفكرين فلنعرض أولًا– وفي شكل موجز– لأهم توجهاتهم الفكرية حتى يتضح مدى الاختلاف الفكري بينهم وبين هوك، وكيف كان نقده لهم وما هي السياسة البديلة التي رأى أنه على الولايات المتحدة إتباعها:

---

[1] نعوم تشومسكي، حقوق الإنسان والسياسة الخارجية الأمريكية ، ص. 8.

[2] David S. Lichtenstein,(in) Paul Kurtz (editor) Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism, p. 92.

1- ممثلي سياسية الاحتواء

أ) جورج كينان George Kennan

(رئيس قسم تخطيط السياسات في وزارة الخارجية الأمريكية The Head of the State Department Policy Planning Stuff) وهو كما يخبرنا دوجلاس ماكدونالد Douglas Macdonald:" مهندس سياسة الاحتواء Containment في الأربعينات"[1] ويرى جلين هاستد Gleen p. Hastedt أن أول تصريح استُخدم فيه مصطلح "احتواء" قد ورد في مقالة لجورج كينان في الشئون الخارجية Foreign Affairs حثّ فيها على أنه: "يمكن احتواء الضغط السوفيتي الموجه ضد المؤسسات الحرة للعالم الغربي بالتطبيق البارع الحذر للقوى المضادة في سلسلة من النقاط السياسية والجغرافية المتحركة، تبعا لتحركات ومغامرات السياسة السوفيتية التي لا يمكن لفظها من الوجود."[2]

ولأن كينان كان يرفض سياسة التدخل الأمريكي في شئون الدول الأخرى فقد رأى – كما يوضح سيمون براون Seyom Brown– أن هذه السياسة التي تتبعها الولايات المتحدة (سياسة التدخل) تسترجع سوء تصرف وسوء تقدير كبيرين وخطيرين في تأكيدات وفي مساعي سياسة الخارجية الأمريكية عامة." [3]ويرى جلين هستد Gleen Hastedt أن السياسة العسكرية للولايات المتحدة اتخذت من سياسة الاحتواء أساسا أوليا لها من حيث تشكيل الأحلاف والتجمعات لمحاصرة الاتحاد السوفيتي مثل:ناتو NATO وسياتو(SEATO) The Southeast Asia Treaty Organization).[4]

---

[1] Douglas Macdonald, Adventures in Chaos, p. 48

[2] Gleen P. Hastedt, American Foreign Policy, p. 31

[3] Seyom Brown, The Faces of Power, p.198

[4] Gleen P. Hastedt, American Foreign Policy p. 31

وإذا كان هوك قد رأى أنه ليس فقط بالمساعدات المادية يمكن لأمريكا تحقيق ما تريد، (انطلاقا من وجهة نظره المُدعمة للتدخل الأمريكي في شئون البلدان الأخرى)، فأنه على خلاف رأى هوك كان توجه المحافظين فقد رأى كينان أنه بدلا من التدخل الأمريكي الذي لم يؤْدٍ إلا إلى إضعاف أمريكا على المدى البعيد، يجب أن تهتم الولايات المتحدة بدول العالم الثالث في المرتبة الثانية لاهتمامها بشئونها الداخلية وأن تُحدث التوازن بين الاهتمام والتجاهل، مستعيضة عن ذلك بتقديم المساعدات الاقتصادية."[1] ويرى جلين هستد أنه تم بالفعل تحقيق مبدأ الاحتواء وخاصة في السياسة التي اتبعها ترومان من خلال: تقديم المساعدات والعون الأمريكي للبلدان الواقعة تحت سيطرة الشيوعية الدولية، وكذلك استهدفت برامج المساعدة الخارجية (خطة مارشال) إعادة بناء اقتصاد أوروبا وتحقيق التنمية في دول العالم الثالث من خلال برنامج الأربع أهداف The Point Four Program.[2]

ويرى دوجلاس ماكدونالد Douglas Macdonald إن جورج كينان آمن بأنه يجب على الولايات المتحدة أن تتوسط في سياستها الخارجية فيقول: ""يجب أن تتخذ نموذجا وسيطا في سياسة الاحتواء، نموذجا يقوم على الصبر والتأني، وان كان في الوقت نفسه يجب أن تكون سياسية الاحتواء حذره واعية فيما يتعلق بالتوجهات التوسعية الروسية."[3] وعلى الرغم من أن الكتاب والمفكرين الأمريكيين قد أكدوا أن سياسة الاحتواء وهي خلاصة فكر كينان: قد تم تطبيقها بالفعل، وخاصة في عهد ترومان، فانه جدير بالذكر أن التطبيق الفعلي لها اختلف عما ذهب إليه مؤسس سياسة الاحتواء نفسها الذي طالما أكد أنه لا يجب استخدام القوة المفرطة أو حتى استعراضها

---

[1] Douglas Macdonald: Adventures in Chaos p. 16
[2] Gleen P. Hastedt, p.31.
[3] Douglas Macdonald: Adventures in Chaos p. 42

وهذا ما يؤكده سيمون براون Seyom Brown حيث يقول: "فلم يُرَ (كينان) أية ضرورة ملحة للتركيز على العناصر العسكرية للقوة، فقد لاحظ أنه قياسًا بالعالم الغربي يظل السوفيت هم القوى الأضعف بكثير.[1] ويؤكد ذلك أيضا جلين هيستد فيقول: "لقد عارض كينان Kenann وبشدة الاعتماد المبالغ فيه على القوة العسكرية، وفي المقابل أكد على الاحتياج الشديد لتطبيق سياسة الاحتواء في أي مكان يحاصره المد الشيوعي."[2]

وعلى الرغم من أن سيمون براون ، نفسه يشير إلى أن كينان كان يعارض اتباع سياسة القوة، إلا أنه يُعرّف سياسة الاحتواء التي أسسها كينان بأنها: هي السياسة التي اتبعها ترومان... حيث اتباع سياسة قوية أمام الاتحاد السوفيتي تجعله يتردد قبل أن يقدم على مزيد من التوسع وفرض سيطرته في اتجاه الغرب، أي أن يتم استغلال احتياج الاتحاد السوفيتي إلى مساعدات الولايات المتحدة، حيث قيام الولايات المتحدة – كما يذهب المؤلف– بتقديم مساعدات اقتصادية لتحقيق الإصلاح الاقتصادي لإعمار الاقتصاد الروسي في فترة ما بعد الحرب وكان ترومان يهدف إلى حفظ المناخ للتعاون الروسي الأمريكي لأن ذلك هو المفتاح لإيجاد نظام أمنى جماعي فعّال، والذي بدوره، يُؤمل منه أن يفرض شيئا من المسئولية على السلوك السوفيتي.[3]

وإلى هذا الحد تتفق سياسة ترومان مع سياسة الاحتواء لكينان ولكن سرعان ما يشير المؤلف إلى القول إن ترومان يركز أيضا في سياسته على مبدأ القوة من حيث التسلح الدائم واستعراض القوة العسكرية للولايات المتحدة: " بل أنه في خطبة شهيرة له في يوليو1945 قطع الخطبة وأعلن: "تلقينا الآن خبر أنه تم بنجاح إجراء تجربة نووية جديدة Alamagora test."[4]

---

[1] Seyom Brown : The Facesof Power p. 24
[2] Glenn Hasted, American Foreign Policy, p. 31
[3] Seyom Brown, The Faces of Power, p. 20

[4] Ibid., p. 21.

وهكذا حُرّفَت سياسة الاحتواء تمامًا في مجال التطبيق عما وضعه أصلًا صاحبها؛ فمع أن سياسة الاحتواء كما وضعها كينان تختلف كثيرا عن الجانب التطبيقي الذي أُتبَع في سياسة الخارجية الأمريكية، فأن الولايات المتحدة لطالما تورطت في حروب (لعل حرب فيتنام مثال عليها) في ظل مسمى أنها تتبع سياسة الاحتواء. ومع كل هذه الدموية التي رافقت سياسة الخارجية الأمريكية، فقد تعرضت للنقد اللاذع من قبل عدد من المفكرين منهم هوك وكذلك جورج سي. هيرينج George C. Herring: الذي يذهب إلى أن التورط (في فيتنام) ليس نتيجة خطأ شخصي بل أنه نتيجة لإتباع سياسة الإحتواء فيقول: " إن التورط الأمريكي في فيتنام ليس بالضرورة نتيجة أخطاء في الحكم أو تهور شخصي لصانعي السياسة، ولكن ومنطقيا، إن لم يكن حتما، هو نتاج لحال وضع العالم السياسي، حيث سياسة الاحتواء، تلك السياسة التي تقبلها الأمريكيون، داخل وخارج الحكومة دون إثارة أسئلة حولها خلال ما يزيد عن عقدين من الزمن، فالتورط في فيتنام زاد بزيادة إتباع سياسة الاحتواء."[1] وهكذا وجُهَت الاتهامات إلى كل من طالبي المهادنة Appeasement أوعدم التورط في حروب مع الاتحاد السوفيتي ودول الطوق .

ب) وليم فوالبريت (رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي)

يرى العديد من المفكرين الأمريكيين أن لجنة العلاقات الخارجية برئاسة السناتور وليم فوالبرايت هي الأرض التي يلتقي فوقها أصحاب الآراء الوطنية المُثيرة للجدل حول التورط الأمريكي في فيتنام.[2] وقد وجه السناتور فوالبرايت نقدا لاذعًا لسياسة التدخل الأمريكي في شئون البلاد الأخرى فها هو يقول في كتابه: "غطرسة القوة ...ثمن الإمبراطورية: "ومنذ تلك الحرب العالمية الثانية، تحولت (الولايات المتحدة) إلى قوة يمتد تَدخلها إلى جميع أرجاء العالم، وباعتبارنا القوة الأعظم في مرحلة ما بعد الحرب،

[1] George C. Herring , America ' s longest War, p. x.
[2] Seyom Brown: The Faces of Power, p. 198

تنامى لدينا اتجاه للاعتقاد بأن علينا مسئولية التدخل وحفظ النظام وتحفيزه وتنفيذ برامج عالمية للتنمية وتحقيق الديمقراطية وهكذا أصبح المثل الأعلى هو التدخل، لكنني اعتقد أنه مثل أعلى خاطئ وما كان بمقدورنا تحقيقه لافتقادنا الخبرة والمعرفة وأيضا القوة اللازمة ... ولفترة من الوقت خدعتنا فكرة التدخل، وما زالت بدرجة ما."[1]

وإذا كان من يعلنون أن الولايات المتحدة تتدخل من أجل إعلاء مُثل الديمقراطية وإيجاد حكومات صالحة؛ فان فوالبرايت يؤكد على أنه ما من دولة تدخلت فيها الولايات المتحدة إلا وحلت نظم ديكتاتورية، فيقول: "ومع كل النوايا النبيلة، فان البلدان التي وقعت تحت وصاية الولايات المتحدة في مجال الديمقراطية، لم تصبح ديمقراطية، ويدخل ضمن ذلك هايتي التي ترزخ تحت حكم ديكتاتورية وحشية، وجمهورية الدومنيكان التي عانت من ديكتاتورية تروجيللو لمدة ثلاثين عاما ... وبالتأكيد كوبا في ضوء هذا السجل الحافل من الإنجازات ربما أن الأوان لنُعيد النظر في الأساليب التي نعلم بها الآخرين الديمقراطية، فقد لا نكون مؤهلين لمهمة التبشير بالديمقراطية. وقد يكون من الأفضل لنا أن نُركز على ديمقراطيتنا نحن بدلا من محاولة نقل عدوى نموذجنا الخاص بالديمقراطية لأبناء أمريكا اللاتينية."[2]

ولعل ذلك يتفق مع ما ذهب إليه برتراند رسل إذ يقول: تتنوع الحكومات التي تعتمد في وجودها على قوة الجيش الأمريكي؛ إنها دوما حكومات تدعم الأغنياء والملاك العقاريين، وكبار الرأسماليين، هذا هو الحال في البرازيل، وفي بيرو، وفي فنزويلا، وفي سيام، وفي اليابان، وفي كوريا الجنوبية، وهذا هو الحال في العالم اجمع."[3]

ومن لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس انطلقت التوجهات المناهضة

---

[1] وليم فوالبرايت ، غطرسة القوة ، ثمن الإمبراطورية ص. 321.

[2] نفس المصدر السابق ، ص. 51.

[3] رسل: جرائم الحرب، ص .129

لسياسة أمريكا الخارجية وفي هذا الصدد أعلن السناتور جورج ماك جوفرن George Mc. Govern (وهو من أشد المؤيدين لوضع قيود على سلطة الرئيس في إعلان الحروب: "ليس من الممكن أن نُعلم الجيل القادم بأكمله أن يُفجر ويقتل الآخرين في حرب غير مُعلنة وغير مبررة وليست لها نهاية خارج الحدود، دون أن ندفع أبشع ثمن فيما يصاب به المجتمع في الداخل من تخبط وتشويش."[1]

وكذلك ذهب السناتور جنرال جيمس جافين General James Gavin إلى أن الولايات المتحدة بتدخلاتها في دول العالم لا تفعل إلا ما يضع الولايات المتحدة نفسها في خطر كبير."[2]

2- سيدني هوك ونقد سياسة الاحتواء

على النقيض من موقف كل من كينان وفوالبرايت جاء فكر هوك بالنسبة لسياسة الخارجية الأمريكية: فقد كان هوك شديد الشك والريبة في الاتحاد السوفيتي ومن هذا المنطلق جاء فكره الذي هاجم فيه سياسة الاحتواء واعتبرها سببا للتخبط في السياسة الأمريكية وتطبيقها يُعد من العوامل الداعمة للعدو فيقول: "على الرغم من سياسة الاحتواء التي يتبعها الغرب، فأن الكرملين سينتهز أي فرصة ويشن حربا، في الوقت الذي تنغمس فيه الولايات المتحدة في آسيا حيث مواجهتها لكوريا الشمالية وتدخلها في فيتنام الجنوبية وعدائها للصين.[3] ولا يعني ذلك أن هوك يعارض تدخل الولايات المتحدة في هذه الحروب، وإنما يقصد أن الاتحاد السوفيتي يقف وراء هذه الدول، وينتظر استغراق أمريكا في هذه الدول للانقضاض عليها فيقول: "لقد تورطت الولايات المتحدة حديثا في حرب محددة مع العرائس المتحركة للاتحاد السوفيتي على

[1] John Dumbrell, America Foreign Policy, p. 6
[2] Seyom Brown, the Faces of Power, p. 198.
[3] Sidney Hook Political Power and Personal Freedom, p. 402

الأراضي الكورية."[1] ويقول: " هناك عاملان قويان مدعمان للسوفيت: أسطورة أهدافهم اللانهائية، والجهل العميق في العديد من الدول بنظامهم الداخلي."[2]

ويرى هوك أيضًا أن العدو الشيوعي من الصعب التخلص منه فيقول: "إن القول بإن النظام الشيوعي يمكن زحزحته بسهولة مثل أي إدارة غير مرغوب فيها، أو مثل أي ديكتاتور في أمريكا الجنوبية، يتجاهل واحدة من أهم مظاهر الديكتاتورية الشيوعية. فالنظام الشيوعي أكثر شمولية وديكتاتورية من أي نظام مستبد عرفه التاريخ . فهو يُسخّر كل شئ بداية من لعبة الشطرنج حتى ملاعب السيرك، فيُسخّر ويُنظم ويُسيس كل شئ لخدمة أغراض ديكتاتورية الحزب."[3]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا وبناء على قول هوك السابق لماذا تعطي الولايات المتحدة نفسها أصلًا الحق في الإطاحة بحكام وتنصيب آخرين، وكأن من المفروض أن يتم ذلك وفق هوى واشنطن!

وانطلاقًا من المخاطر التي – كما يرى هوك – تحيط بالولايات المتحدة على وجه الخصوص وبالعالم الحر على نحو عام، رأى هوك أنه على الولايات المتحدة دور رائد يجب أن تضلع به فهي – كما يرى – "العضو الأقوى في حلف شمال الأطلنطي "ناتو" "NATO" وعلينا (الأمريكيون) الاضطلاع بالدور القيادي".[4]

وعن دورها هذا يقول أيضا دافيد ليتشستين David S . Lichtenstein: "تتحمل الولايات المتحدة مسئوليات القوى العظمى، وهذا أمر ما لا مفر منه."[5]

---

[1] Ibid., p. 389.
[2] Ibid.
[3] Ibid., p. 392.
[4] Ibid, p. 428.

[5] David Lichtenstein p. 84

والدور الذي تضطلع به الولايات المتحدة – كما يرى هوك– يمتد إلى إنقاذ الدول الواقعة تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي ويرى من هذا المنطلق أن أكثر المناطق المتفجرة في أوروبا اليوم هي أوروبا الوسطى، (ألمانيا ودول الطوق السوفيتية)، فمعظم السكان في هذه البلدان تطغى عليهم القومية أكثر من الشيوعية، وسيسعون إلى الحصول على استقلالهم السياسي من الكرملين كلما تمكنوا من ذلك، فإذا سحب الجيش الأحمر قواته من أوروبا الشرقية وألمانيا الشرقية فإن هذه البلدان ستفوز بحريتها السياسية، بدون تدخل من الغرب – ولكن ماذا لو لم يسحب الجيش الأحمر قواته من أوروبا الشرقية وألمانيا الشرقية، هنا يأتي دور العالم الحر."[1]

فما معنى ذلك؟ هل معناه أن هوك يريد الولايات المتحدة أن تشن حربًا شاملة على الاتحاد السوفيتي واتباعه؟ – من الواضح إن الإجابة بالنفي، فماذا أراد هوك إذن ؟ لقد أراد عدة أمور:

1) التهديد بالقوة
2) تحييد دول الطوق
3) شن حرب سياسية واسعة.

ويعرض هوك هنا للعقيدة البولشيفية، تلك التي يؤمن بها ويطبقها لينين ثم ستالين ثم خروشوف: حيث يرى أنه مهما اختلفت الدعاية فإن سياساتهم واحدة لم تتغير عن العقيدة البولشيفية، فيقول هوك: "تعد البولشيفية Bolshevism من أعظم وأكبر الحركات العلمانية المتعصبة في التاريخ الإنساني، والشيء الوحيد الذي يمكن أن يروض المذهب العلماني المتعصب هو الخوف من الإخفاق، من الهزيمة في العالم الوحيد الذي يعرفونه، فإذا لم تكن على يقين من النصر، وإذا لم تكن خائفة من الهزيمة، فلن تغامر بالخوض في حرب، حتى لو كانت ستَهزم العدو، ولكنها لن تقوى بعدها على البقاء ."[2]

[1] Political Power and Personal Freedom pp .423, 424.

[2] Ibid., p422

وهو يرى أنه من الأخطاء التي وقع فيها الغرب: "الإخفاق في فهم إن الاتحاد السوفيتي لا يرغب حقا في شن حرب شاملة، صحيح أنه يتحرك دوما لانتهاز أية فرصة، إلا أنه يتقهقر على الفور إذا ما وجد خطرا يمكن أن يدمره."[1] فهو يرى إذن أن للتهديد بالسلاح النووي أهمية كبيرة فيقول أيضا: "فطالما كان الكرملين على يقين بأننا على أتم الاستعداد لاستخدام هذه الأسلحة لردعه من القيام بأية اعتداءات تهدد العالم، فسنكون على يقين وسنحصل على أفضل ضمان وتأكيد على تحقيق السلام. وبمجرد أن يرى الكرملين أن هذه الإرادة على الحرب من أجل الحرية بأي سعر قد اختفت، حيث الدعايات عن التعايش السلمي وعدم التسلح والمسالمة – فسينقض على العالم الحر ويفلح فيما اخفق هتلر في تحقيقه"[2]، ويضيف: "يبدو لي صحيحا أن الأسلحة المطلقة يمكن تجنب استعمالها إذا اعتقد الكرملين بأنه سيتم استخدامها فعلًا، ويعني ذلك أن أسلحة الدمار الشامل للغرب ليست هي القنبلة الهيدروجينية أو أي سلاح رهيب أخر، ولكن التوجه نحو الحرية وإرادة الموت من أجلها إذا كان ذلك ضروريا."[3] ولعله من الواضح أنه إذا كان المعلن إن الدولة تطبق سياسة الاحتواء، فهي في الواقع كانت اقرب في التطبيق لأفكار هوك وتوجهاته وقد صدق في ذلك من قالوا إن آراء هوك كانت تصل إلى أعلى غرف صناعة القرار في أمريكا، ويتضح مدى الاتفاق بين توجهات هوك والسياسة المطبقة بالفعل في الولايات المتحدة في تحليل أعده سفير الولايات المتحدة في الاتحاد السوفيتي أفيرل هاريمان Averell Harriman، أكد فيها على أهمية " إعادة النظر في سياستنا تجاه الاتحاد السوفيتي، متخوفًا من أنه إلى مدى بعيد نتجت سياستنا الحالية من "سوء فهم بأن السوفيت يشاركوننا الإلتزام بنظام عالمي يقوم على الاستقلال القومي والسلمي." ويرى سيمون براون Seyom Brown إن هذا التحليل اهتم به كثيرا ترومان وأشار في مذكراته إن تحليل هاريمان Harriman في

[1] Political Power and Personal Freedom, p. 422
[2] Ibid., p.426
[3] Ibid p.426

أبريل 1945، يوضح كيف أن ستالين أساء فهم كرمنا وتسامحنا ورغبتنا في التعاون المشترك، وكأنها ستتضامن معه ولن تفعل أي شئ لمنعه من توسيع دائرة سيطرته وغزوه لجيرانه، فالسوفيت، كما يقرر هاريمان Harriman، لا يرغبون في السقوط مباشرة مع الولايات المتحدة، كما أنهم بحاجة لمساعدتنا في برنامجهم لتحقيق الإصلاح فيما بعد الحرب، ولكن ستالين لن يتردد من توسيع حدوده السياسية نحو الغرب إذا ما شعر أنه يستطيع فعل ذلك دون تحدي سياسي كبير ورادع، ويؤكد هاريمان Harriman على أنه يجب القضاء على تصور ستالين الخطأ عن التساهل الأمريكي ويعلق سيمون Seyom بأن الرئيس ترومان أتبع نصائح هاريمان Harriman حيث اتبع سياسة غليظة مع السوفيت فيما يجد من أمور.[1]

وهكذا كان ترومان يعلن دوما إن: "القوة هي الشيء الوحيد الذي يفهمه الروس."[2]

من الوسائل التي عرضها هوك أيضا: تحييد دول الطوق: يقول هوك: "يبدو لي أنه من الصائب أنه على أمم حلف شمال الأطلنطي أن تعرض سحب قواتها العسكرية من ألمانيا الغربية شريطة أن تنسحب القوات السوفيتية من ألمانيا الشرقية ومن أوروبا الشرقية، وان تظل هذه البلدان على حياد دائم، وان تجري فيها انتخابات حرة."[3]

ويعرض هوك لمزايا جعل هذه الدول على حياد من حيث: "أولاً: ستُحرر دول الطوق نفسها من الحكم السوفيتي، ثانيًا: ربما يزيد تحقيق ذلك من عملية التحول إلى الديمقراطية democratization ثالثًا: تحت مظلة الضمان الغربي لحياد هذه الدول، فأن مصادر أوروبا الوسطى ستتنوع وتزداد إلى مدى كبير يمكن من الارتفاع بمستوى المعيشة . رابعا: إذا كان الحياد فعالا وقويا في هذه المنطقة من العالم، فيمكن أن يمتد إلى مناطق أخرى من العالم –ربما الشرق الأوسط– ربما الشرق الأقصى.[4]

---

[1] Seyom Brown, Faces of Power, p.20.
[2] Ibid , p.17.
[3] Sidney Hook, The Political Power and Personal Freedom p. 423.

.[4] Ibid. p. 424

ولكن يستدرك هوك فيعرض لعدة أخطار ترتبط بتحييد الدول حيث يتساءل:1) كيف يمكن أن نثق في أن الكرملين سيتعايش وفقا لتعهده على ضوء تاريخ انتهاكاته لوعوده؟... وما الضامن أن القوات السوفيتية لن تتقدم وتنتهك حياد هذه الدول ؟ وبناء على هذا السؤال يجيب بتساؤل آخر: ما الذي يمنع الكرملين، في حالة إذا ما غيرت دول الطوق نظامها وسماتها الآن، من أن يتصرف نفس التصرف الذي اقترفه في المجر ؟ ثم يجيب: لا شئ نلزمه به، ومن هنا يكشف هوك عن الوسيلة التي بها يتم به تأمين حياد هذه الدول ضد أي مخاطر يقدم عليه الاتحاد السوفيتي من خلال تأمين هذه الدول بأسلحة كافية، أسلحة تقليدية أو حتى نووية، لمنع الكرملين من العدوان عليهم دون أن يجدوا مقاومة ومعارضة . "

2) ومن مخاطر سياسة التحييد –كما يذهب هوك– إن الكرملين ربما يتحرك لإعادة السيطرة على دول الطوق، ليس من خلال الهجوم والاعتداء الغاشم الخارجي وإنما من خلال الانقلاب، فحركات الانقلاب الداخلي يمكن أن تقوم بها قوى عسكرية وطنية وبأسلحة تقليدية.

3) الخطر الثالث: إن الغرب، وعلى وجه التحديد، الولايات المتحدة، ربما لن تخاطر بتدمير مدنها وبقائها كي تدافع عن بولندا أو ألمانيا الشرقية، هناك خطر حقيقي وقوي.[1] وهنا تأتى النقطة التالية: في وسائل مواجهة الاتحاد السوفيتي ألا وهي الحرب السياسية Political War

رابعًا: الحرب السياسية

1– أهداف وأهمية الحرب السياسية

يرى هوك بأنه ليس هناك فارق متميز بين الحرب السياسية وسائر أنواع الحروب الأخرى، فالحرب هي استمرار للسياسة باستخدام وسائل أخرى."[2]

---

[1] Ibid., PP. 424, 425

[2] Ibid., p.389

ويؤكد هوك إنه يجب أن تركز وتوجه أساسًا وكلية كل جهود الحرب السياسية على إضعاف ديكتاتورية الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، وإن كان يستدرك موضحا إن ثمة أمر يجب أخذه في الاعتبار ألا وهوانه نظرا لأسباب تقنية، ونتيجة للحصار المفروض على الشعب الروسي فانه ليس من الممكن أن تصلهم معالم الحرب السياسية، حيث حصار حديدي لا صوت بداخل حدوده إلا للكرملين، والبوليس السري فلا يمكن لهذا الشعب الحصول على معلومات غير تلك التي تصدرها الدولة، وهكذا فان الدعاية السياسية الموجهة للاتحاد السوفيتي ستقع أول ما تقع في يدي مسئولي الحزب الشيوعي، وهذا ما يجب أن يؤخذ في الاعتبار عند توجيه أي دعاية.

وما زال هوك يؤكد على أن الهدف من الحرب السياسية هو تحرير البلدان الواقعة تحت سيطرة الشيوعية من الاستبداد فهو يرى إن الشعب الروسي مازال عبدا للمسئولين، فبدون الحصول على تصريح من هؤلاء المسئولين لا يستطيع الناس عقد الاجتماعات، ولا يستطيعون طبع الكتب أو الصحف!! أليست تلك عبودية ؟ (هكذا يتساءل هوك) ... ثم يقول:" إن الفلاح الروسي محروم كل الحرمان من حرية الانتقال وعليه أن يستأذن أولًا المسئولين لأن الحاكم هو الذي يعرف جيدا أي الأماكن افضل للمحكوم فالمزارع طفل لا يتحرك دون سلطة ... أليست هذه عبودية ..إني أسألك؟ !![1]

وإن كان للحرب السياسية كما يؤكد هوك عوامل (كسب أخرى)، فتتمثل في أن المكاسب التي تُجنى من الحرب السياسية أرخص (في الثمن الذي يُدفع فيها)، فضلا عن أنها أكثر دواما من الانتصار العسكري.

ويأتي إيمان هوك بأهمية الحرب السياسية انطلاقًا من إدراكه ورغبته في مواجهة شرور – على تعبيره– الشيوعية في العالم الغربي، ودعايتها المضللة . ويقارن هنا بين النظام النازي والنظام الشيوعي، فيرى أنه حتى لو تواجد إصلاح اجتماعي دائم في الغرب فأنه ليس كافيا لمواجهة الشيوعيين ويقول: "فبعد أن وصل نظام هتلر إلى السلطة، لم يستطع الإصلاح الاجتماعي ونمو العاطفة السلمية في البلدان الأخرى أن

[1] Ibid, pp. 398,399.

يوقفوا امتداده: ونفس الشيء صحيح وينطبق على النظام السوفيتي."[1]

والحرب السياسية التي ستتبناها الولايات المتحدة: "ليست أساسًا الحرب الحربية وليست الثورية كرد فعل، فالمساندة والاتصال سيكون بالليبراليين الديمقراطيين الاشتراكيين الروس وليس بالثوريين reactionaries، الذين لن تؤدي مساندتهم إلا إلى تقوية الكرملين. وهكذا فإذا نجحت الحرب السياسية في أن تهزم الكرملين قبل أن يُغامر بأي مخاطر عسكرية، فإن ذلك سيكون من دواعي سرور ليس فقط الأمريكيين وإنما الجنس البشري بأسره بما فيهم الشعب الروسي نفسه.[2]

وأفضل سبل المواجهة في السياسية هذه هي: "أنه على الديمقراطيات أن تحافظ على الجانب الهجومي في الحرب السياسية ضد النظام الشمولي للاتحاد السوفيتي ... ولكن ينبغي أن تشكل الاستراتيجية والتكنيك للهجوم بشكل مختلف على حسب اختلاف مناطق الصراع، ربما كانت هذه المناطق تتمثل في الاتحاد السوفيتي دول الطوق The Satellite country، دول أوروبا الشرقية وليس فقط بلادنا."[3]

ويوجه أيضا هوك الحرب السياسية صوب الحزب الشيوعي داخل أمريكا، ولكن لماذا يقاومه هوك؟ لأنه يرى أن كل الأحزاب الشيوعية هم تلاميذ تعلموا على يد ستالين وخروشوف ومن قبله لينين. ومقاومة الشيوعية ليست بسبب القوة القومية للحزب الشيوعي ولكن لأن استفحال قوة الحزب الشيوعي يعني بالنسبة لهوك أن يحل الاضطراب بمسيرة الديمقراطية وأن تتصاعد التيارات المنادية بالُعزلة وأن يقوى مزاج طلب الهدنة والمسالمة، وهكذا يأتي توجيه الحرب السياسية صوب الحزب الشيوعي في الداخل لمنع :"التصميم على الديمقراطية من أن يضطرب، والعزلة من أن تترعرع، ومزاج المهادنة من أن يتعمق، فكل هذه الأمور هي أهداف الدعاية الشيوعية"، فضلًا عن سياسة الهجوم offensive action المقنعة تحت شعار الدفاع التي يتبعها

---

[1] Ibid., p.390

[2] Ibid 401 , 402 .

[3] Ibid, pp.390, 391.

الشيوعيون، فقد تعلموا كيف يعلنون خلاف ما يضمرون فيقول هوك : "تعلموا هذا الدرس عندما يقولون بأنهم يعتقدوا في العنف فقط "للدفاع" عن الديمقراطية أو عندما يبرروا غزوهم ، بأنه لصالح السلام، أو عندما يدعون انهم ينون السطوسلميا على السلطة طالما لم يحاول أحدهم مقاومتهم في تحقيق ذلك.[1]

2- كشف فظاعة العدو

ولكن ما هي الخطوات التي يمكن اتباعها في الداخل في سبيل تحقيق الحرب السياسية يقول هوك:

أولًا: جعل الحقيقة المؤكدة عن النظرية والممارسة الشيوعية أمرًا واضحًا وشائعًا، بدلًا من المقالات الواهية ذات الصبغة العاطفية التي ستنتهي بجعل القراء لا يدركون الأخطار الرهيبة لتوسع السلطة الشيوعية في العالم.

ثانيًا: التذكير دوما بأننا نحيا في ديمقراطية وأن أفعالنا العامة والخاصة يجب أن تتلائم مع مهامنا داخل حدود الأمن القومي.

ثالثًا: تفادي الصرخات الهستيرية القائلة بإن الانتهاكات التي تصيب عقيدتنا الديمقراطية تجعل من ثقافتنا "ثقافة سيئة بالضبط كالثقافة السوفيتية، ويتفق مع هوك في هذا الصدد كينان الذي أكد على أهمية توعية الشعب الأمريكي بحقائق الروس فقد حث على: "أهمية جعل العامة مدركين وملمين بحقائق الموقف الروسي."[2]

3- الحرب السياسية في أوروبا ودول الطوق

أولًا: في أوروبا

يرى هوك أن الحرب السياسية في أوروبا على القدر الأكبر من الأهمية، ويؤكد على دور الدعاية التي يمكن بها تعزيز وجهة النظر الأمريكية في دول أمريكا الغربية وان كان يستدرك بأن لا يكون ذلك مماثلا لما يفعله الاتحاد السوفيتي من محاولة إلقاء هالة من التقديس عليه، وهو يهتم بأن يتم إعطاء معلومات صحيحة عن الولايات

[1] Ibid., p. 390.

[2] Seyom Brown: The Faces of Power p. 24.

المتحدة لدى المواطن الأوروبي، وعن مستوى المعيشة، ووجود الاتحادات التجارية الحرة، والصحافة الحرة، والمدارس، ومد يد المساعدة لمن في حاجة إليها، فيقول: "فربما ساعدت هذه المعرفة الصحيحة في تصحيح وجهة نظر الأوربيين الغربيين عن أمريكا الذين لا يحبون أي شئ أمريكي سوى روايات العنف، فضلا عن تخوفهم من أن تصبح بلادهم الأرض التي تدور عليها حرب قادمة، وتتم هذه التوعية عن طريق حملة دعائية منظمة عن حقائق الأوضاع في الاتحاد السوفيتي، فسوف تقوض وبشدة الوضع الأخلاقي للأحزاب الشيوعية الجماهيرية في كل من فرنسا وإيطاليا، حيث ارتباط هذه الأحزاب بالاتحاد السوفيتي."[1]

فيؤكد هوك إذن على أهمية الحرب السياسية في أوروبا ويقترب المعنى هنا أكثر ما يقترب مما نطلُق عليه "القوى الناعمة" أي الدور الذي يمكن أن تؤديه الثقافة والتوعية في بناء إدراك الآخرين وإعادة تشكيل وعيهم. ويؤكد أهمية ذلك وخاصة لأن صورتها قد شوّهت. ويقول فردريك مارتن ستيرن في هذا الصدد" ذلك هو نوع من الكراهية لأمريكا، هذا النوع من الكراهية الذي كان "موضة" عند بعض المفكرين الأوربيين منذ زمن، وسآني أن أرى الكثيرين وقد اصبحوا ينظرون للولايات المتحدة بريبة شديدة بل بخليط من الخوف والاحتقار."[2]

وعلى الرغم من هوة الخلاف بين هوك وكينان إلا أن الأخير يتفق أيضًا هنا مع ما ذهب إليه هوك من ضرورة تحسين صورة أمريكا في البلدان الأوروبية، ومع ذلك تختلف أسس تصوراتهما ووسائلها فيشير كينان (في مذكرة رفعها إلى جورج مارشال وزير الدولة للشئون الخارجية في صدد حديثه عن المساعدات التي ستقدم إلى أوروبا) إلى خطورة تأثير وسائل الإعلام على أساس إنها أضلّت الرأي العام في نقطتين يجب إزالة اللبس فيهما وهما كما يلي:

---

[1] Sidney Hook, Political Power and Personal pp. 393, 394.

[2] فرديك مارتن ستيرن ، مجتمع بلا طبقات ، ص4.

1) إن موقف الولايات المتحدة تجاه مشكلات العالم هو موقف دفاعي وكرد فعل للضغط الشيوعي، وأن الجهود لإصلاح الظروف الاقتصادية في البلدان الأخرى هوفقط رد فعل لذلك، وليس لأننا مهتمين حقا بتقديم هذه المساعدات حتى وأن لم يكن يتواجد تهديد شيوعي.
2) إن مبدأ ترومان *Truman Doctrine تأكيد خاوي على أن المساعدة الاقتصادية والعسكرية لأي مكان في العالم حيث يُظهر الشيوعيون علامات تحقيق النصر والنجاح، بل يجب أن يكون من الواضح أن تقديم وتوسيع مجال تقديم المساعدة الأمريكية هي مسألة اقتصاد سياسي بالمعنى الحرفي للمصطلح وأن هذه المساعدة ستؤخذ في الاعتبار فقط في الحالات التي تضمن فيها أن تتحقق نتائج جيدة تتناسب والإنفاقات والموارد والجهد الأمريكي.[1]

ثانيًا: في دول الطوق Satellite Countries: فيرى هوك إن دول الطوق من الدول الأوروبية التي يسيطر عليها الاتحاد السوفيتي قد تبذل محاولات عديدة للتحرر منه والتخلص من سيطرة الاتحاد السوفيتي ولكن الثورة في ظل فرض السيطرة والقوة من قبل الاتحاد السوفيتي فثورتهم ستكون مثل تلك الثورات التي ربما تحقق البطولة ... الاستشهاد، ولكن لا تحقق النصر، ففي عصر التكنولوجيا الحديثة لا يمكن لامة غير مسلحة، دون مساعدة من حلفاء خارجيين، أن تقف في وجه قوة حاشدة متربصة بها. [2]

والحرب السياسية هنا –كما يرى هوك– لن تنطوي على تقديم حقائق عن الولايات المتحدة، فهذه الدول تعرف الكثير عن الولايات المتحدة، عندما ساعدتها في الحصول على استقلالها من الاتحاد السوفيتي، ولن تنطوي كذلك على تقديم حقائق عن

---

* سيرد الحديث عن مبدأ ترومان لاحقا.

[1] Seyom Brown, The Faces of power pp.25,27

[2] Sidney Hook, Political Power and Personal Freedom, pp. 402, 403.

الاتحاد السوفيتي، فهذه الدول والتي كانت تخضع له عرفت الكثير عن هذا الإرهاب: إذا ستنطوي الحرب السياسية في هذه الدول على ثلاث خطوط مترابطة ومتداخلة تقنيا: الخط الأول: في التأكيد المتواصل للشعوب التي تعاني في ظل العبودية الشيوعية أنها ليست وحدها في هذا الكفاح وأن الغرب لم ينساهم ويجب أن يكمن الثاني في اقتراح طرق المعارضة المستمرة للحكم الشيوعي ودون الكشف عنهم سريعًا في مخاطرات انتحارية يجب تدعيمهم دوما كي يقفوا بدورهم ضد قادتهم نحو الاستقلال، أما الثالث فينبغي أن يكشف للعيان حقيقة أن بلادهم نهبها الاتحاد السوفيتي وأن مصالح القومية انتُهكت ودُنست أفضل تقاليدهم.

إذن يؤكد هوك ضرورة مناصرة العناصر المتحررة في هذه البلاد، هؤلاء الرجال الذين على استعداد للتضحية بحياتهم من أجل تحقيق حرية، ربما تأتى لأجيال أخرى وفي وقت أخر غير وقتهم، وهو في الواقع هنا يشجع على دعم متمردين ضد حكوماتهم وهذا ما يشهده التاريخ في نقاط عدة عندما تود الولايات المتحدة أن تزيل من أسدة حكام لا يتفقون وسياساتها لتنصب أخرين مكانهم، كما سبق الإشارة.

كما أكد هوك ضرورة الاتصال بهذه العناصر، اتصال الأفراد بالأفراد ومساندتهم فالعقول الحرة لا تعرف حدودا قومية for free mind knows no frontiers."[1] وتتم مساندتهم بتقديم الأسلحة فيقول هوك: "يجب تامين هذه الدول " دول الطوق" بأسلحة كافية، أسلحة تقليدية، أوحتى نووية، لمنع الكرملين من العدوان عليهم دون أن يجدوا مقاومة ومعارضة."[2]

من خلال العرض السابق يمكن الوقوف على عدة نقاط أساسية تتعلق بوجهة نظر هوك تجاه السياسة الخارجية الأمريكية:

أنه رأى أن سياسة الخارجية الأمريكية في مأزق واضطراب.

- من الأسباب التي أوقعتها في هذا المأزق "تهاونها" مع أعداءها!

[1] Ibid., pp. 395,396
[2] Ibid., p.452

- هاجم هوك الحزب الشيوعي– الذي كان يؤيده يوما ما– لأنه رأى أنه تابع لستالين ثم خروشوف.
- إعداد العدة لمواجهة الأعداء– والتسلح الدائم، ومد الدول"الصديقة" بأسلحة في مواجهة العدو "الاتحاد السوفيتي"، بل والتهديد بحرب نووية شاملة على أساس إرهاب العدو الذي يرغب في البقاء ولا يريد الفناء.

خامسًا: هوك وموقفه من سياسة المهادنة appeasement

1– جدل هوك– فوالبرايت، لقد كان سيدني هوك شديد الشك والريبة في الاتحاد السوفيتي وفي الدول الشيوعية ورأى انهم عرائس متحركة له، وانهم جميعا يمثلون خطرًا داهمًا على "العالم الحر"، وما كان يؤمن به هو اليقظة الدائمة في مواجهة الأعداء، وذلك بطرق عدة، كما سبق الإشارة إليه، بتوعية الشعب الأمريكي، مساندة دول الطوق للتحرر من الاتحاد السوفيتي، إرهاب العدو بالتسلح الدائم أو حتى إرهابه بادعاء شن حرب نووية؛ فإنعدام ثقة هوك في الكرملين جعلته يرفض أي مهادنة أو مسالمة، ويبرر موقفه هذا بالقول: "يعرض لنا التاريخ أن الكرامة الأخلاقية في المواقف الحالكة الشديدة هي غالبًا الحكمة السياسية الأعلى، إن الكفاح ضد الشمولية ليس فحسب كفاحا سياسيا ولكن كفاحا أخلاقيا، يُحدد المدى الذي يمكن إليه تحقيق وتنفيذ المهادنة appeasement."[1]وينتقد هوك سياسة الهدنة ويرى أن اتباع سياسية المهادنة والمسالمة مع الاتحاد السوفيتي لن تؤدي إلا إلى خسارة العالم الغربي، وتحقيق الكثير من المكاسب للاتحاد السوفيتي، ويستشهد هوك هنا بمقولة ذكرها قائد روسي في خطبة له عام 1973 في براغ: "لقد أصبحنا قادرين على كسب الكثير في وقت قصير خلال سياسة الاحتواء، أكثر مما كنا نقدر على كسبه خلال سنوات المواجهة السياسية مع الـ "ناتو" NATO ثقوا بنا أيها الرفقاء..إننا سنكون قادرين على فرض ومد إرادتنا أينما أردنا ذلك."[2]

[1] Sidney Hook, Political Power and Personal Freedom, p. 426.
[2] Ibid, p. 192.

ويرادف هوك بين الكرامة الأخلاقية والكفاح ضد الشيوعية، ويرى أن التراجع عن هذا الكفاح ما هو إلا سقوط أخلاقي فيقول :"إن هؤلاء المستعدون للتضحية بالحرية من أجل السلام وللحياة مجرد الحياة لن يجدوا بعد هذه التضحية أي سلام حقيقي بل وسيجدوا حياة لا تتلائم وآدمية الإنسان... مهمًا كان ما سأقوله يحوي تناقضًا، فسأقولها: إن الحياة ليست قيمة في حد ذاتها . وما يهب الحياة قيمة ليس الوجود المحض، وإنما كيف ونوعية هذا الوجود، إن من يدعي أن الحياة قيمة في ظل أية ظروف قد كتب بالفعل على ضريحه شعار الخزي والعار، فلن يتواجد مبدأ أو شخص لن يخونه."[1]

وهكذا وجه هوك النقد إلى كل من يطالب أو يدعو– إلى المسالمة مع الكرملين، أو إلى وقف سباق التسلح، وكان مِن بين مَن هاجمهم هوك :السناتور الأمريكي فوالبريت الذي يشير بصدده دافيد ليتشيتنستين ***Davi**d Liechtenstein* ***بأن هوك أظهر سذاجة فوالبرايت وعدم*** فهمه لحقيقة شرور الاتحاد السوفيتي نظرا لمناداته بالمهادنة، ورد عليه فوالبرايت قائلا:" هناك نوع من الشعوذة في السياسة الخارجية الأمريكية ...فعلى سبيل المثال نحن لا نتراجع عن التزام مهما كان يفتقر إلى الحكمة ونعتبر هذا التحالف أو ذلك شديد الأهمية للعالم الحر، وبالطبع فإننا سوف نقف صامدين في برلين من الآن وحتى يوم القيامة، وهناك بعض الكلمات لا ينبغي أن تذكر إلا مصحوبة بالتهكم، فكلمة تهدئة " Appeasement على سبيل المثال تأتي أقرب ما تكون إلى تلخيص كل ما يعتبره صناع القرار الأمريكيين غبيا وشريرا ومؤديا إلى كارثة. إنني لا أطالب بأن نهيم في مدح الشيوعيين الصينيين، ولا أطالب بتفكيك حلف الأطلنطي ولا التخلي عن برلين ولا اقتناص أية فرصة للتهدئة مع أعدائنا، كل ما أعنيه هو إننا في حاجة إلى جو تُستقَبل فيه الأفكار غير التقليدية بإهتمام بدلا من الغضب وبالتحليل بدلا من العواطف .. خذ مثلا فكرة التهدئة؛ ففي بيئة سياسية حرة

[1] Ibid, p. 426.

وصحية قد لا ينتج عنها ذعر ولا حماسة وإنما فقط اهتمام بما يعنيه صاحبها، وكما قال ونستون تشرشل: "التهدئة في حد ذاتها قد تكون خيرا أو شرا وفقا للظروف . فالتهدئة من موقع القوة تصبح نبلا وشهامة وربما تكون الوسيلة الأكيدة وربما الوحيدة لسلام عالمي."[1]

وقد دافع فوالبرايت عن إيمانه بوقف سباق التسلح فيقول:" وتقود الغوغائية إلى غلق باب الحوار والنقاش فأنت لا تصبح وطنيا بحق إلا إذا كنت مكرسًا كلية لقضية الدفاع، أو على وجه الدقة إذا لم تكن مناصرا دون قيد أو شرط للإنفاق العسكري على نظم التسلح المُغالى في أسعارها والمعقدة تكنولوجيا، والتي غالبا ما تكون فائضة عن الحاجة، وأحيانا، لا حاجة إليها على الإطلاق ... وأصبح الدفاع عن المواقف المتشددة في العلاقات الدولية المرتكزة إلى إنفاق دفاعي متضخم، أو كما يقال "التصدي بحزم" سمة ملازمة للثقافة السياسية الأمريكية، ومرادفًا للوطنية والقوة والفضيلة، وعلى الجانب الأخر فان التحذيرات من المخاطر والدعوة إلى الحلول الوسط والمفاوضات أصبحت متطابقة ضمنيا إن لم يكن بصورة علنية، مع الخنوع والضعف والجبن والافتقار إلى الوطنية أما تأييد دعم واستخدام الأمم المتحدة لتحقيق السلام فقد اعتبر نوعا من الإعاقة وعلامة للسذاجة والحماقة."[2] وكذلك الفيلسوف البريطاني **برتراند *رسل، خاض جدلا طويلا مع هوك بين الرأي والرأي المضاد:***

2- جدل هوك – راسل

ينتقد هوك راسل مشيرا إلى أن رسل أعلن مؤخرا قائلا: إذا لم يكن من الممكن اقناع الشيوعيين بالموافقة على الاقتراحات المقدمة بشأن عدم التسلح النووي والتحكم فيه، فإنه سيؤيد عدم التسلح الأحادي الجانب unilateral (أي أن يتوقف العالم الغربي عن التسلح) حتى لو كان ذلك يعني سيطرة شاملة للشيوعيين على العالم بأسره.

---

[1] فوالبريت ، غطرسة القوة ، ثمن الإمبراطورية ، ص63.

[2] نفس المصدر السابق ، ص305.

"ويعقب هوك على رأى برتراند رسل بالقول: "عندما يستمع الشيوعيون لأمر كذلك لماذا ينبغي عليهم الموافقة على عدم التسلح النووي المحكم؟ ... فكل ما عليهم فعله هوالانتظار، وسيقدم لهم العالم بكل سهولة ما يمكنهم من أن يفعلوا ما يريدوه."[1]

ويقول هوك: "فلماذا ينبغي عليهم التصالح أو الاتفاق؟ إننا لسنا بحاجة إلى موقف بطولي لتشكيل السياسة الخارجية، يجب أن يكون الذكاء قائدنا..."[2]

وفي رد رسل على هوك أشار إلى أنه يتفق مع هوك في العديد من النقاط مثل: إن إجراء المفاوضات بين الشرق والغرب مع السعي لإيجاد سبل للتعايش السلمي أصبحت أمرا ملحا وفي غاية الأهمية، ثم يعرض رسل لعدة مبادئ ينبغي أن تحكم هذه المفاوضات:

1) إن أي اتفاق يتم الوصول إليه لا ينبغي أن يكون ميزة لجانب دون أخر.
2) ينبغي أن تكون بشكل يقلل من علل وفرص أي احتكاك.
3) ينبغي أن تكون على نحو يقلل من خطر انفجار يُستهان به فيشعل حربا نووية.

ويشير رسل إلى أن ذلك سيتم من خلال لقاءات على أعلى مستوى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وإذا ما تم الوصول إلى اتفاق ناجح في منع خطر حرب نووية يجب أن يكون هذا الاتفاق سببًا لتدمير الأسلحة النووية والتخلي عن تصنيعها في ظل ضمان إشراف تقوم به سلطة محايدة، ويجب سحب كافة القوات الأجنبية من دول ألمانيا الشرقية والغربية وتشيكوسلوفاكيا وبولندا والمجر، وينبغي أن لا تظل ألمانيا ضمن حلف NATO، أو ضمن حلف "وارسو" WARSAW، ويجب أن تصبح دول أوروبا الشرقية والغربية حرة في "ناتو" تبني أي شكل من أشكال الحكومات

[1] Sidney Hook, Political Power and Personal Freedom, pp. 426,427.
[2] Ibid., p. 427.

وأي شكل اقتصادي يفضلون."[1]

من العجيب أن ما يذكره هنا برتراند رسل يتفق مع توجهات هوك: ذلك لأن هوك لم يكن يؤيد أبدًا سرعة انسحاب أمريكا من أوروبا، فضلا عن تصميمه على أهمية اليقظة والحيطة من العدو الخارجي (الاتحاد السوفيتي) بما يتطلبه ذلك من التسلح الدائم والهائل بل والتهديد باستخدام السلاح النووي ... والجدير بالذكر أن هوك كان يرى أنه من ضمن الأخطاء التي وقعت فيها سياسة الخارجية الأمريكية إنها انسحبت "مبكرًا" من أوروبا."[2]

فضلًا عن إن هوك ليس من هؤلاء الذين يؤمنوا بأن الاتفاقات كافية وحدها لتحقيق السلام فهو يذكر في مقالة له بعنوان أيديولوجية القوة The Ideology of Violence" إنه طالما يتواجد الإنسان طالما سيتواجد صراع المصالح كعنصر متمم للوضع الإنساني، ويفسر ذلك لماذا لا يمكن ضمان وجود السلام فقط من خلال توقيع الاتفاقيات..."[3]

ولعل هوك هنا يتفق مع كانط بأنه ليس بالمعاهدات وحدها يتحقق السلام، وإن كان قصد كل منهما قد اختلف؛ فمن دواعي إيمان هوك بذلك رغبته في إيجاد تسلح دائم، وفي المقابل كان كانط يؤمن بأنه لإيجاد سلام عالمي دائم يجب عدم التسلح، فيقول: "ينبغي ألا تعتبر أية معاهدة صلح على أنها كذلك، إذا ما كان أطرافها قد احتفظوا، ضمنا اللجوء إلى حرب جديدة ."ذلك إن معاهدة من هذا النوع لن تكون سوى مجرد هدنة، ومجرد وقف للأعمال العدائية، وليس السلام الذي يعني انتهاء كافة الأعمال العدائية."[4]

---

[1] Replay by Bertrand Russell (in) Sidney Hook: Political Power and Personal Freedom, pp. 429,430

[2] See: Sidney Hook, Political Power and Personal Freedom, pp. 420,421.

[3] Sidney Hook, Revolution Reform and Social Justice, p. 218.

[4] ايمانويل كانط ، نحوالسلام الدائم ، ص. 30.

يبدأ رسل في عرض نقاط الاختلاف بينه وبين هوك فيقول: "ما نختلف عليه يتمثل في معقولية الالتجاء إلى الحرب النووية، وإذا ما لم يتم احتواء القوى الشيوعية بأي ثمن أقل ... يتمسك الدكتور هوك بأنه، حتى لو أدت سياسة ما إلى انقراض الحياة الإنسانية، بأن ذلك سيكون أفضل مما لو تحقق انتصار شيوعية، وعلى النقيض أتمسك أنا بأن انتصار الشيوعية لن يكون بكارثة مروعة أكبر حجما من انقراض الحياة الإنسانية."[1]

وهكذا فإن كل من هوك ورسل يتفق على أن كلا الاتجاهين جد خطير ومروع (اللجوء إلى حرب نووية أوانتصار الشيوعية) ولكنهما يختلفان حول أيهما الأكثر خطورة.

ويتهم رسل هوك بأنه لا يقرأ التاريخ ولا يستفيد منه، فيشير إلى انه ربما يكون انتصار الشيوعية مأساويا ومدمرا في درجة تدمير البربرية للإمبراطورية الرومانية. بيد أن رسل يرى أنه بينما يحيى ويتواصل الجنس البشري، فإن الطابع الإنساني humanness، وحب الحرية، والطريقة المتحضرة لإرادة الحياة، أجلا أم عاجلا، تبرهن على انجذاب (للحياة) لا يقاوم، فتقدم النوع البشري كان دوما مسألة صعود وهبوط، ويضرب رسل الأمثلة على ذلك من التاريخ فيقول:" يذهب الدكتور هوك إلى أن "البولشيفية" هي أكثر الحركات العلمانية تعصبا في التاريخ الإنساني ...ولكن أليس هناك تعصب أيضا في اتجاه هوك واتجاه الرجل صاحب القوة الذي سيتفق معه؟ لقد اشتمل التاريخ الإنساني على العديد من الكوارث الهائلة فكم من حضارة بعد الأخرى أزالها وقضى عليها البرابرة الرحالة، فقد تدمرت حضارة –Minoan Mycenaean على يد محاربين همجين، الذين أصبح اليونانيون نسلهم بعد عدة قرون، الذين مازلنا نبجلهم ونقدرهم، وعندما سادت المحمدية على الجزء الأكبر من الإمبراطورية الرومانية الشرقية حينذاك بدا للمعاصرين المسيحيين أن الحضارة التي سادت في هذا الإقليم قد تدمرت، ولم يمض زمن طويل، حتى كان العرب هم هؤلاء الذين حفظوا أرث السابقين

[1] Replay by Russel, Political Power and Personal Freedom, p.430.

. كان جينكيز خان Genghis Khan سيئا للغاية بالضبط كستالين في سوءه، ولكن حفيده كوبلان خان Kublai Khan كان مونواركيا متحضرا للغاية فانتعشت وانتقلت على يديه الثقافة الصينية."[1]

ويقول رسل أيضا: "يقول الدكتور هوك إن الحياة ليست قيمة في حد ذاتها، ولكنها هي التي تهب الإمكانية الوحيدة لأي قيمة " وينهي برتراند رسل حديثه بالقول:"أن نخاطر بإنهاء الحياة الإنسانية لأننا نعتبر الشيوعية شر، ما هو إلا اتجاه متعصب وانهزامي."[2]

3- رد سيدني هوك على برتراند رسل

يرى هوك انه من الحماقة حتى لو كان يتفق مع موقف برتراند رسل (وهذا مالا يفعله – كما يقول) إن يتم الإعلان أو البوح علنا بأن سيطرة الشيوعية ستكون أقل شرا من مخاطر الحرب، فيقول:" نحن نعيش في عالم تترتب أحداثه على بعضها البعض، كل ما نفعله، بل وأحيانا ما نقوله، له ثمنه الذي يدفع فيه .."[3]

ويرى إن المتعصب كما يعرفه سانتايانا انه الشخص الذي ضاعف جهده في الوقت الذي نسى فيه أهدافه، ويضيف هوك: "تعد الحرية والسلام أهدافا من بين أهدافي، ولذلك لم أؤيد أبدا شن حرب شاملة من أجل السلام، كما فعل رسل عام 1948، عندما كان الغرب وحده هو الذي يحتكر القوى النووية، فقد كان مخطئا وقتذاك في حثه على ضرب الاتحاد السوفيتي بالقنابل الذرية إذا كان الأمر ضروريا لإخضاعه لحكومة عالمية، وهو الآن مخطئا في الحث على استسلام الغرب، لأن الاتحاد السوفيتي لديه قنبلة هيدروجينية، لقد تطرف في اتجاه، والآن يتطرف في

[1] Ibid., p. 431

[2] Ibid., pp. 431,432

[3] Ibid, p.233.

الاتجاه الأخر، وفي كلتا الحالتين أحط من قدر العناصر السياسية والسيكولوجية، وأعلى وغالى من شأن العناصر التكنولوجية، ويؤكد هوك أنه لا يرى أية أسس في التاريخ تتشابه والموقف الراهن ويُدي في ذلك عدة أسباب:

1) في الماضي، كان انتصار البربرية محليًا، وليس عالميًا، فاليوم سيكون العالم الشيوعي عالما من الظلم شديد الترابط والتلاحم، عالما بدون ملاجئ، عالما بدون مخابئ، عالما بدون إمكانات للحياد.
2) في الماضي، كان الطغاة يحكمون بتكنولوجيا بدائية، أما حيازة تقنيات علمية اليوم تزيد بدون حدود مدى الإرهاب والرعب الذي يفرضه عديمي الرحمة على الناس الذين يحكمونهم.
3) لا يمكنني أن اعتبر أن الإنجاز الذي جاء في الماضي عقب انتصار الطغاة المتوحشين كان قيّما ومتعادلا مع الثمن الباهظ الذي سبقه، بالنسبة لي لم يكن بهاء وعظمة The Court of Kublai Khan ذات قيمة.
4) ليس أمرا بعيد احتمال أن يندلع صراع حقيقي... وفي حالة حدوثه سيتم استخدام الأسلحة النووية بل وربما الأسلحة الأكثر تدميرا مما نعرف.
5) ليست غطرسة في موقفي عندما اقترح أن يتبع الجيل الحر سياسة المقاومة وليس سياسة الاستسلام، بل الأكثر غطرسة هو رسل الذي يقترح الاستسلام بدلا من المقاومة، ولكن ربما يقصد أنه من الغطرسة أن يتخذ أي جيل من الرجال قرارا يمنع أجيال المستقبل الذين لم يولدوا بعد من أخذ فرصتهم في صنع اختيارهم، يجب أن أقر بأنني أجد صعوبة في استيعاب هذا الكلام وهذا الإلزام، إذا ما كان سيتضمن إن هناك ملايين من الأرواح منتشرة في الأزل eternity تنتظر كي تولد، إنني لا أؤمن بهذا اللاهوت، وإذا ما كانت هذه الأرواح تتواجد، ربما ستجد مكان آخر.[1]

[1] Ibid., pp. 433-435

من الواضح هنا وجود ترابط منطقي بين وجهة نظر هوك العلمانية حيث: عدم إيمانه بوجود عالم أخر أووجود أرواح ينتظر آن تولد، فهو لا يؤمن أصلًا بوجود، وعدم اكتراثه بفناء العالم في حرب شاملة من أجل الدفاع عن الحرية –كما يدعي– فهو بالتالي مؤمن بأنه لم يحرم أجيال لم تتواجد بعد من اتخاذ قرارها بنفسها.

4– التعقيب الثاني لبرتراند رسل على سيدني هوك

يؤكد برتراند رسل ما ذكره من قبل من ضرورة أن تتواجد مفاوضات وحوار بين الشرق والغرب، مفاوضات لا تكون في صالح طرف دون الآخر، ويشير إلى أنه تجنبًا لإثارة العواطف والانفعالات الشخصية سيأتي برمز (A) ، ورمز (B) لكتلتين ذاتا سلطة دون تحديد أي منهما يمثل الكتلة الشيوعية، وأيهما يمثل الكتلة المعادية للشيوعية، وتتمثل المناقشة المطروحة في افتراض انه: إذا ما كانت هناك حرب بين الكتلتين، فان الجنس البشري سيفنى، بل يفترض رسل اكثر من ذلك فيفترض موقفا يقف فيه كل طرف من الكتلتين متعصبا جدا لدرجة انه يفضل فناء البشرية على أن يتم تصالح عقلاني، في مثل هذا الموقف يعتقد رسل إن الكتلة الأقل تعصبا إذا ما نظرت إلى رخاء البشرية وأخذته في الاعتبار، فسوف تفضل التسامح (الإذعان) Concession اكثر من الحرب، ويرى رسل انه يتواجد في كلا المعسكرين هؤلاء الذين يعتقدون ان فناء الجنس البشري سيكون اقل شرا من انتصار "العدو"، ويؤكد أن وجهة النظر هذه سواء آمن بها A أوB فهي وجهة نظر غير متعقلة، ثم يعود رسل ويؤكد أن كل ما عبر عنه هو أنه من الأفضل الإذعان بدلًا من التورط في حرب نووية وهو تعبير موجه لكلا الحزبين على نحو متساوي، ويكرر رسل تأكيده على أن دعوته من أجل نزع التسلح وردأ الحرب موجه إلى كلا القوتين الكبيرتين.

ويعلق بأنه في المثال الذي انتقده هوك بصدد Kublai Khan فان منهج هوك – كما يذهب رسل – منهج منزلق ومطاطي، فيشير إلى أن كل ما قصده أصلا من سرد هذا المثال هو أن أي نظام سيئ من المحتمل أن يتحسن مستقبلًا (أي أن ينبع الشيء الجيد من الشيء السيئ).

ويرى رسل أن الدكتور هوك أعلن انه يمجد الحرية ويرى إن هوك في هذه النقطة بالذات يخدع نفسه فهو(أي هوك) لا يعتقد أن هؤلاء الذين يفضلون العيش في ظل الشيوعية عن أن يموتوا يجب أن يكونوا أحرارا في اختيار البديل الذي يفضلونه، أي إن رسل يرى إن هوك أنكر عليهم وعلى أي أمة لا تتبع وجهة نظر هوك، فقد أنكر عليهم حقهم الأساسي في الحرية – حرية اختيار البقاء.[1]

5- التعقيب الثاني لهوك على برتراند رسل

يعيب هوك على رسل استخدامه الرمزي للإشارة إلى القوتين العظيمتين فيقول: "انه خطأ جوهري أن نتعامل مع المشكلة كما لو كانت تنطوي على علاقات رياضية مجردة من بين كتلتين مجهولتين، بدلا من التعامل مع العلاقات التاريخية بين الكتلة الشيوعية والكتلة الغربية ككتلتين تهدد إحداهما سلام العالم ... ليس من الواقعي رسم ووضع تساوي مبسط بين كتلتين سلطويتين على نحومجرد إذا ما أردنا وتمنينا التنبؤ بسلوكهم أواقتراح سياسة معقولة."[2]

ويتحدى هوك ما ذهب إليه رسل من أنه يعرض "حكمته المثالية" على نحو متماثل لكلا الجانبين . لأنه– كما يرى هوك– لم يخاطب الشيوعيين وينصحهم بأنه إذا ما رفض الغرب أن يكون متعقلا في مفاوضاته، فعلى الكرملين أن يتجه إلى نزع التسلح حتى لوكان معنى ذلك انتصار العالم الحر، فيرى هوك إن ما تم نشره في الدول الشيوعية هو نصيحة رسل للغرب فقط وما ترتب على توجهه هذا هوعدم التسلح – ولومعنويا ونفسيا في الغرب– وزيادة موقف الشيوعيين قوة وتمسكا بسياساتهم . بل أن بعض علماء الذرة في ألمانيا الغربية – كما يخبرنا هوك– اقتبسوا موقف رسل كمبرر لتركهم الدفاع عن أبحاث الأسلحة النووية، ويرى هوك أن غياب حرية الصحافة وأي

[1] see: A counter – Replay by Bertrand Russell. pp 436-438.

[2] Sidney Hook: Political Power and Personal Freedom, p. 441.

إمكانية للتعبير عن رأي مخالف للحكام السوفيت يجعل من المستحيل بالنسبة لرسل أوللغرب أن يحدثا أية تأثير ذوقيمة في العالم الشيوعي لا يرضى الكرملين عن حدوثه، وإذا كان رسل قد أشار إلى أن الإعلام في الغرب يركز أيضًا على الرأي العام في الاتحاد السوفيتي ويراقبه بقدر متساو، إلا أن هوك يُفند هذا القول فيقول:"ليس هناك رأى عام في الاتحاد السوفيتي فالرأي العام هناك هو رأى الكرملين."[1]

ثم يقول:" لن يتمكن إنسان من الفوز بالحرية والسلام إذا لم يقضي على الخوف بداخله من الموت، ولن تتمكن أمة ما من الحفاظ على حريتها إذا لم تكن على استعداد للمخاطرة من اجل الدفاع عن حريتها."[2]

تناقض هوك بصدد سياسة التسلح

مما لا شك فيه أنه من خلال ما دار من جدل بين هوك وفوالبرايت من ناحية وهوك ورسل من ناحية أخرى يتضح كيف إن هوك وقع في تناقض مع نفسه، فعلى الرغم من أن فلسفته استندت على الرغبة في التسلح الدائم لإرهاب عدوه، وأعلن هوك إيمانه بالحرب السياسية لمواجهه هذا العدو، ومن وسائل تطبيق هذه الحرب السياسية – كما سبق الإشارة إليها– دعم دول أوروبا وتسليحها، وكذلك مساندة وتسليح دول الطوق التي ترغب في الاستقلال من الاتحاد السوفيتي فقد قال:"يجب تأمين هذه الدول بأسلحة كافية تقليدية، أو حتى نووية، لمنع الكرملين من العدو عليهم دون أن يجدوا مقاومة." هذا ما قاله هوك في فصل بعنوان "سياسة خارجية من اجل الحرية والبقاء" A Foreign Policy For Freedom and Survival [3]، إلا انه في الوقت نفسه هاجم بشدة الاتحاد السوفيتي عندما قام بتسليح مصر في حربها ضد إسرائيل، وهوك الذي يرى إن الاتفاقيات والمفاوضات ليست وحدها الكفيلة بتحقيق السلام [4] يستند في

[1] Ibid, p. 440.
[2] Ibid., p. 445
[3] Ibid, p 425
[4] See. Sidney Hook, Political Power and Personal Freedom P.26

مهاجمته للاتحاد السوفيتي إلى الاتفاقية التي وقعت بين الأخير والولايات المتحدة عام 1962 فيقول:" وبعد عام من توقيع إعلان المبادئ الرئيسية للعلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في موسكو، ذلك الإعلان الذي الزم كل طرف نفسه من خلاله بعدم تصعيد الصراع في مناطق المصادمات في العالم troubled areas، شجع الاتحاد السوفيتي مصر وحلفاءها حيث قام بتسليحهما لمهاجمة إسرائيل." ويبرر هوك وجهة نظره بأنها تنطلق من الحرص على ضرورة وجود "توازن في استراتيجية الأسلحة."[1]

والواقع انه يُؤخذ على هوك هنا نظرته السطحية إلى قضية الشعب المصري الذي كان في حرب وقتها مع محتل آثم ففيلسوف الديمقراطية والحرية لم يهتم كثيرا بحق هذا الشعب في استرداد أراضيه المحتلة، فأين مبادئ الحرية والديمقراطية التي ادعى هوك أن الولايات المتحدة ترفع لواءها، وهو يأخذ على الاتحاد السوفيتي مساندته وتسليحه لمصر، وماذا عن مساندة وتسليح الولايات المتحدة لإسرائيل؟! فكما هو واضح هنا إن التوازن الذي يقصده هوك توازن حسب التفسيرالأمريكي لمفهوم المصطلح وكيفية تطبيقه في الواقع! ولعل الهوة الكبيرة بين ما يعلن في السياسة الأمريكية وما ينفذ هو ما أشار إليه الفيلسوف الأمريكي نعوم تشومسكي فيشير في كتابه"ما الذي يريده العم سام حقا": إن للألفاظ المستخدمة في الخطاب في أمريكا معنيين المعنى الأول الوارد في القاموس، الثاني هوالمعنى العقائدي الذي يفيد في خدمة السلطة..."ويضرب تشومسكي مثالًا على ذلك بلفظة الديمقراطية فيرى أنه بموجب المعنى الذي يحكمه الحس العام، فإن المجتمع ديمقراطي إلى المدى الذي يستطيع فيه الناس إدارة أمورهم الذاتية بأنفسهم وبطريقة مفيدة ذات معنى، لكن المعنى العقائدي للديمقراطية مختلف، إذا يشير إلى النظام الذي تقوم فيه جماعة رجال الأعمال والصفوة التي تلتف حولهم بصنع

---

[1] Hook, Marxism and Beyond, p. 190

القرارات...وعلى العامة أن تكون فقط (متفرجين)على ما يجري ولا يكونون مشاركين. "[1]
ويقول أيضًا تشومسكي في هذا الصدد:"فإن أية عبارة تقريبا تحتوي على الكلمة "حر" يحتمل أن تعني شيئا يعاكس معناها الطبيعي العادي."[2]

فكأن التوازن الذي يقصده هوك يعني التسلح الأمريكي وفي المقابل نزع السلاح في الاتحاد السوفيتي، وهكذا قادت الازدواجية أمريكا إلى أن تنصب من نفسها شرطيا للعالم، والغريب حقًا أن أحد الفلاسفة والكتاب الأمريكيين يشكو مر الشكوى من ازدواجية المعايير في العالم ..ولكن حتى كلمة ازدواجية أصبح لها مفهوم أخر لدى هذا المفكر ولكن لماذا يشكو هذا المفكر من ازدواجية المعايير؟ يقول دوجلاس ماكدونالد Douglas Macdonald: "هناك "معيار مزدوج" في الرأي العالمي ولا سيما فيما يتعلق بقوى الديمقراطية، تثور الدنيا عندما تتدخل الولايات المتحدة ولكن لا يحدث ذلك عندما تقوم به دول أخرى ديكتاتورية "، ثم يضرب الأمثلة على ذلك فيقول:"عندما تدخلت الولايات المتحدة عسكريًا في فيتنام تعالى النقد من جهات عدة في العالم، بل واحتجت على ذلك ما يطلق عليها محكمة جرائم الحرب في السويد، نفس الاعتراضات ثارت مرة أخرى عندما تدخلت الولايات المتحدة في الثمانينات من القرن العشرين في أمريكا الوسطى، ولكن عندما تدخل الاتحاد السوفيتي في بلغاريا عام 1956، وتشيكوسلوفاكيا عام 1986، أو بولندا... فان نفس معظم الدوائر التزمت الصمت والهدوء على نحو غريب، ومع ذلك كان هناك نقد لتدخلها في أفغانستان، وعندما قامت الولايات المتحدة بتدريب قوات كوبية معارضة لكاستروا لقلب نظام حكم هذا الديكتاتور في خليج الخنازير عام 1961، تعالى الصراخ من كل أنحاء العالم، وعندما أرسل

[1] نعوم تشومسكي : ما الذي يريده العم سام حقا ص103.

[2] نفس المصدر السابق، ص104.

كاستروا كوبيين لتدريب قوات أفريقيا عسكريا في سري لانكا في الثمانينات كان هناك صمت عام في دول العالم الثالث، نفس الصمت تواجد عندما غزت جوا Goa عام 1960." ويخلص المؤلف هنا إلى القول "ليس التدخل هوالمشكلة (طبقا لتوجهات الرأي العالمي وإنما "من الذي يتدخل ومن المستهدف." وهكذا – كما يرى المؤلف– إن الرأي العالمي يؤيد تدخل ما عندما يتوافق ومصالحه، ويندد عندما لا يتفق التدخل وهذه المصالح."[1]

يعرض الكاتب إذن أن هناك ازدواجية في المعايير بمعنى إن دول العالم تؤيد تدخل البعض وترفض تدخل البعض الأخر...وكأنه من المفروض أن يصمت العالم في كل الأحوال ثم من يعطي الولايات المتحدة أوغيرها حق التدخل أصلا في شئون الشعوب الأخرى ! فكأن للولايات المتحدة الحق في القيام فيما لا ينبغي أن تقوم به غيرها من الدول الأخرى ولعل هذا ما يشير إليه صراحة دكستر بركنس في كتابه، فلسفة السياسية الخارجية الأمريكية:"..فان الحكم الأمريكي للشعوب الأخرى كان دائما حكما يحوطه وخز الضمير فقد كان يتضمن في كل الأوقات إيمانا صادقا بالروح الديمقراطية، والاعتقاد بان من واجب كل دولة إمبريالية قوية أن تمهد الطريق للحكم الذاتي للشعوب التي تفرسض عليها سلطاتها، وهذا شئ يجب ألا تغفل عنه قط في أي بحث يدور حول المشكلة بأسرها، انه يفيدنا حقا في التمييز الواضح بين عادات وأماني الولايات المتحدة وبين ما عداها من بعض الدول الأخرى."[2]

وهكذا ارتكز التدخل الأمريكي في دول العالم على أساس ادعاء الدفاع عن حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية في باقي دول العالم ومن منطلق إدعاء تحقيق السلام في العالم، بل أن سيدني هوك عندما يرى أن الولايات المتحدة وقعت في أخطاء فذلك من وجهة نظره لأنها سحبت قواتها مبكرا من أوروبا وأخفقت في استخدام احتكارها

[1] See: Douglas Macdonald pp. 53,54

[2] دكستر بركنس ، فلسفة السياسة الخارجية الأمريكية ، تعريب حسين عمر (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ) ص33.

للقوى الذرية في التأثير على عدم التسلح في العالم وفي التحكم في الأسلحة النووية ..الخ[1]' فأنه يرى أن كل هذه الأخطاء تم الوقوع فيها من منطلق رغبة أمريكا في تحقيق السلام في هذا العالم المقسم، ورغبتها هي وحلفائها في التعايش السلمي... ولان الولايات المتحدة لم تأخذ أبدا الموقف الهجومي وإنما الموقف الدفاعي.

وعندما يرى أنه على الولايات المتحدة أن تمارس الحرب السياسية بكل وسائلها – كما سبق الإشارة – وتوعية الدول الواقعة تحت سيطرة الشيوعيين، فان ذلك ليس إلا لإنقاذ هذه الدول من العبودية التي يفرضها عليهم الاتحاد السوفيتي فيقول هوك: " سيستمر الصراع من أجل تحرير عقول الرجال والنساء، لن يكون هناك صراع أخير، ولكن سيكون صراعًا أطول من أجل الأمل بأن التغيرات داخل العالم الشيوعي ستقود إلى درجة من التوجه نحو الليبرالية والتحررية التي ستعدل بشكل فعال ومؤثر شخصيتهم الشمولية."[2]

ومساعي أمريكا كما يرى هوك هي التي ستحرر هذه الشعوب من الاستعباد الذي يأبى هوك وان يعيشوا فيه فيقول: "مازال الشعب الروسي عبدا للمسؤولين، فبدون الحصول على تصريح من هؤلاء المسؤولين لا يستطيع الناس عقد الاجتماعات، ولا يستطيعون طبع الكتب أو الصحف! أليست تلك عبودية؟![3] ثم يضيف:" إن الفلاح الروسي محروم كل الحرمان من حرية الانتقال وعليه أن يستأذن أولًا المسؤولين لأن الحاكم هو الذي يعرف جيدا أي الأماكن أفضل للمحكومين، فالمزارع طفل لا يتحرك دون سلطة... أليست هذه عبودية... أنني أسألك؟![4]

[1] See :Sidney Hook: Political Power and Personal Freedom, p.421
[2] Ibid., pp. 421, 422
[3] Sidney Hook, Marxism and Beyond, pp. 192, 193.
[4] Sidney Hook, Political Power and Personal Freedom, pp. 398,399

يدافع هوك عن الفلاح الروسي[1]، فماذا عن فلاحي فيتنام الذين كانوا يُقتلون ويذبحون في مجازر جماعية وتخرب أراضيهم وتحرق مزروعاتهم بإلقاء قنابل النابلم والغازات السامة، أليست السيطرة على شعب ما عنوة وقتل وتشريد المواطنين وقطع أوصال المجتمع وتعيين حكومة فاسدة أليس كل ذلك عبودية؟!!

وما زال هوك يدعي أن الهدف من وراء سياسة الخارجية الأمريكية التي يدعمها هو حماية حقوق الإنسان ونشر الحرية وفي هذا الصدد يقول هوك: "يظهر لنا التاريخ أن الكرامة الأخلاقية في المواقف الشديدة هي غالبا الحكمة السياسية الأعلى. إن الكفاح ضد الشمولية ليس فحسب كفاحا سياسيا، وإنما كفاح أخلاقي أيضا."[2]

ومن الواضح إن فلسفة هوك السياسية كانت لها أصدائها في المجال التطبيقي لسياسة الخارجية الأمريكية، فيعلن الرئيس الأمريكي John Foster Dulles بأن"معاداة الشيوعية anti-communism لهو إلزام أخلاقي عالمي– أما الرئيس كينيدي– فأكد أن الولايات المتحدة تقدم النجدة والعون لكل فقراء العالم والشعوب المضطهدة ليس لآن الشيوعيون ربما يفعلون ذلك، وليس لأننا نبحث عن أصوات الناخبين، ولكن لآن ذلك هو الحق."، وأدعى جيمي كارتر أن التزام إدارته بحقوق الإنسان هو"منارة الضوء صوب شئ واضح ونظيف وملائم هو بمثابة النقطة التي تتجمع وتتفق عليها كل الديمقراطيات في العالم."[3]

وما زال المسئولون الأمريكيون يدّعون إن التدخل السافر في فيتنام كان من أجل إعلاء مثل نبيلة فيقول جون ديمبريل John Dumbrell:"... فمع الاعتراف بأنه كانت هناك "أخطاء" في "الكيفية التي تم بها القتال"، فقد أعلن شلتز Shultz (وزير

[1] Ibid, P. 399.

[2] Ibid, p. 426.

[3] Seyom Brown, The Faces of Power, p. 8.

الدولة للشئون الخارجية)، "أعلن في خطابه في 29 من أبريل 1985: "لا يمكن الآن التساؤل عن أخلاقية تدخل الولايات المتحدة (في فيتنام) فتضحية أمريكا كانت من أجل إعلاء المثُل النبيلة – أن يتم إنقاذ الأبرياء من الطغاة الوحشيين."[1]

وفي سعي الرئيس ترومان للحصول على موافقة الكونجرس ورفع قيوده على الإنفاق المالي للرئيس ألقى ترومان خطبة أمام الكونجرس عُرفت بمبدأ ترومان Truman Doctrine جاء فيها:" إنني أؤمن بأنه يجب أن تدعم سياسة الولايات المتحدة الشعوب الحرة التي تقاوم ضد الاستعباد المفروض عليها من قبل أقليات عسكرية أوضغوط خارجية...اعتقد أنه يجب علينا مساعدة الشعوب الحرة لتقرير مصيرها بطريقتها الخاصة.. وأعتقد أن مساعدتنا يجب أن تكون مبدئيا من خلال المساعدة الاقتصادية والمالية الضرورية لتحقيق الاستقرار الاقتصادي على نحو منتظم .. إن الشعوب الحرة في العالم ينظرون إلينا وينتظرون منا الدعم في حصولهم على حرياتهم، فإذا تهاونا في قيادتنا، فإننا نهدد بذلك سلام العالم – وهنا نهدد بالتالي رخاء امتنا وأمنها."[2]

ويقول جيمس سكليسينجر James Schlesinger (وقد شغل عدة مناصب في إدارات كل من نيكسون، وفورد، وكارتر) في مجلة Foreign Affairs، كما يشير سيمون براون Seyom Brown: "لقد حملنا مهمة تحقيق الديمقراطية بكل إجراءاتها ووسائلها: حقوق الإنسان، الحريات المدنية، المساواة أمام القانون، حماية الأقليات، الحكم الذاتي، عالم منظم، قانون دولي، نمو اقتصادي، سوق حر، خصخصة، تجارة حرة، وضع حدود على تلويث البيئة، فرض قيود على تجارة الأسلحة، منع انتشار الأسلحة المتطورة...الخ، فالقائمة لا تنتهي."[3]

---

[1] John Dumbrell, American Foreign Policy, p. 79.
[2] Seyom Brown , The Faces of Power, pp. 25-29.
[3] Ibid, p.10.

سياسة بلا أخلاق!

ارتكزت سياسة التدخل الأمريكي في شئون البلاد الأخرى على أساس ادعاء مقاومة الخطر الشيوعي وتحرير البلاد الواقعة تحت استبداده ونشر مُثل الديمقراطية والحرية في العالم. بيد أن هذه الادعاءات فندها وعارضها عدد من الفلاسفة الأمريكيين والغربيين الموضعيين فيرى برتراند رسل أن النزعة العنصرية هي التي وراء تدخل الولايات المتحدة في شئون البلاد الفقيرة فيقول:" النزعة العنصرية في الغرب بشكل عام، وفي الولايات المتحدة بشكل خاص خلقت جوا يجعل من الصعب إلى أقصى درجة أن يظهر تقدير واضح للمسئوليات التي تتحملها الولايات المتحدة فيما يسمى "الشئون الداخلية للبلاد غير المتقدمة"، فهم يرون إن حرب فيتنام نتيجة حتمية ومحزنة للتخلف والبؤس والبدائية التي يتصورونها سمات نوعية لجنوب شرق أسيا، ولا تقتصر النزعة العنصرية على إيجاد الاختلاط في الأذهان حول من كانوا مصدر الحرب، بل إنها كانت كذلك تدفع الأمريكيين إلى إطلاق الصراخ الوحشي المفعم بالنعرة القومية عندما يوجه الاتهام بارتكاب جرائم الحرب إلى الطيارين الأمريكيين الذين يدكون بقنابلهم المستشفيات والمدارس والجسور والمراكز الطبية، فالعنصرية الكامنة في التصور الأمريكي للعالم هي وحدها التي تسمح للصحافة ومجلس الشيوخ والعديد من الشخصيات العامة في الولايات المتحدة أن يلزموا الصمت التام."[1]

أما فوالبرايت فيصف تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في شئون الدول الأخرى بأنها "نوع من إمبريالية الرفاهية"[2]، بل ويؤكد الكاتب الأمريكي C. W. Mills، أن سياسة الولايات المتحدة هي مصدر العبث الذي يضج به العالم الآن فيقول:"إن سياسة الخارجية للولايات المتحدة، والضعف والقصور الملازم لهذه السياسة لهو جزء مرتبط

[1] برتراند رسل – جرائم الحرب الأمريكية ، ص ص.15، 16.

[2] وليم فوالبرايت: غطرسة القوة – ثمن الإمبراطورية ، ص. 54.

أساسًا بالمشهد العبثي الذي يضج به العالم الآن."[1]

ويتضح كيف إن سياسة الولايات المتحدة تسعى أساسًا لتحقيق مصالحها وهذا ما يؤكد عليه سيوم براون Seyom Brown قائلا: "أما السياسات المؤيدة لحقوق الإنسان وحق الشعوب الأخرى في العيش في حياة جيدة، فقد لاقت عامة تأييدًا كبيرًا عندما تعزز من العناصر الاستراتيجية الهامة الأخرى في سبيل تحقيق وتأمين المصلحة القومية للولايات المتحدة."[2]

وتفنيدًا لادعاءات المسؤولين الأمريكيين بأن الحرب في فيتنام كانت للدفاع عن حقوق الشعب الفيتنامي يقول تشومسكي:"..فحين هاجمت الولايات المتحدة فيتنام الجنوبية في أوائل الستينات، شرح ادلاي ستيفسون Adlai Steveson .. بأننا كنا ندافع عن فيتنام الجنوبية ضد "العدوان الداخلي"– أي إن هذا الكلام يعني عدوان فلاحي فيتنام الجنوبية ضد القوات الجوية الأمريكية، وضد الجيش المأجور الفاشل الذي تديره الولايات المتحدة التي كانت تشردهم خارج بيوتهم وتضعهم في معسكرات اعتقال، حيث (يمكن حمايتهم) من رجال حرب العصابات الجنوبيين، وفي الحقيقة كان هؤلاء الفلاحين يساعدون رجال العصابات بكل رغبة منهم في الوقت الذي كان النظام العميل لأمريكا نظاما فارغا، كما اتفقت عليه جميع الأطراف."[3]

وإذا كان من الادعاءات التي زعمها الأمريكيون في تدخلهم في شئون غيرهم هوإيجاد نظم ديمقراطية فيفند فوالبريت هذا الزعم قائلا :"ومع كل النوايا النبيلة، فان البلدان التي وقعت تحت وصاية الولايات المتحدة في مجال الديمقراطية، لم تصبح ديمقراطية، ويدخل ضمن ذلك هايتي التي ترزخ تحت حكم ديكتاتورية وحشية،

---

[1] Irving Louis Harouitz (editor), Power, Politics, and people, The Collected Essays of C. Wright Mills , p. 239.

[2] Seyom Brown, The Faces Power, p.7

[3] تشومسكي ، ما الذي يريده العم سام حقا ، ص. 104.

وجمهورية الدومنيكان التي عانت من ديكتاتورية تروجيلولمدة ثلاثين عاما، ...وبالتأكيد كوبا التي لسنا في حاجة للتذكير بأنها استبدلت حكومة شيوعية بالديكتاتورية التقليدية اليمينية ..في ضوء هذا السجل الحافل من الإنجازات، ربما أن الأوان لنعيد النظر في الأساليب التي نعلم بها الآخرين الديمقراطية، فقد لا نكون مؤهلين لمهمة التبشير بالديمقراطية، وقد يكون من الأفضل لنا أن نركز على ديمقراطيتنا نحن بدلا من محاولة نقل عدوى نموذجنا الخاص بالديمقراطية."[1]

والواقع إن المجتمع الديمقراطي لوكان حقًا ينعم بديمقراطية حقيقية لما سعى عدد من الفلاسفة إلى مصادرة الرأي الأخر بدعوى أنه يسمم فكر العامة فيقول David Lichstein: "لسوء الحظ، لقد شغل السيد فوالبرايت منصبا (حرجًا) كرئيس للجنة العليا للعلاقات الخارجية Chairman of The Senate Foreign Relations Committee ثم يقول: لقد كانت الأسلحة والبنادق التي قُتل بها جنود أمريكيين في فيتنام من إمداد الاتحاد السوفيتي، "ثم يتوجه إليهم متسائلًا: لماذا يعارض بحدة المفكرون تدخل الولايات المتحدة في حروب التحرر القومية، أو التدخل ضد نظام حكم كاستروالمحتمل تكرره في أمريكا اللاتينية؟ ولماذا اقنع هؤلاء المفكرون عامة الشعب بان الشيوعية العالمية أصبحت هشة ولم تعد تشكل تهديدا لأمننا، وبذلك قوضوا إرادة الشعب الأمريكي وأبعدوه عن مقاومة الشيوعية الشمولية.[2]

وردا على هذه الاتهامات يقول فوالبريت: "إن ارتفاع أصوات النقد داخل الدولة في الوقت المناسب يساعد كثيرًا على تصحيح الخطأ في سياستها الخارجية فحينما شنت بريطانيا هجومها القاتل على مصر، ارتفع صوت حزب العمال بالمعارضة الصاخبة، بينما كانت العمليات العسكرية جارية، رافضا الانصياع لدعاوى الوحدة الوطنية في أوقات الأزمات، وقد بدأ حزب العمال عملية طويلة ومؤلمة لاستعادة اسم

---

[1] فوالبرايت ، نفس المصدر السابق ، ص51.

[2] David Lichstein, pp, 86, 87.

بريطانيا في نفس اللحظة التي كان فيها الضرر لا يزال يلحق بها من جراء العمل العسكري، كما إن المثقفين الفرنسيين الذين احتجوا على حروب فرنسا الاستعمارية في الهند الصينية والجزائر لم يحموا فقط قيم الديمقراطية الفرنسية، بل انهم مهدوا الطريق لسياسة الجمهورية الخامسة التي جعلت فرنسا اكثر دول الغرب احتراما في العالم النامي، وإن الميزة الثانية التي تمنحها حرية النقاش لصناع القرار في ظل الديمقراطية هي إنها تلقي الضوء على أفكار جديدة وتحمل الواقع الجديد محل الأساطير القديمة."[1]

ويقول فوالبريت:"... فبدلًا من التراشق بالاتهامات بشان شريعة الجدال وبشان من يخدم العدوومن لا يخدم مواقفه، من الأجدر بنا أن نركز بهدوء متعمد على القضية نفسها اخذين في الاعتبار إن الكل عرضه للخطأ وانه لا يمكن تصحيح الخطأ إلا إذا تم الاعتراف به ومناقشته معًا لتأكيد أن الحرب لا تبرر نفسها، وانه يتم مناقشتها، وإلا كنا على استعداد للتضحية بتقاليد الديمقراطية من اجل صورة مزيفة للوحدة الوطنية."[2]

وإذا كان أسهل ما على هوك وصانعي السياسة الأمريكية عمله هو تشبيه من يرونه عدوا للولايات المتحدة بأنه هتلر فان هناك من المفكرين الموضوعيين من رأوا أن التصرفات الأمريكية لا تقل في نقص الحس الأخلاقي عما اقترفه هتلر نفسه فيقول سي رايت ميلز C. Wright Mills:"إن انعدام الضمير والحس الأخلاقي في عصرنا الحالي أحدثه دراماتيكيا النازيون، ولكن ألم يظهر ويتضح نقص الحس الأخلاقي والإنساني في إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي"؟[3] ويشير سيمون براون Seyom Brown إلى عدد من الحالات المخزية المتعارضة– كما يؤمن– بإعلان الولايات المتحدة تحملها دور تخليص العالم من الشرور والدفاع عن حقوق الإنسان ومن هذه الحالات عندما أعلن الرئيس ترومان ثم من بعده إيزنهاور قبول تسوية قائمة على الإبقاء على الوضع السابق على حدوث الحرب، أي الإبقاء على كوريا مقسمة،

---

[1] وليم فوالبرايت، غطرسة القوة، ص62.

[2] نفس المصدر السابق، ص 65

[3] Irving Louis Harouitz (editor), p.238.

وذلك بدلا من التأكيد على "النصر"–على حد تعبيره– بالسماح للأمم المتحدة بتنظيم انتخابات شعبية وإعادة توحيد البلد، وفي عام 1956عندما انسحب إيزنهاور من المجر، التي كان رجالها يموتون في شوارع بودابست مطالبين بالاستقلال عن الاتحاد السوفيتي.[1]

والكشف عن أن الأهداف الحقيقية لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن حماية حقوق الإنسان لم يعلن عنها الفلاسفة والمفكرون الموضوعيون فسحب بل القائمين في مجال السياسة وفي مجال الدفاع عن حقوق الإنسان فتقول باتريتا ديريان Patritia Derian (The State Department ' s Human Rights Bureau): "لا تحدد أهداف حماية حقوق الإنسان كل أوأي قرار تتخذه سياسة الخارجية ..فهي تؤخذ في الاعتبار إلى جانب مصالح أخرى جد حيوية بالنسبة للولايات المتحدة مثل تعزيز وإعلاء الأمن القومي... وسيطرة القوات المسلحة والتجارة القومية."[2] وعن إن الولايات المتحدة لم يكن لها هدف سوى الحرب نفسها يقول محمد جلال عباس :"وليس لها هدف سوى الحرب لذات الحرب وهواقذر هدف يمكن أن يرمي إليه أي إنسان، ويربأ به الشعب الأمريكي نفسه." [3]

تعقيب

من خلال العرض السابق يمكن استخلاص عدة نقاط:

أوَلا: انه إذا كانت هناك ديمقراطية في الولايات المتحدة بحيث يكون من حق كل طرف من الأطراف المتصارعة إبداء رأيه، فإنها ليست ديمقراطية كاملة، فالديمقراطية ليست فقط إبداء الرأي وإنما أن تجد الآراء المعارضة طريقها إلى صانعي القرار، وما عاناه أصحاب الرأي المخالف لتوجهات السلطة الأمريكية بصدد سياسية الخارجية الأمريكية

---

[1] Seyom Brown, p.8.
[2] John Dumbrell, p. 19.
[3] محمد جلال عباس ، فيتنام : قصة كفاح شعب 1964، ص96.

لم يقتصر فقط عن إن آرائهم لم تصل إلى صانعي القرار، وإنما وجدوا من يتهمهم بخيانة المصلحة القومية.

فضلًا عن أبسط معاني الديمقراطية تعني الشفافية ووضوح أهداف سياسة الخارجية أمام عامة الشعب أو حتى على الأقل أمام كبار المسؤولين في الدولة، ويشير هنا ميلز Mills إلى إن وسائل الاتصال الجماهيري مارست نوعا من التشويش الفكري والتسلية الفارغة أدت إلى انعدام الثقة وإيجاد نوع من اللامبالاة السياسية والى نوع من الميكيافلية.[1]

وها هو السناتور فوالبرايت يشير إلى أنه كيف كان الخداع في الخارجية بالتعتيم الهائل وتضليل كبار السياسيين بغير الحقائق، ويذكر هنا عندما قام الرئيس الأمريكي باستدعاءه في 15 أغسطس مع قادة الكونجرس الآخرين إلى البيت الأبيض ليبلغهم بان السفن الحربية التابعة لفيتنام الشمالية قد انتهكت بشكل فاضح، ودون أي استفزاز من البحرية الأمريكية، حرية البحار وهاجمت اثنتين من المدمرات الأمريكية في خليج تونكين، وقيل لفوالبرايت ومن معه إن هذا الموقف يتطلب "تعبيرا عاجلًا وفوريًا عن وحدتهم الوطنية في وقت تتعرض فيه دولتهم للهجوم، وكان موقف الرئيس – كما يشير فوالبرايت– إنه لووجد هوشي منه أن هناك تصميما ووحدة من جانبهم، فسوف يسعى للسلام، ويطلب عقد اجتماع معهم لتسوية القضية من خلال التفاوض ويقول فوالبرايت هنا:"وباستعادة الأحداث أدرك الآن جيدا انه كان خطأ كبيرًا أن يخدعنا هذا العرض، لكن الكونجرس له تاريخ طويل، طوال الحرب الباردة، في الإذعان للرئيس في الظروف الطارئة، وكان هذا جزءا من طبيعتنا التي تتسم بأنها سهلة الانخداع، فالقليل جدا منا من أدرك في ذلك الوقت إننا كنا ضحية للكذب."[2] وفي هذا الصدد يقول برتراند رسل: "... وهكذا كان جيش الولايات المتحدة يقوم على مسافة حوالي 16 ألف كيلومتر من

---

[1] Irving Louis,(editor) p. 333.

[2] وليم فوالبرايت ، غطرسة القوة ، ص 278.

دياره بحرب لم يتم إعلانها، ولم يحصل أبدًا على موافقة كونجرس الولايات المتحدة، كما يقضي الدستور، وذلك من أجل تأييد ديكتاتورية صريحة ووحشية."[1]

ولعل ذلك يتفق وما ذهب إليه كانط في إشارته إلى سهولة إعلان الحرب من قبل الحكام حيث يقول:"فالحرب هي من ابسط الأمور، لآن رئيس الدولة ليس مواطنًا، وإنما هومالك للدولة، فليس في الحرب ما يهدد مائدته أوصيده أوقصور متعته أو حفلات بلاطه الخ ..لهذا نراه يستطيع أن يقرر إعلان الحرب بالسهولة نفسها التي يقرر فيها إقامة حفلة ترفيهية ولأسباب تافهة، عاهدًا إلى الجهاز الدبلوماسي، بلا مبالاة أن يبتكر المبرر الذي تتطلبه اللياقة السياسية."[2]

ولعل اتهام سيدني هوك بأنه من منظري وواضعي مبررات للسلطة الحاكمة هي من أشد الاتهامات التي وجهت لهوك فيقول تشومسكي:"...وفي الولايات المتحدة ...أخذت قطاعات واسعة من النخب الفكرية، القريبة من المؤسسات الأيديولوجية، تلتزم خلق مبررات جديدة للاضطهاد والسيطرة، وتقتضي مهمة هؤلاء على وجه الخصوص وبإيجاد الوسائل لتحويل المسئولية الأخلاقية للعدوان الأمريكي وإلقاء تبعتها على ضحاياه."[3]

ويقول تشومسكي أيضا:"... إن المثقفين تواقون إلى نشر دين الدولة وتبرير كل ما يحدث بأنه "خطأ مأساوي" أو انحراف عن المُثل العميقة غير قابل للتفسير، ولعل الولايات المتحدة تتميز في هذا المجال بين الديموقراطيات الصناعية على الأقل، **فوسط أسوأ فظائع اقترفت في فيتنام، كان هناك دائما سيدني هوك لصرف النظر عن**

---

[1]برتراند رسل ، جرائم الحرب الأمريكية ، ص. 58، وانظر أيضا نفس المصدر ص ص 44، 45، 48.

[2]ايمانويل كانط ، نحوالسلام الدائم ص 43.

[3]تشومسكي ، حقوق الإنسان والسياسة الخارجية الأمريكية ، ص8.

"**الخسائر العرضية المشؤومة" أو"العواقب غير المقصودة للعمل العسكري" في حين كانت تقوم طائرات بـ52 بقصف شامل لدلتا نهر ميكونغ المكتظة في فيتنام الجنوبية،** أوبممارسات أخرى مماثلة وصفها ارثر شليسنغر مرة بأنها برنامجنا العام لإعلان حسن النوايا الدولي."[1]

ثانيا: ليست هناك أية أسس أخلاقية لتدخل الولايات المتحدة في فيتنام، فليست لتحرير أفراد حاولت الولايات المتحدة نفسها استعبادهم بفرض نظام عميل فاسد موالي لها، وليست حتى لمواجهة الشيوعية فأمريكا نفسها ساعدت الشيوعيين عندما كانوا يقاومون اليابانيين، ثم أن تحليل تتابع الأحداث تاريخيا، يوضح كيف أن سياسة الخارجية الأمريكية سياسة مضطربة متناقضة متخبطة: فقد ساعدت إذن الولايات المتحدة الشيوعيين وهي تعلم انهم شيوعيون، فأين إيمانها بان الشيوعية عقيدة تمثل خطرا على الأمن والحرية والسلام العالمي؟!

وقبل التورط الأمريكي في فيتنام رفضت الولايات المتحدة مساعدة فرنسا، ثم تغير موقفها فجأة وقدمت إليها مساعدات هائلة لتواصل حربها في الهند الصينية، وتحول فجأة أيضا هوتشي مينه –من الوجهة نظر الأمريكية – من مواطن ثوري ورمز للوطنية إلى شيوعي خائن موالي لموسكو يهدد "أمن أمريكا"، وذلك على الرغم من الأدلة التي قدمها الدبلوماسيون الأمريكيون التي تثبت انه رمزا للوطنية وليست إنسانا تحركه موسكو، فليست هناك أية أسس ثابتة على أساسها تستند سياسة الخارجية الأمريكية اللهم إلا السيطرة والهيمنة والمصلحة.

يصدق قول البعض بإن التورط الأمريكي في فيتنام كان انعكاسا للحرب الباردة فيقول في هذا الصدد هانس مونتاجيوHans Morgenthau:" إن تدخل الولايات المتحدة في أسيا ما هو إلا معاداة للثورية، وان فيتنام هذه كانت أرث الحرب الباردة."[2]

---

[1] نفس المصدر السابق، ص ص 12 ، 13 .

[2] David Lichenstein, p. 89

ويعرف جيلين هاستد Gleen P. Hastedt الحرب الباردة بأنها:" فترة من المنافسة، والعداء والتوتر بين القوى الغربية ودول البقاع الشيوعية، وعلى الرغم مما شابها من توتر إلا إنها لم تصل إلى حد الحرب المباشرة، ولم يكن هناك ثمة موضوع معين أوارض معينة هي مثار الخلاف والصراع، لقد تجسد الخلاف حول خليط من الأمور": المهاترات السياسية، الأزمات الدبلوماسية، الحرب النفسية، المنافسة الأيديولوجية، الصراع الاقتصادي، وسباق التسلح."[1]، وفي خلال الحرب الباردة بلغت الاتفاقات العسكرية (70%) من إجمالي الميزانية الأمريكية وخاصة في عهد يزنهاور كما يخبرنا كيم مك كوايد Kim Mc Quaid.[2]

وإذا كان هانس مورجانتيو Hans Morganthau قد رأى أن التورط الأمريكي في العديد من الدول وخاصة فيتنام كان نتيجة وانعكاسًا للحرب الباردة، فأن هناك عدد من المفكرين الذين رأوا إن الحرب الباردة نفسها كانت بتخطيط من القوى الكبرى وإن الحرب الباردة نفسها كانت ضرورية لحفظ توازن القوى في أوروبا، ويرى أيضا أصحاب هذا الاتجاه إن التحركات الأولى لكلا الفريقين جاءت لتلبية غاية محددة، ولكن سرعان ما سيطر الصراع نفسه على اللاعبين وفرض منطق مختلف وفرض عليهم أدوارًا معينة، أي إن اللاعبين فقدوا السيطرة على أفعالهم ... وتولد بين الفريقين خوف وشك متبادل.[3]

ويرى جون ديمبرلا John Dumbrell إن الحرب الباردة بالإضافة إلى إن الولايات المتحدة كانت تهدف من ورائها إلى السيطرة على الاتحاد السوفيتي واحتواءه، فإنها أفادت في احتواء وضبط الحلفاء أيضًا، وأفادت في جعل الدول النامية في وضع الدول المُستعبَدة نسبيًا، وجاءت في صالح الصفوة الداخلية حيث التصنيع العسكري

[1] Gleen p. Hastedt, p. 91
[2] Kim Mc Quaid, Uneasy Partners, p. 74
[3] See: Gleen P. Hastedt, America Foreign Policy: Past, Present, Future, p.96

وتعقيداته... وكما يؤكد ديمبرلا Dumbrell أن الحرب الباردة كانت بمثابة "لعبة نمت وفقا لقواعد ما اشتركت فيها قوتان."[1]

ولعل هذا ما يؤكد عليه أيضا نعوم تشومسكي الذي يرى إن الحرب الباردة جاءت في صف القوتين الكبيرتين فيرى انه على الجانب السوفيتي ساعدت في خندقة الطبقة الحاكمة البيروقراطية في السلطة وساعدت على التدخلات في أوروبا الشرقية أما على الجانب الأمريكي – كما يؤكد تشومسكي– فكان التدخل في جميع أنحاء دول العالم وإرهاب شعبها من خطر عدويجب مواجهته، ثم ينتهي إلى القول:" فالحرب الباردة إذن كانت نوعًا من الترتيب الضمني بين الاتحاد السوفيتي أدارت الولايات المتحدة بموجبها حروبها ضد العالم الثالث وسيطرت على حلفائها في أوروبا، في الوقت الذي حافظ فيه الاتحاد السوفيتي بقبضة حديدية على إمبراطوريته الداخلية وعلى حليفاتها في أوروبا الشرقية حيث كان كل طرف يستخدم الآخر لتبرير الكبت والضغط والعنف في مجالاته الخاصة به." [2]

وهكذا يتضح أن سياسة الخارجية الأمريكية لم تكن لتقوم على أسس ثابتة واضحة بل سادها التخبط واتخذت من الحرب الباردة ذريعة لتحقيق سيطرتها وهيمنتها على دول العالم وخاصة دول العالم الثالث، وبالطبع لم تنل مثل هذه الآراء موافقة هوك الذي دافع بشدة عن الحرب الباردة في فصل بعنوان: في الدفاع عن الحرب الباردة، لا الأحمر (الشيوعية) ولا الموت In Defense Of The Cold War, Neither Red nor Dead فهويرى إن أقوى تبرير للحرب الباردة يكمن في إنها تحول دون اندلاع حرب ساخنة وغزو سالقوات الشيوعية لأوروبا الغربية، وان كانت – كما يرى هوك– لن تمنع الحرب الساخنة في مناطق أخرى من العالم، ولكن لن يشمل ذلك

[1] John Dumbrell, American Foreign Policy, Carter to Clinton, p. 150.

[2] تشومسكي ، ما الذي يريده العم سام حقا ، ص ص94 ، 95

بشكل مباشر الولايات المتحدة أوأوروبا الغربية ولا الاتحاد السوفيتي.[1]

ولعل فيما ذهب إليه هوك هنا اعتراف ضمني بأن الحرب الباردة كانت متسببة في اندلاع الصراع في عدد من دول العالم، ولكن المثير للعجب هنا إن هوك لا يهتم كثيرا باندلاع أية حروب طالما كانت بعيدة عن الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية!! فأين حقوق الإنسان واحترام أدميته التي طالما نادى بها وادعى إن سياسة الخارجية الأمريكية تحمل لواءهما في العالم!! والواقع إن أراء هوك هنا يمكن دحضها: فإذا كانت سياسة التدخل التي اتبعتها أمريكا وبررها هوك قد قامت على أساس وجود خطر الاتحاد السوفيتي، فماذا عن تدخلها المستمر في جميع دول العالم حتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وإذا كانت الحرب التي شنت ضد فيتنام لان زعيم المقاومة الفيتنامية هوتشي مينه – حسب الزعم الأمريكي–شيوعيا يتلقى تعليماته من الكرملين كما صرح جورج مارشال من قبل: "بان الأمريكيين ليسوا على استعداد لرؤية المستعمرات والإدارات تديرها فلسفات ومنظمات سياسية تنبعث من الكرملين."[2]، فماذا عن محاصرتها لكوبا حاليا ورفضها رفع العقوبات الاقتصادية من عليها تماما، ورفض كافة الوساطة الدولية: ففي زيارته لكوبا يناير 1998، طالب بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني طالب الولايات المتحدة برفع هذه العقوبات فكان رد الإدارة الأمريكية بأنها لن تفعل ذلك إلا إذا تخلت (كوبا) عن سياستها الشيوعية!!

فسيطرتها إذن سيطرة من اجل السيطرة فحسب، وهواتجاه اعترف به على نحوغير مباشر عدد من الكتاب الأمريكيين، فحتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي يقول تشارلز كروثمر Charles Krauthammer: "نحن في موقف مشابه لموقف الحلفاء عقب غزونورماندي، سيكون النصر حتميا من نصيبنا، ما دمنا لا نتوقف."[3] ثم يقول

[1] See: Sidney Hook, Marxism and beyond, p. 187
[2] Seorge C. Herring, p.9.
[3] Charles Krauthammer, Universal Dominion (in) Owen Harrcess (editor), American Foreign, Policy, pp. 5,6.

"ربما تكون الشيوعية قد ماتت، ولكن العمل من أجل الديمقراطية لن يتوقف." [1]

ويقول John Dumbrell: "قد تقل الحاجة إلى التدخل بعد انتهاء الحرب الباردة، ولكن لن يزول أوينتهي هذا التدخل."[2]

والولايات المتحدة بوصفها الدولة الكبرى لا بد وأن توجد لنفسها عدوا باسم محاربتها له تفرض هيمنتها وسيطرتها على العالم ويؤكد ذلك نعوم تشومسكي عندما يقول: "طبعا تجلب نهاية الحرب الباردة مشاكلها... وخاصة يجب أن يتغير أسلوب ضبط الشعب، وهي مشكلة معروفة في الثمانينات، إذ يجب إيجاد أعداء جدد، ويصبح من الصعب إخفاء حقيقة إن العدو الحقيقي كان دوما الفقير الذي يتوخون منه كسر دور الخدمة."[3]

ومن منطلق هذه السياسة تنصب الولايات المتحدة من نفسها شرطيًا للعالم، ولا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 م*، التي اتخذت منها واشنطن ذريعة لضرب أفغانستان ثم ضرب العراق في مارس 2003 م، وانطلقت إسرائيل على صعيد أخر في شبه اتفاق ضمني مع واشنطن لتعيث في الأرض فسادًا، لقد هاجم هوك من قبل وغيره من المفكرين الأمريكيين كل من أدان التورط الأمريكي في فيتنام وانطلق بعضهم بالقول: إن الجنود الأمريكيين يُقتَلون بسلاح سوفيتي"[4] والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كما من أبرياء قتلوا ومازالوا يُقتلَوا بسلاح أمريكي؟! إنها غطرسة القوة وحب السيطرة اللذان يدفعان الولايات المتحدة إلى كل ذلك، أوعلى حد تعبير فوالبرايت

---

[1] Ibid, p.7.

[2] John Dumbrell, p. 283

[3] نعوم تشومسكي ، ما الذي يريده العم سام حقا ، ص97 .

* حيث حدث هجوم هوالأول من نوعه ، فاصطدمت طائرتان مدنيتان، كانتا في رحلة داخلية، بمبني برج التجارة العالمي بنيويورك فأطاحتا بالبرجين ، وفي نفس التوقيت وقع هجوم بالمثل على وزارة الدفاع الأمريكية (بنتاجون). أنظر : www.time.com/time

[4] See: David Lichenstein p. 81

(النظرة الدونية للضعفاء)، ففلسفة القوة هي التي تحرك أمريكا وذلك ما يؤكده تشومسكي عندما يقول:"إن ورقة الولايات المتحدة هي القوة."[1]

إن ما تحتاجه الولايات المتحدة الآن هو محاكمتها على الجرائم التي تقترفها، أو التي تسمح باقترافها، وياتي ذلك من منطلق فكر هوك نفسه: فقد رأى هوك إن السكوت على الظلم مشاركة فيه، وانتقد "العالم الحر"– هكذا يسميه– إذا لم يساعد الدول الواقعة تحت السيطرة الشيوعية للتحرر منه، فيرى انه بذلك يشجع هذه الشعوب على قبول قيود الطاغية، أوإذا وقفنا متخاذلين ونحن نرى تلك الشعوب وهي تذبح... فبالتالي أصبحنا حلفاء أقوياء للكرملين في قمع دول أوروبا الشرقية."[2]، ثم يقول أيضا: "ليس هناك من أحد في هذا العالم، فردًا كان أم أمة، برئ الذيل مما عليه حالة العالم، وان كان يستدرك ويقول:"ولكن أن نستخلص من ذلك أن الكل على قدم المساواة من الذنب لهوأمر خاطئ وبه مغالطة."[3]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا من كان المسؤول عما حدث في فيتنام من مجازر وقتل وتشريد للمواطنين؟ وبلغة هوك من يتحمل الذنب الأكبر طالما انه ليس الجميع على قدم المساواة في تحمل الذنب؟ وبالمثل أيضًا من هو المسؤول عما يحدث في فلسطين من تشريد وقتل للأبرياء على يد الإسرائيليين وبسلاح أمريكي وبالمثل ما يحدث في العراق !!

وهكذا يصدق رسل عندما يطالب بتكوين محكمة لمحاكمة أمريكا فيقول:" ..إنه بسبب اقتناعنا الشديد بان هناك جرائم وحشية قد ارتكبت، شعرنا بالإلزام الأخلاقي بتكوين محكمة ضمير."[4]

---

[1] نعوم تشومسكي، ما الذي يريده العم سام حقا، ص87.

[2] Sidney Hook, Political Power and Personal Freedom p.424

[3] Ibid, p.392

[4] برتراند رسل، جرائم الحرب الأمريكية، ص. 5.

الخاتمة والنتائج

تنقل سيدني هوك بروح الفيلسوف المجادل في جميع مجالات الحياة، ومن خلال الدارسة السابقة تتضح النقاط التالية:

1) تأثر هوك ومنذ وقت مبكر بفكر كارل ماركس وتتلمذ على يد جون ديوي لكنه لم يقف أبدًا عند حدود معلميه. فلم يقتصر في اهتمامه على الجانب التربوي كما فعل ديوي، وإنما اهتم بكافة جوانب الحياة، وكان هوك سابقا معاصريه عندما مزج بين البرجماتية والاشتراكية وقام بتفسير أفكار ماركس بشكل برجماتي. فرأى إمكانية تطبيق بعض أفكار ماركس ولكن على نحو برجماتي، فتمسك كاشتراكي ماركسي بأهمية تدخل الدولة في الاقتصاد ولكن بالشكل الذي يحمي الاقتصاد من الانهيار والرأسمالية المتطرفة ويترك في نفس الوقت قدرا من الحرية أمام المستثمرين، فكان هوك ببعد نظره هذا ومنذ أكثر من أربعين عامًا سباقًا ومبدعًا لفكر اقتصادي لا هوبالشيوعية ولا هو بالرأسمالية وإنما وكما يطلق عليه البعض حاليًا "الطريق الثالث".

2) هوك لم يكن متبعا دون أن يكون مبتدعا ولذلك فإنه لم يأخذ الفكر عن سابقيه– وخاصة فكر ماركس– على علته وإنما اخذ منه ما يتفق وتوجهه وفلسفته هو، وانتقد ما لم يتفق وفكره، وكان يؤكد دائمًا أنه لا يوجد أحد فوق النقد، وهكذا انتقد الحتمية التاريخية عند ماركس من ضمن ما انتقده في فكر الفيلسوف الذي طالما أعجب به هوك كثيرًا.

3) تحدث هوك عن الحياة وإنها ليست قيمة في حد ذاتها وإنما قيمتها في الكيفية التي نحيى بها؛ فهو كفيلسوف علماني يرى أنه ليس هناك قدر أو حتمية تتحكم في مصير الإنسان وكبرجماتي يؤمن بأننا نعيش في عالم مفتوح يستطيع الإنسان أن يغيره إلى الأحسن أو الأسوأ بإرادته الحرة، ومن ثم جاء إيمانه بأن الحياة ليست

قيمة في حد ذاتها وإنما في الكيفية التي يحيى بها الإنسان نتيجة متفقة مع توجهاته الفلسفية، وفي هذا الصدد يذهب الفيلسوف الأمريكي بول كارتز* إلى أن هوك أمن بأنه في ظل ظروف معينة يكون فيها على الإنسان أن يتخل عن حياته ولا يتخلى عن حريته، وأمن كذلك بـ "الموت الرحيم" euthanasia؛ إذا ما فقدت الحياة كل معنى لها، عندما يقبع الإنسان تحت سطوة مرض لا رجاء من شفاءه؛ فإن الإنسان الحر يجب أن يمنح الحق في إنهاء حياته وحفظ كرامته، ويتضح هنا كيف يبالغ هوك في بخسه لقيمة الحياة.

4) على الرغم من أن هوك لم ينكر ما في الأديان السماوية من مبادئ أخلاقية إلا أنه يرى –على حد تعبير بول كارتز– أنها مرتبطة ببيئات ريفية وبدوية موغلة في القدم لن تواكب الحياة المعاصرة ومن هنا أكد أنه بمقدور الإنسانية العلمانية أن تقدم بديلًا أخلاقيًا.

وإن دلت وجهة نظر هوك هنا على شئ فإنما تدل على عدم اطلاعه بوعي وموضوعية على الأديان السماوية، فلو كان فعل ذلك لأدرك أنه على الرغم من أن هناك أديانًا ارتبطت حقًا بأقوام معينين وزمان معين، إلا أن هناك من الأديان السماوية ما جاء للإنسانية عامة ولكل زمان ومكان.

5) اتهم "نعوم تشومسكي" "هوك" بأنه منظر دولة، ولكن من الواضح أن هوك كان يقول ما يؤمن به هو وليس ما يريده الحكام، والدليل على ذلك قيام سيدني هوك بتوجيه النقد اللاذع للرئيس الأمريكي رونالد ريجان على الرغم من تكريم الأخير له في عام 1985 ومنحه وسام الحرية Medal of Freedom الذي يعد أرفع وأعلى الأوسمة الشرفية في الولايات المتحدة، ويذهب كريستوفر فيليبس في هذا الصدد إلى أن هوك

* في حديثه إلى الباحثة ردا على خطاب تم إرساله له عبر البريد الإليكتروني(مرفق في نهاية البحث).

كان قلقا من أن سياسة ريجان المتهاونة – على حد تصوره– ليست بالسياسة الحكيمة التي تدار بها الأزمات.

6) يرى الفيلسوف الأمريكي دان دويل Dan Doyle* أنه لوكان سيدني هوك بيننا الآن لقدم للأمريكيين ببعد نظره أفكارا ورؤى جديرة بالاعتبار في عالم اليوم، ويرى الفيلسوف الأمريكي بول كارتز Paul Kurtz أنه لوكان سيدني هوك بيننا الآن لانتقد مظاهر عديدة للسياسة الخارجية الأمريكية اليوم. فقد كان مدافعا قويا عن الفصل بين الدين والدولة وأمن بالمذهب العلماني، ولو كان بيننا الآن لكان انتقد تحمس الرئيس الأمريكي جورج بوش للأصولية الدينية.

7) بعد تسعة عشر عامًا من وفاة سيدني هوك مازالت هناك الكثير من أفكاره التي تنبض بالحياة وخاصة تلك المرتبطة بحقول الإنسان والديمقراطية، وفي هذا الصدد يقول الفيلسوف بول كارتز: "لقد كان سيدني هوك فيلسوفًا متميزًا في الفلسفة المعاصرة خاصة في محاولاته نقل الأفكار إلى حيز التنفيذ، لقد كان برجماتيا فريدا بعرضه للأفكار الفلسفية في علاقتها بالممارسة، إن هوك يعد وبجدارة واحد من أعظم الفلاسفة الأمريكيين في القرن العشرين، وإن كان قد هجر ماركسية الشباب الثائرة إلا أنه ظل حتى أخر لحظة اشتراكيًا ديمقراطيًا، وتتمثل أهم إسهاماته في إخلاصه لفلسفته الديمقراطية، لقد وقف دائما بالمرصاد لأي مظهر من مظاهر الشمولية.

8) على الرغم مما قد يبدو من اتساق في أفكاره إلا أن هناك بعض النقاط التي تؤخذ على سيدني هوك مثل:

– لقد اعترف هوك بأن الولايات المتحدة في سبيل تأكيد دورها الريادي بتقديم المساعدات لدول العالم اتبعت السياسة الاستعمارية لفرنسا وبريطانيا عندما رفضت

*في حديثه إلى الباحثة ردا على خطاب تم إرساله له عبر البريد الإليكتروني(مرفق في نهاية البحث).

فجأة دعم بناء السد العالي Aswan Dam، وهذا موقف يشهد له، ولكن أين يقظته وحسه الأخلاقي بصدد سياستها الاستعمارية في كل دول العالم وفي تجربة فيتنام على وجه التحديد؟ ألم تكن سياسة استعمارية صارخة، أم أن تبريره لسياسة الولايات المتحدة، وتوهم خطر العدو الشيوعي جعله يتجاهل وعلنًا أثام اقترفتها الولايات المتحدة بحق الإنسانية ؟!

– أكد هوك أهمية تسليح دول الطوق ودول أوروبا لمواجهة "الخطر الشيوعي" وفي الوقت نفسه هاجم بشدة الاتحاد السوفيتي لتسليحه لمصر في حربها ضد إسرائيل بدعوى إن ذلك يخرق استراتيجية التوازن الخاصة بالتسلح في المنقطة! ولكن ألم يكن التسليح الدائم لإسرائيل من قبل الولايات المتحدة يمثل خرقا لاستراتيجية التوازن هذه يستوجب الهجوم أيضا؟

– أن يدخل هوك في جدل مع المختلفين معه فكريًا فهذا أمر وارد، ولكن أن يهاجمهم، ويرى انهم يضللون الرأي العام، وكأنه ينادي ضمنيا بإسكاتهم، فهذا ما يتعارض مع مبادئ الديمقراطية التي أعلن الدفاع عنها، وذلك طالما إن الديمقراطية تحتمل نشر كل الآراء حتى تلك التي تخالف توجهات السلطة الحاكمة وهؤلاء المدافعين عن توجهات هذه السلطة.

– تحدث هوك عن القيم وصراعها، وأكد أن الإنسان لا يجب أن يعيش وفقا لقاعدة ذهبية أو قيمة مطلقة، ثم تحدث بعد ذلك عن الإنسان الجدير بالاحترام، وعرفه بأنه هو ذلك الشخص الذي يضحي ولو بحياته من أجل قيمة يؤمن بها، ولكن ألم تتحول هذه القيمة إلى قاعدة ذهبية أو قيمة مطلقة يعيش ويموت الإنسان من أجلها؟!

– أوقع سيدني هوك نفسه في التناقض بتأييده لحرب الولايات المتحدة في فيتنام، فكيف يستقيم لفيلسوف الديمقراطية والحرية أن يؤيد حربا تشن على أبرياء لا لشيء سوى أنهم

مارسوا حقهم في حرية اختيار العقيدة التي يؤمنوا بها تلك العقيدة "الشيوعية" التي أمن بها هوك يوما ما في بداية حياته؟!

فيما عدا ما سبق من هذه النقاط التي أُخذت على هوك، فإن فلسفته جاءت حقًا فلسفة عميقة ثرية لفيلسوف صدق من أطلق عليه "فيلسوف القرن العشرين".

ثبت بالمصادر والمراجع

أولًا: المصاد: مؤلفات سيدني هوك Sidney Hook والكتابات التي شارك في تحريرها

1) "The Metaphysics of pragmatism", (Open Court Pub. Co., Chicago, 1927).
2) "Towards the Understanding of Karl Marx: A revolutionary Interpretation", (John Day Co., New York, 1933).
3) "The Meaning of Karl Marx", ed. Sidney Hook. Symposium by Bertrand Russell, John Dewey, Morris R.Cohen, Sherwood Eddy, and Sidney Hook. (Farrar and Rinehart, New York, 1934).
4) "American Philosophy Today and Tomorrow", ed. Sidney Hook and Horace M. Kallen. (L. Furman, New York, 1935).
5) "From Hegal to Marx: Studies in The Intellectual Development of Karl Marx", (John Day Co., New York, 1936).
6) "John Dewey: An Intellectual Portrait", (John Day Co., New York, 1939).
7) "Reason Social Myths and Democracy", (John Day Co., New York, 1940).
8) "The Hero in History: A Study in Limitation and Possibility", (John Day Co., New York, 1943).
9) "The Authoritarian Attempt to Capture Education", by, John Dewey, Sidney Hook, Arthur Murphy, Irwin Edman, and others. (King's Crown Press, New York, 1945).
10) "Education for Modern Man", (Dial Press, New York, 1946).

11) "Freedom and Experience: Essays Presented to Horace M. Kallen" ed, Sidney Hook and Milton R. Konvitz. (Corner University Press, Ithaca, 1947).
12) "John Dewey: Philosopher of Science and Freedom" ed, Sidney Hook, (Dial Press, New York, 1950).
13) "Heresy, Yes – Conspiracy, No.", (American Committee for Cultural Freedom, New York, 1952).
14) "Marx and the Marxists: The Ambiguous Legacy", (Van Nostrand, Princeton, N. J.: 1955).
ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت عنوان : " ماركس والماركسيون: التراث الغامض"، ترجمة سيد كامل زهران (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986).
15) "American Philosophers at Work" ed, Sidney Hook., (Criterion Books, New York, 1956).
16) "Common Sense and the Fifth Amendment", (Criterion Books., New York, 1957).
17) "Determination and Freedom in the Age of Modern Science", ed. Sidney Hook, First Symposium (New York University Press, New York, 1958).
18) "John Dewey: His Philosophy of Education and its Critics ", (Tamiment Institute, New York, 1959).
19) "Paradoxes of Freedom", (University of California, Berkeley, 1962).
20) "Philosophy and History" ed. Sidney Hook. Fifth Symposium (New York University Press, New York, 1963).
21) "Law and Philosophy" ed. Sidney Hook. Six Symposium (New York University Press, New York, 1964).
22) "Art and Philosophy", ed. Sidney Hook. Seven Symposium(New York University Press, New York, 1966).
23) "Religion in a Free Society", (University of Nebraska Press, Linclon, 1967).

24) "Human Values and economic Policy", ed. Sidney Hook. Eight Symposium (New York University Press, New York, 1967).
25) "Language and Philosophy", A Symposium ed. Sidney Hook. Ninth Symposium(New York University Press, New York, 1969).
26) "Academic Freedom and Academic Anarchy", (Cowles Books Co., New York, 1970).
27) "In Defense of Academic Freedom", ed. Sidney Hook. (Pegasus, New York, 1971).
28) "Education and the Taming of Power",(Open Court Publication Co., La Salle, III, 1973).
29) "The Idea of a Modern University", ed. Sidney Hook, Paul Kurtz and Miro Todorovich (Prometheus Books, Buffalo New York, 1974).
30) "Pragmatism and the Tragic Sense of Life", (Basic Books, New York, 1974).
31) "Revolution, Reform and Social Justice: Studies in the Theory and Practice of Marxism", (New York University Press, New York, 1975).
32) "The Philosophy of Curriculum : The Need for General Education", ed. Sidney Hook, Paul Kurtz, and Miro Todorovich. (Prometheus Books, Buffalo New York, 1975).
33) "The Ethics of Teaching and Scientific ", ed. Sidney Hook, Paul Kurtz and Miro Todorovich . (Prometheus Books, Buffalo New York, 1977).
34) "The University and the State", ed. Sidney Hook, Paul Kurtz and Miro Todorovich. (Prometheus Books, Buffalo New York, 1978).
35) "Philosophy and Public Policy", (Souhtern Illinois University Press, Carbondale and Edwardsville, 1980).
36) "Marxism and Beyond" (Rowman and Little Field, New Jersey, 1983).
37) "Out of Step: An Unquiet Life in the 20th Century", (Harper & Row, New York 1987)

ثانيًا: المراجع العربية

1. إبراهيم أباظة، عبد العزيز الغنام: "تاريخ الفكر السياسي"،(دار النجاح، بيروت، 1973).
2. أحمد أمين، زكي نجيب محمود :"قصة الفلسفة الحديثة"، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1967) الجزء الأول، الطبعة الخامسة.
3. أحمد عبد الحليم عطية: "فلسفة فيورباخ" (دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1989) .
4. أحمد فؤاد الأهواني: "نوابغ الفكر الغربي: جون ديوي" (دار المعارف القاهرة، بدون تاريخ) الطبعة الثالثة.
5. إدموند كان: "الإنسان والديمقراطية"، ترجمة مصطفى حبيب (مؤسسة سجل العرب،القاهرة، بدون تاريخ).
6. إريك فروم: "مفهوم الإنسان عند ماركس"، ترجمة محمد سيد رصاص (دار الحصاد للنشر والتوزيع دمشق، 1998) الطبعة الأولى.
7. إسماعيل علي سعد، حسن محمد حسن: "المجتمع والسياسة دراسات في النظريات والمذاهب والنظم" (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية:1997).
8. إسمت غنيم: "امبراطورية جستنيان"، (دار المعارف، الإسكندرية، 1982).
9. آلان نيفينز، هنري ستيل كوماجر: "موجز تاريخ الولايات المتحدة"، ترجمة محمد بدر الدين خليل (الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990).
10. إمام عبد الفتاح إمام: "توماس هوبز: فيلسوف العقلانية"، (دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985).
11. أمير بقطر: "الديمقراطية والعوامل السيكولوجية" من كتاب الديمقراطية (تاريخها – تطورها – أثرها في مختلف نواحي الحياة)، (قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية، القاهرة، 1945).
12. إنجلز: نظام العمل المأجور : مقالات من جريدة The Labor, Standard, 1881. (دار التقدم، موسكو، بدون تاريخ).

13. أنطوني دي كرسبني وأخر: "أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة"، ترجمة د. نصار عبد الله (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988).
14. ايمانويل كانط: "نحوالسلام الدائم"، ترجمة نبيل الخوري (دار صادر، بيروت، 1985) .
15. برتراند راسل: "جرائم الحرب الأمريكية"، ترجمة إسماعيل المهدوي (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967) .
16. ـــــ: "السلطة والفرد"، ترجمة محمد بكير خليل، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1953).
17. ـــــ: "العالم كما أراه" ترجمة نظمي لوقا (دار الهلال، القاهرة، بدون تاريخ).
18. بطرس بطرس غالي وآخرون: "الاشتراكية الديمقراطية" (دار الهلال، القاهرة: بدون تاريخ).
19. بول . ف. بولر: "الحرية والقدر في الفكر الأمريكي من ادواردز إلى ديوي"، ترجمة إسماعيل كشميري، مراجعة نور الدين الزراري (مكتبة الأنجلو، القاهرة: بدون تاريخ).
20. بيير رونوفن: "تاريخ القرن العشرين (1900 – 1948)"، تعريب نور الدين حاطوم (مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1959).
21. تشيركاسوف كاشين:"ما هي الفترة الانتقالية" ترجمة سليم توما (دار التقدم، موسكو: 1988) .
22. توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية، نشأتها وتطورها، الطبعة الأولى (دار المعارف، الإسكندرية، 1960).
23. ج . وليم فوالبرايت: "غطرسة القوة – ثمن الإمبراطورية"، ترجمة لجنة التبادل التعليمي والثقافي بين الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية مصر العربية (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، بدون تاريخ).
24. جاك دونلي: "حقوق الإنسان العالمية بين النظرية والتطبيق"، ترجمة مبارك علي عثمان، مراجعة محمد نور فرحات (المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1998).
25. جاك ووديس: "أفريقيا على طريق المستقبل"، ترجمة أحمد فؤاد بلبع (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ).

26. جماعة من أساتذة السوفيت: "موجز تاريخ الفلسفة"، ترجمة وتقديم توفيق سلام (دار الفارابي، بيروت، 1989).
27. جمال البخاري: "أمريكا من الداخل" (دار الطباعة الحديثة،القاهرة، بدون تاريخ).
28. جورج سانتيانا: "الإحساس بالجمال، تخطيط النظرية في علم الجمال"، ترجمة محمد مصطفى بدوي، مراجعة وتقديم د. زكي نجيب محمود (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001).
29. جورج سول: "المذاهب الاقتصادية الكبرى"، ترجمة راشد البراوي (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953)
30. جون ر. بورر، وميلتون جولد ينجر: "الفلسفة وقضايا العصر"، ترجمة أحمد حمدي محمود (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990)، الجزء الأول.
31. جون ستوارت مل: "عن الحرية"، ترجمة عبد الكريم أحمد (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000).
32. جون فيليب ويرنت: "الرخاء بدون تضخم"، ترجمة حسين عمر (مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، بدون تاريخ).
33. حازم الببلاوي: "التغيير من أجل الاستقرار"، (دار الشروق، القاهرة، 1998).
34. حازم الببلاوي: "دور الدولة في الاقتصاد"، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999).
35. حسين شريف: "الولايات المتحدة من الاستقلال والعزلة إلى سيادة العالم (1783 – 2001)" (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2001).
36. دكستر بركنس: "فلسفة السياسة الخارجية الأمريكية"، تعريب حسين عمر (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ).
37. دليل بيرنز: "الديمقراطية"، "ترجمة وتعليق محمد بدران (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1983).
38. راسل جاكوبي: "نهاية اليوتوبيا : السياسية والثقافة في زمن اللامبالاة"، ترجمة فاروق عبد القادر (مطابع الوطن، الكويت، 2001).
39. روبرت أ. دال: "مقدمة إلى الديمقراطية الاقتصادية"، ترجمة محمد مصطفى غنيم، الطبعة الأولى (الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992).

40. روجيه جارودي: "الإسلام والخطر السعودي"، ترجمة ودراسة سيد زهران (مكتبة مدبولي، القاهرة، بدون تاريخ).
41. رودلف متس: " الفلسفة الإنجليزية في مائة عام "، ترجمة فؤاد زكريا، مراجعة زكي نجيب محمود، (دار النهضة العربية، القاهرة، 1963) الجزء الأول.
42. رودني أ. سموللا: "حرية التعبير في مجتمع مفتوح"، ترجمة كمال عبد الرؤوف (الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، 1995).
43. روزنتال يودين (محرر): "الموسوعة الفلسفية "، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين، ترجمة سمير كرم (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981).
44. زكريا إبراهيم: "دراسات في الفلسفة المعاصرة"، (مكتبة مصر القاهرة، 1968) الطبعة الأولى.
45. زكي نجيب محمود: "حياة الفكر في العالم الجديد" (مكتبة الأنجلو، القاهرة، بدون تاريخ).
46. سعد الدين إبراهيم: "جريدة المجتمع المدني"، يناير 2000، العدد 97.
47. سيمور مارتن ليبست: "رجل السياسة، الأسس الاجتماعية للسياسة"، تعريب المترجمون العرب (منشورات دار الأفاق بيروت، بدون تاريخ).
48. شريف دلاور: " قضايا ومعالم في طريق الإصلاح الاقتصادي"، (المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1994).
49. صامول هنتنجون: "صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي" ، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة (دار اللواء للطباعة، القاهرة، 1999) الطبعة الثانية.
50. عبد الرحمن بدوي: "الإنسانية والوجودية في الفكر العربي" (النهضة المصرية، القاهرة، 1947).
51. عبد العظيم رمضان: "تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث" (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996).
52. عبد المنعم الحفني: "المعجم الفلسفي"، (الدار الشرقية، القاهرة، 1990) الطبعة الأولى.
53. عبد الوهاب جعفر: "محاضرات في الفلسفة الحديثة"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990).

54. علي عبد المعطي: "الفكر السياسي الغربي"، (دار المعرفة، الإسكندرية، 1993) .
55. علي عبد المعطي: "تيارات فلسفية حديثة"، الجزء الأول (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995).
56. ف. أ . هايك: "الغرور القاتل : أخطاء الاشتراكية"، ترجمة محمد مصطفى غنيم (دار الشروق، القاهرة، 1993) الطبعة الأولى.
57. فؤاد زكريا: "الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية" (الهيئة العامة للكتاب والأجهزة العلمية، القاهرة، 1972).
58. فاديم زاجلاين: "النظام الشامل للأمن الدولي: نحوإعادة بناء وتعميق إنسانية العلاقات الدولية"، ترجمة د. علي غالب (دار الثقافة الجديدة، القاهرة، بدون تاريخ) .
59. فردريك مارتن ستيرن: "مجتمع بلا طبقات"، ترجمة زكي خالد (المطبعة العالمية، القاهرة، 1954).
60. فريد ذكريا: "من الثروة إلى القوة : الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي"، ترجمة رضا خليفة، (مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1999) الطبعة الأولى .
61. فلاديمير بوزنر: "بلاد الحريات المزيفة"، ترجمة عبد الله شعيتو(المكتبة العلمية – دار القلم، بيروت، 1952).
62. ك. كوليار: "العلمانية في الهند ضرورة ثقافية" (جريدة صوت الشرق، عدد 412 – يوليه ـ أغسطس 1999).
63. كارل ماركس، فريدريك انجلز: "مصادر الاشتراكية العلمية"، ترجمة فؤاد أيوب، (دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1964).
64. كارل ياسبرز: "مدخل إلى الفلسفة" ترجمة محمد فتحي الشنيطي (مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1967)، الطبعة الأولى.
65. لودفيج فتجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة زكي نجيب محمود (مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، 1968).
66. ليلاند دوايت بولدوين : "الديمقراطية"، ترجمة يوسف الخال (دار الثقافة، بيروت،1956).
67. المجلس الأعلى للجامعات: "الاشتراكية الديمقراطية" (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977).

68. محمد جلال عباس: "فيتنام قصة كفاح شعب" (دار المعارف بمصر، القاهرة، بدون تاريخ).
69. محمد حسين هيكل : "جان جاك روسو" (دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ) الطبعة الرابعة .
70. محمد طلعت الابراشي : "الشيوعية عندما تتصادق" (دار المعارف، القاهرة، بدون).
71. محمد طه بدوي : " أمهات الأفكار السياسية الحديثة وصداها في نظم الحكم"، (دار المعارف بمصر، 1958) الطبعة الأولى.
72. محمد عزيز الحبابي: "من الحريات إلى التحرر"، (دار المعارف بمصر، القاهرة، بدون تاريخ).
73. محمد علي محمد، علي عبد المعطي: السياسة بين النظرية والتطبيق (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984).
74. محمد فتحي الشنيطي : "جون لوك دراسة نقدية لفلسفته التجريبية"، (دار الطلبة العرب، بيروت، 1969).
75. محمد نصر مهنا : "مدخل إلى النظرية السياسية الحديثة" (الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1981).
76. محمد يحيى عويس: "الاشتراكية المذهب والتطبيق" (مطبعة الرسالة، القاهرة، 1966).
77. مراد وهبه: "ملاك الحقيقة المطلقة" (دار القباء، القاهرة، 1999).
78. مسيموسلفدوري: "الرأسمالية الأمريكية: رأي متحرر" (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ) .
79. ميران مشيدلوف: "الدين في العالم اليوم"، ترجمة جمال السيد، (دار العالم الجديد، القاهرة، 1990) الطبعة الأولى.
80. نبيه الأصفهاني: " السياسة الخارجية الروسية في مرحلة التحول الديمقراطي"، في جريدة السياسة الدولية، عدد أبريل 1999، العدد 136.
81. نجاح محسن : "الحكومة العالمية عند برتراند رسل" (دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 2003).
82. نزيرة الأفندي : "تجربة الاشتراكية الديمقراطية في ألمانيا" (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978).
83. نصار عبد الله : "فلسفة برتراند رسل السياسية" (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987).

84. نعوم تشومسكي : "حقوق الإنسان والسياسة الخارجية الأمريكية"، ترجمة عمر الأيوبي (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1984) .
85. ـــــ : "ردع الديمقراطية"، ترجمة فاضل جتكر (دار الذعان للدراسات والنشر، دمشق، 1992).
86. ـــــ : "ما الذي يريده العم سام حقا"، ترجمة موسى برهوم (دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1993) .
87. هربرت شنيدر : "تاريخ الفلسفة الأمريكية"، ترجمة محمد فتحي الشنيطي (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964).
88. هنري روبيرت : "القانون البرلماني الأمريكي"، ترجمة زكي شنوده، مراجعة راشد البراوي (مكتبة نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ).
89. هيجل : "أصول فلسفة الحق"، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996).
90. ـــ: " موسوعة العلوم الفلسفية"، ترجمة وتعليق وتقديم إمام عبد الفتاح إمام (مكتبة مدبولي، القاهرة، بدون تاريخ).
91. وليم جيمس : "بعض مشكلات الفلسفة"، ترجمة محمد فتحي الشنيطي(دار الطلبة العرب، بيروت، 1969) الطبعة الثانية.
92. ـــ : " بعض مشكلات الفلسفة"، ترجمة محمد فتحي الشنيطي (دار الطلبة العرب، بيروت، 1969) الطبعة الثانية.
93. ولتر ستيس : "الدين والعقل الحديث"، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998).
94. وليم فرج حنا : "البراجماتية صبغة أمريكية لفلسفة واقعية" (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بدون تاريخ).
95. ويلي ايجلر : "قيم الاشتراكية الديمقراطية ومطلبها الأساسي" (منشورات مكتبة فريدريتش ايبرت، بيروت، بدون تاريخ).
96. يعقوب خام: "البرجماتيزم أومذهب الذرائع"، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936).

ثالثًا: المراجع الأجنبية

1. Antonio , William V. D. :"Family life , religion, and societal values and structures" (in) William Joan Aldous (editor): "Families and Religion" (Sage publication, California, 1983).
2. Audi, Robert (General Editor) :"The Cambridge Dictionary of Philosophy (Cambridge University Press, London, 1999), Second edition.
3. Beck, Robert N., : "Perspectives in philosophy" (Holt Rinehart and Winston, New York, 1975).
4. Bell, Daniel :"the pragmatic of Metaphysics", (in) Paul Kurtz (editor): "Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism" (Prometheus Books, New York, 1989).
5. Borchert, Donald M. (editor) :"The Encyclopedia of Philosophy", (Simon & Schuster Macmillan, New York, 1996).
6. Brown, Ivor :"The Meaning of Democracy", (Gerald Duck worth Ltd,. London, 1950).
7. Brown, Seyom :"The Faces of power Constancy and Chang in United States Foreign Policy from Truman to Clinton" (Columbia University Press, New York, 1994).
8. Bunzel, John :"Rescuing the Equality: (in) Paul Kurtz (editor) "Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism" (Prometheus Books, New York, 1989).
9. Capaldi, Nicholas: " Sidney Hook: A Personal Portrait" (in) Paul Kurtz (editor), Sidney Hook: "The Philosopher of Democracy and Humanism" (Prometheus Books,New York, 1989).
10. Castell, Albuey & others (editors) :"AN Introduction to Modern Philosophy: Examining the Human condition", (Macmillan College Publishing Company Inc, New York, 1994). Six edition.

11. Cole, G. D. H. :"Europe, Russia, and the future" (Victor Gollanz Ltd, London, 1941).
12. Corbett, Julia Mitchell :"Religion In America" (Prentice Hall Inc, New Jersey, 2000).
13. Cottingham, John (editor) :"Western Philosophy" (Blackwell Publisher, Oxford, 1996).
14. Crosland,C. A. R. :"Socialism" (in) , Encyclopedia Britannica, volume 16.
15. Davidoson, :"Free Will And Determinism" (Watts & Co., London, 1973).
16. Dewey, John :"Problems of Men" (Philosophical Library Inc., New York, 1946).
17. ---------- :"Reconstruction in Philosophy" A mentor Book, (The York American Library of World Literature Inc., New York, 1954).
18. ----------:"The Living Thoughts of Thomas Jefferson" (Cassell & company, Great Britain, 1941).
19. Dumbrell, John :"American Foreign Policy, Carter to Clinton" (St. Martin ' s Press, New York, 1997).
20. Flew, Antony G. N.:"The Socialist Obsession" (in) Paul Kurtz (editor), Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism (Prometheus Books, New York, 1989).
21. Goodway, David :"For Anarchism History, Theory, and Practice" (Routledge N. Y., 1989).
22. Gros, Jean – Germain :"Haiti's Flagging", Journal of Democracy, October, 1997.
23. Harouitz, Irving Louis (editor) :"Power, Politics, and people" The Collected Essays of C. Wright Mills (Oxford University press, New York, 1963).
24. Harries, Owen (editor) : "America ' s Purpose, new visions of U. S." Foreign Policy (S. G. Wasani for Macmillan India In, Ltd, New Delhi, 1993).

25. Hastedt, Glenn P. :"America Foreign Policy: Past, Present, Future" (Prentica Hall Inc, New Jersay 1999) 4th ed.,
26. Hayek, F. A. : :"The Road to Serfdom", (abridged edition) (George Routledge Sons Ltd., London, 1946).
27. Herring, George C. :"America's Longest War: The United States and Vietnam" (1950 – 1975) (John Wiley & Sons Inc, New York, 1979).
28. Joas, Hans :"War and Modernity" Translated by Rodney Livingtone (Polity Press,Oxford, 2003).
29. Kitching, Gavin :"Karl Marx and the philosophical of praxis (Routledge,N., Y., 1988).
30. Kohl, Marvin :"Is Human life itself a value?" (in) Paul Kurtz (editor): "Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism" (Prometheus Books, New York, 1989).
31. Konvitz, Milton R. :"Sidney Hook : Philosopher of the Moral – Intelligence" (in) Paul Kurtz (editor): "Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism" (Prometheus Books, New York, 1989).
32. Kristol Irving, :"Life with Sidney: A Memoir" , (in) Paul Kurtz (editor): "Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism: (Prometheus Books, New York, 1989).
33. Kurtz, Paul :"The Ethics of Secular Humanism" (in) Paul Kurtz (editor) "Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism (Prometheus Books, New York, 1989).
34. Lichenstein, David S. :"The Radical Intellectual and American Foreign Policy: The Vietnam Experience" (in) Paul Kurtz (editor): "Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism" (Prometheus Books, New York, 1989).
35. Lipset, Seymour Martin :" Socialism in America" (in) Paul Kurtz (editor) "Sidney Hook: The Philosopher of

Democracy and Humanism" (Prometheus Books, New York, 1989).
36. Macdonald, Douglas J. :"Adventures in Chaos, American intervention and reform in the Third World" (Harvard University Press,London,1992).
37. Mills, C. Wright :"Society and Pragmatism" "edited with an introduction by: Irving Louis Horowitz" (Oxford University Press, New York, 1966).
38. Morris, Charles :"The Pragmatic Movement in American Philosophy" (George Braziller Inc. ,N.Y., 1970).
39. Nagel, Ernest :"Freedom and civilization", (in) Paul Kurtz (editor): "Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism" (Prometheus Books, New York, 1989).
40. Nisbet, Lee :"Hook's "Pragmatism and the tragic Sense of life" (in) Paul Kurtz (editor): "Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism" (Prometheus Books, New York, 1989).
41. Owen, David :"Nietzsche: Politics & Modernity": (SAGE Publications Ltd,London, 1995).
42. Phelps, Christopher :"Young Sidney Hook, Marxist and Pragmatist" (Cornell University Press, New York , 1997).
43. Plattner, Marc F. :"From Liberalism to Liberal Democracy" Journal of Democracy , July, 1999 , Volume 10, Number 3.
44. Quaid, Kim Mc. :"Uneasy Partners Big Business in America Politics" (1945 – 1990) (The Johns Hopkins Press Ltd., London, 1994).
45. Rorty, Richard :"Pragmatic without method" (in) Paul Kurtz (editor), Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism (Prometheus Books,New York, 1989).
46. Russell, Bertrand :"Freedom and Organization" "1814 – 1914" (George Allen and Unwin Ltd London:, 1949).

47. ---------- :"Philosophical Essays", (Routlege, New York, 1996) Paper Bach edition.
48. ---------- :"The Wisdom of The West" (edited by Paul Foulkes) (Fawcett World Library, New York, 1966). Second Printing.
49. Sartori, Giovani :"Democratic Theory" (Oxford & IBH Publishing Co,.Bombay, 1965).
50. Segers, Mary C. and. Jelen, Ted :"A wall of Separation? Debating the Public Role of Religion" (Rowmana Littlefield Publisher Inc, Boston (U.S.A), 1998).
51. Sen, Amartya :"Democracya as a Universal Value", Journal of Democracy , July, 1999 , Volume 10, Number 3.
52. Sepiegel, Henry William :"The growth of Economic Thought" , Revised and expanded edition (Duke University Press, North Carolina, 1983).
53. Smith, John .E . :" Quasi – Religions" (The Macmillan Press Ltd, London, 1994).
54. ----------. :"Purpose and Thought, The meaning of Pragmatism" (Yale University Press, New Haven, 1978).
55. ---------- :"the meaning of Pragmatism" (Yale University Press, New York, 1978).
56. Wood, Ellen Meiksins :"Democracy against Capitalism" (Cambridge University Press, London, 1996).
57. Yavlinsky, Grigory :"Where is Russia Headed?" Journal of Democracy, January. 97.
58. Zimmerman, Marvin :"Hooked on Freedom and Science" (in) Paul Kurtz (editor): "Sidney Hook: The Philosopher of Democracy and Humanism" (Prometheus Books, New York, 1989).

رابعًا: مراجع الشبكة الدولية للمعلومات (Internet)

1) Collapse of the USSR, (in) news.bbc.co.uk

2) Danniel Postel, Sidney Hook: an Intellectual Street Fighter Reconsidered, (in) http://chronicle.com
3) Encyclopedia Article (cold War) (in) Encarta.msn.com
4) Morton Akaplan, Hook and Dewey, or C. S. Pierece? A reply to Nicholas Capaldi. http:www.woldandi.com/specialreport

5) Murray N. Rothbard, The Irrepressible Roth board : Frank Mayer & Sidney Hook, www.lewrockwell.com
6) Paul Kurtz (editorial) : The Secular Humanist Prospect: In Historical "Perspective, From: Free Inquiry Magazine, Volume 23, Number 4. (Webmaster@SecularHumanism.org)- 2003/8/6
7) Paul Kurtz(editorial) : Secular Humanism and Politics: When Should We Speak out? From: Free Inquiry Magazine, Volume 23, Number 3. (Webmaster@SecularHumanism.org)- 2003/4/29
8) Robert B. Talisse , Robert Tempio & Mattew J. Cottoer, the Relevance of Sidney Hook, Today " Reflections from the Cenetennial Conference", http:/secularhumanism.org/library
9) Robert Talisse, Sidney Hook Reconsidered. A study represented in the conference :" Sidney Hook Reconsidered : A Centennial Celebration"- http://www.pragmatism.org/genealogy/hook.htm
10) Ronald Radosh, Sidney Hook was Right, Arthur Schlesinger is Wrong, www.hnn.us/articles/1154.html.
11) Short Biography of Adolf Hitler, (in) http://www.uen.org/utahlink/ip_res
12) Short Biography of Stalin, (in) http://www.bioghraphychannel.com
13) Sidney Hook, Convictions (Buffalo New York: Prometheus Books, 1990) (in) http:/www.questia.com

منى طه عبد العليم

حصلت على الماجستير من جامعة الإسكندرية بمرتبة "امتياز" 2005م، مختصّة أكاديميّة في مجال الفلسفة السياسية.

حصلت على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى مع توصية بالنشر من جامعة طنطا في 2015م.

صدر لها "زينب في أمريكا"، رواية، عن دار الأدهم 2018م

- "بنات الأصول"، مجموعة قصصية، عن دار العين 2012م
- "الحوار بين الثقافات: نحوتحقيق الحوار وتجاوز التحديات"، عن المعهد السويدي بالإسكندرية 2008م.
- ومن أبحاثها: "ما بعد الحداثة وأفول الكلمة" عن المؤتمر الدولي: "كيف نقرأ الفلسفة: رؤي إبداعية في هيرمونطيقا الزمن" – جامعة الأسكندرية 2018م
- "المساواة في مقابل السموالإنساني" مقدم إلى مركز الأخلاق بجامعة ستانفورد 2018م
- "الأيديولوجيات السياسية في مصر" قُدم إلى كلية الإدارة والتكنولوجيا بالأكاديمية العربية 2017م.
- "التضامن: من الحماية الاجتماعية إلى خلق حلول تنموية مستدامة" إلى الجامعة الأمريكية بالقاهرة في مؤتمرهم السنوي "الحماية الاجتماعية" 2017م.
- فاز بحثها "الإعلام الاجتماعي والثورة المصرية" المقدم في المؤتمر السنوي لمؤسسة التعليم الأمريكي بالعرض في المؤتمر الإعلامي الكبير الذي نُظم في لاس فجاس في أبريل 2012م.
- "التمويل متناهي الصغر ودعم الفقراء"، ورقة عمل نُشرت في المؤتمر العالمي: "صناعة التمويل متناهي الصغر: خطوة نحوالأمام"، الإسكندرية، 2010م.
- "تمكين المرأة: الحاجة إلى تغيير الذهنية وتعديل الأدوار"، بحث نشر في المؤتمر العالمي لجامعتي يل وكلارمونت الأمريكيتين.
- وبحث "المرأة وتحديات العولمة" في مكتبة الإسكندرية، 2009م.

لديها خبرة عملية تتجاوز 15 عامًا في العمل التنمويّ والإعلاميّ، وتعمل في واحدة من كبرى منظمات المجتمع المدني في مصر، "جمعية رجال أعمال إسكندرية

- مشروع تنمية المنشآت الصغيرة والحرفية" بصفتها مديرة للعلاقات العامة ورئيس تحرير النشرة الدورية للمؤسسة؛ التي تصدر باللغتين العربية والإنجليزية.

تولت العديد من المهام التنموية لمساعدة الفقراء وتنميتهم مثل مديرة مشروعات مشتركة مع الأمم المتحدة، وتولي مهام إدارة وحدة تطوير مناخ الأعمال في مصر.

عملت مراسلة صحفية لعدد من الجرائد وعلى رأسها جريدة القاهرة حتى 2006م.

كُرّمت محليًّا عالميًّا، مثل:

- فازت بواحدة من أرقى الزمالات المرموقة وهي زمالة "هيوبرت هيمفري في الولايات المتحدة الأمريكية"؛ إذ درست بمقتضاها "الاتصالات وحشد الآراء" في جامعة أريزونا وحصلت على تدريبات مهنية في هيئة الأمم المتحدة بنيويورك.
- تكريم الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا 2018م
- جائزة الشخصية القيادية المتميزة عامي 2014 و2015م من الشئون الثقافية بالسفارة الأمريكية ورابطة خريجي برامج التعليم الأمريكي الدولية.
- جائزة التميّز (أفضل موظفة) 2014م من جمعية رجال أعمال إسكندرية.
- شهادة تكريم من منظمة المرأة العربية 2013م.
- زمالة هيوبرت هيمفري بالولايات المتحدة الأمريكية 2011م.
- الدعوة من وزارة الخارجية الأمريكية لزيارة أمريكا بصفتها زائرة دولية في برنامج خاص بالتعددية الثقافية 2010م.
- تقدير وتكريم من أمانة المرأة بالإسكندرية للأعوام من 2008 إلى 2010م.
- جائزة أفضل عمل صحفي من بينالي دول البحر الأبيض المتوسط 2005.
- تكريم من روتاري الإسكندرية 2004م.
- تعد منى متحدث دائم في العديد من البرامج التليفزيونية والإذاعية المصرية.

تحت الإعداد

- رواية "نجاة"

مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

دار نشر - دراسات - استشارات - دورات تدريبيّة

الإسكندرية، مصر، 44 شارع سوتير، أمام كلية حقوق الإسكندرية

موبايل: 01018081590 هاتف: 03/4830903

بريد إلكتروني: levant.egsy@gmail.com

موقع إلكتروني: www.levantcenter.net

مركز ليفانت أحد فاعليات شركة ليفانت لتنمية الموارد البشريّة، ش. ذ. م. م. وفق قانون 159 لسنة 1981م ولائحته، س ض: 545/584/507، س ت: 9882.

يهدف المركز إلى العمل على إقامة دورات وورشات عمل وندوات ومحاضرات ويستثمر في تطوير الموارد البشريّة وتنميتها، ويقيم دورات ثقافية وتعليمية متنوّعة، ويهتمّ بإعداد باحثين في مجال الدراسات الثقافيّة وعلم الكوديكولوجيا وتحقيق النصوص التراثيّة، والاهتمام بأصحاب المواهب في الكتابة السرديّة والمسرح والسينما، وتدير إدارة المركز موقعًا إلكترونيًّا شاملًا نشاطاتها كلّها، علاوة على إتاحته تحميل الكتب والمقالات والفيديوهات المختلفة، كما أنّ المركز ينشر المقالات والكتب ورقيًا وإلكترونيًّا وفق عقد مع أيّة مؤسسة أومؤلّف إفراديًّا.

رقم الإيداع: 8660 / 2019م

الترقيم الدولي:3 - 46 - 6651 -977 - 978